المنهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

العدد (٥٤٠) المجلد (٥٩) العام [٦٣] المحرم ١٤١٨ هـ / مايو ١٩٩٧ م

معجزة الهجرة

٦٣ عاماً من العطاء

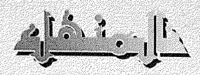
التوازن البيئي ؟!

صدام الحضارات

ضحية مؤامرة الصمت

الاستشراق وبواعثه

الاسلام والثقافة العربية في عالمنا الجديد



مجلة شهرية للآداب
والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دارة المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ١٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال



مما قيل

عشرون ربيعا

عشرون ربيعا مضت على صدور أول عدد من مجلة «المنهل»..

وحينما صدر العدد الأول كان إصداره إحدى «المغامرات» التي يقوم بها الشباب.. فان أخفقت فلا عليه، وإن قدر لها النجاح فذلك هو الأمل المنشود.

وإذا قارنا بين أول عدد صدر من المنهل في عام ١٣٥٥هـ، مع هذا العدد الذى نصدره منه الآن بعام ١٣٧٥هـ من جهة.. وقارنا بين أمد صدور ذلك العدد الأول، مع أمد صدور هذا العدد، فاننا نجد البون شاسعا بين العددين.. كما نجده شاسعا بين الأمدين.

ذلك أن التطور كما شمل المنهل فيما بين عامي ١٣٥٥ و١٣٧٥هـ كذلك قد تغلغل التطور في حياتنا ومرافقنا فى هذه الحقبة من الزمان.

وإذا كان لنا أن نشير - فى هذا المقام - الى شيء من الوان التطور الذى نلمع اليه حتى لا يقول القارىء إننا ممن يزجي الكلام على عواهنه فاننا سنقسم تطور المنهل إلى لونين: أحدهما تطور موضوعاته وتعددها وتمددها ومساهمة رجالات العلم والادب والادارة في تحبير مواده.. وثاني التطورين يتعلق باخراجه وطباعته، فقد كانت طباعته واخراجه أقل مما صارا إليه الآن كما يدرك من المقارنة الفعلية بين ماضي أعداده وحاضرها فها هو الآن يطبع بأحدث مطابع العصر بمطابع «اللينوتيب».

ويحسب «المنهل» فخارا وشرفا أن يؤدى رسالته على نمط متزن معتدل فهو يجرى رقراقا صافيا بين التلال والوهاد والمنعرجات ولا يتأثر بالاعاصير ولا تستهويه الترهات ولا المهاترات الشخصية.. وذلك ليبقى سلسبيلا رائقا يرتاده قراؤة بحيث يرويهم ولا يؤذيهم.

وناهيك بمن حظى المنهل بمؤازرتهم الكريمة، فخلدوا على صفحاته بنات أفكارهم وتوجيهاتهم وقيم ملاحظاتهم واقتراحاتهم ومعارفهم، من عظماء وأمراء ووزراء وعلماء وأدباء شاعرين وناثرين.

وقد سار صيت المنهل في الآفاق فنقلت عنه بعض موضوعاته ومقالاته وافتتاحياته صحف عربية راقية في مصر وغير مصر من ديار العروبة، وفي باكستان وغيرها من بلاد الاسلام وفي الشرق والغرب، وبادلته صحف راقية عربية واسلامية وغربية.. وإدارته مكتظة بما يَردُ اليه من الكتب المطبوعة والنشرات والصحف المختلفة من شتى اقطار الدنيا.. تباعا..

ولا أعدو الحق والصواب إذا أنا زعمت أن بعض أعلام المؤلفين قد اتخذ من مجلدات المنهل بعض مصادر بحوثه فيما ألفه من كتب تاريخ واجتماع وأدب وثقافة عن هذه المملكة.

إذن فاننا نتوجه إلى الله العلي القدير بالحمد والشكران على ما انعم به وتفضل، من هذا النجاح المعنوي المطرد للمنهل.

«عبدالقدوس الأنصاري»

المحرم وصفر ١٣٧٥هـ/ اغسطس وسبتمبر ١٩٥٥م



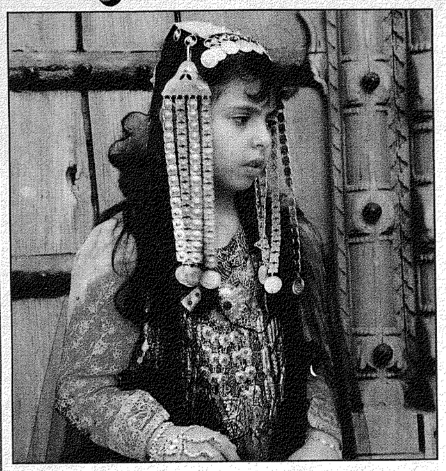
عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.



غلاف العدد

لقطة الشهر

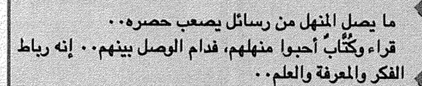


براءة محملة بكل غال وثمين، تنظر الى المستقبل المكتوب؛ ولم تنس الماضي العريق.. مستقبل مشرق، وأمل واعد، وحياة رغدة.. حُلم كل فتاة.

اشارة

- تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.


طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر - جدة
تليفون: ٦٦٧٠٦٠٦ - فاكس: ٦٦٠٤٦٧٦



م ن ه ل ي ا ت

ما يصل المنهل من رسائل يصعب حصره..
قراء وكُتّابٌ أحبوا منهلهم، فدام الوصل بينهم.. إنه رباط الفكر والمعرفة والعلم..
وأعظم به..
اثنان وستون عاماً .. ما كنّا نحسب أنّا بيالغيها..
«اثنان وستون عاماً» سلفت، قضتها المنهل في تواصل حميم.. مع محبيها .. من قارئين وكاتبين.
عطاءات بعمق الفكر الواعي هي حلقة الوصل في دائرة تظل متسعة الأرجاء والأنحاء، حتى غدت المنهل بشهادة العدول الثقاة واحدة من المراجع الثبته ليس فقط فيما احتضنت صفحاتها من علم ومعرفة، وثقافة وأدب وفن، بل لها مرجعيتها في تدوين وتسجيل حركة التاريخ في حياتنا العربية والاسلامية الممتدة في رحم العقود الستة الماضية..
إن كلَّ ابداع وتفوق ونجاح يبقى القارىء والكاتب شريكان حقيقيان فيه..
وللجميع نسوق الشكر بين أيدينا تقديرا ووفاءاً ..
إنّا بقدر اعتزازنا وسعادتنا بهذه التواصلية الحميمة، بقدر ما يكون ثقل التحمل..
أليست الكلمة أمانة..؟!!
«وما توفيقي إلا بالله».

«نبيه الانصارى»

المنهل Almanhal
مجلة شهرية للادب والعلوم والثقافة

العدد: (٥٤٠)
المجلد: (٥٩)
العام: (٦٣)





وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ - وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٢٢٤٩٩ - الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ - شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات: يراجع بشأنها الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

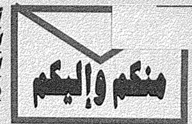
في هذا العدد

فهرس العدد - ٥٤٠ - المجلد: ٥٩ - العام: ٦٣

الفهرس

أقلام:

الشيخ محمد الغزالي
الشيخ محمد بن ناصر العبودي
د. ماجدة محمد حمود
محمد العربي الخطابي
د. محمد سعيد البارودي
د. يوسف عز الدين
د. أمين ساعاتي
د. عمر بن قينة
أنور الجندي

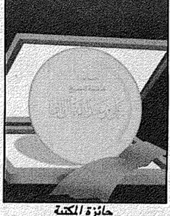


رسالة ناقدة، وأخرى شاكرة، مراجعات وتعليقات، نادرة وطرفة، أخبار ومتابعات، كلها وغيرها تمثل نسيج هذه الصفحات. قارىء المنهل - فيما بدا لنا من رسائله - قوي الملاحظة، دقيق الرأي، حسن النيّة. أحبّ منهله، وأحببنا نحن ما يصدر منه في إطار - حسن النية هذا - ويجدنا القارىء اكثر حرصاً وأسعد بالرأي الناصح.

المنهل

جوائز :

جائزة مكتبة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني


جائزة المكتبة

المكتبات العامة المؤسسة على أحدث النظم العلمية، الغنية بالمصادر والمراجع والمطبوعات الخادمة للاغراض العلمية المتنوعة، لا شك لها دورها الفاعل في المحيط العلمي والمعرفي والفكري والثقافي.. وعلى مستوى العالم نجد الكثير من المكتبات العامة التى تخرج من دفتي مجلداتها أجيال واجيال من العلماء والدارسين والباحثين.

وفي إطار هذا الأداء المعرفي تأتي (مكتبة الشيخ على بن عبد الله آل ثاني).. وقد أوقفها للافادة منها.. وتشرف عليها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة قطر.

تعتبر هذه المكتبة من اكبر المكتبات في دولة قطر.. وتحتوي على آلاف العناوين في مختلف العلوم الشرعية والعربية والمعرفة الإنسانية.

ومن أهداف هذه المكتبة:

- المساهمة في معالجة القضايا المعاصرة في ضوء الكتاب والسنة.
- التشجيع على البحث والتحقيق العلمي.. وتقديم الخدمات العلمية للدارسين والباحثين.
- إقامة الندوات والمحاضرات والحوارات العلمية والثقافية والدعوية.

الجائزة:

إسهاما من المكتبة في تشجيع البحث العلمي وطرح القضايا المهمة لدراستها ومعالجتها من قبل المفكرين والباحثين، وحتى يكون ذلك سبيلا للمساهمة في تكوين جيل من العلماء المسلمين في مختلف ميادين العلوم الشرعية، وتحقيقا لهدف الواقف وتقديراً له ، رأى مجلس إدارة المكتبة تخصيص جائزة سنوية في العلوم الشرعية، والفكر الإسلامي، باسم «جائزة مكتبة الشيخ على بن عبد الله آل ثاني» تمنح للبحث أو البحوث المتميزة في فرع من العلوم الشرعية والفكر الإسلامي، وتبلغ قيمة الجائزة خمسين ألف ريال قطري.

يحدد موضوع الجائزة في كل عام من قبل لجنة تشكل لهذا الغرض. ويعتمد من مجلس الإدارة ويتم الإعلان عنه في وسائل الإعلام المختلفة، ويكون ذلك في شهر فبراير (شباط) من كل عام على أن تكون نهاية سبتمبر (أيلول) آخر موعد لتسلم البحوث المقدمة للجائزة ويتم الإعلان عن النتيجة في أول شهر فبراير (شباط) وتوزع

الجائزة في شهر مارس (آذار) من العام التالي.

شروط الجائزة :

- يشترط في البحوث المقدمة أن تكون قد أعدت خصيصاً للجائزة، وألا تكون جزءا من عمل منشور، أو إنتاج علمي حصل به صاحبه على درجة علمية جامعية، وأن تتوفر في هذه البحوث خصائص البحث العلمي، من حيث المنهج والإحاطة والتوثيق وسلامة الأسلوب، والجدة والابتكار.

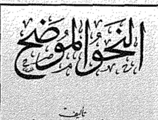
- يقدم البحث من ثلاث نسخ مكتوباً على الآلة الكاتبة ويفضل أن يكون مكتوباً على الحاسوب على ألا يقل عدد صفحاته عن مائتي صفحة، ولا يزيد على ثلاثمائة صفحة فلوسكاب.

- يرفق مع البحث ترجمة ذاتية لصاحبه وثبتا بإنتاجه العلمي المطبوع وغير المطبوع، بالإضافة الى صورة جواز السفر وصورة شخصية حديثة.

علما بأن الأبحاث التي ترسل إلى المكتبة لا ترد سواء فازت بالجائزة أو لم تفز.

- الشيخ على بن عبد الله آل ثاني - عليه رحمة الله - تولى الحكم في قطر في الفترة (١٣٦٨هـ - ١٣٨٠هـ) وتوفي في ١٣٩٤هـ.

كتب واصدارات:



* «**النحو الموضح**» .. للشيخ هاشم/ محمد سعيد دفتردار المدني ، كتاب جديد جمع قواعد النحو بطريقة جديدة ميسّرة لطلاب العلم بعيدا عن التعقيد ، وجاءت في عرض سهل بصور وايضاحات بينة.

واتخذ المؤلف طريقة سرد القصص الشيقة لتوضيح أصعب القواعد النحوية بالاضافة إلى الجداول والصور البيانية والتوضيحية.

واعتمد المؤلف على اعراب جميع الأمثلة التى يوردها لتدريب الطلاب على كيفية الاعراب واكتساب القاعدة النحوية في يسر وسهولة.

والكتاب من الحجم الكبير إذ اشتمل على أكثر من ٢٧٥ صفحة، طبعة دار البلاد للطباعة والنشر بجدّة الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

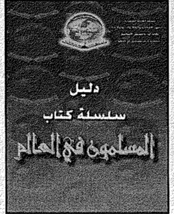
وهذا الكتاب يعد مرجعاً ميسراً لراغبي تعلم قواعد اللغة العربية في زمن يسير وبجهد أقل ومعرفة أوفر.



* «**شعراء حول الرسول**» {صلى الله عليه وسلم} للدكتور عبد الله بن محمد أبي داهش.

استهل الكاتب كتابه بموقف الاسلام من الشعر وكيف أن الاسلام هذّب الشعر وأبعد منه اللفظ الفاحش وأدخل فيه كلمات جديدة لم تكن معروفة من ذي قبل بل وجعله يحث على الأخلاق الكريمة والعادات الحسنة، وكان الشعر أداة صارمة في الحروب والغزوات، ثم انتقل المؤلف الى ذكر عدد كبير من الشعراء الذين عاصروا الرسول {صلى الله عليه وسلم} ودافعوا عن الدعوة الاسلامية بأشعارهم ومن هؤلاء شاعر الرسول {صلى الله عليه وسلم} «حسان بن ثابت» رضى الله عنه وكذا عبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، وعامر بن الأكوع، وخبيب بن عدي .. وغيرهم.

والكتاب من الحجم الكبير يحتوي على ١٧٦ صفحة الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م وهو من اصدارات نادي المنطقة الشرقية الأدبي بالدمام.



* **دليل سلسلة كتاب «المسلمون في العالم»** بالتعاون بين وكالة وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، ومركز البحوث والدراسات الاسلامية بالوزارة صدر دليل سلسلة كتاب «المسلمون في العالم» وهي سلسلة ستصدر شهريا.

وقد اشتمل الدليل على بيانات عامة عن السلسلة وأهدافها ممثلة في التعريف بالبلدان الاسلامية جغرافيا وتاريخيا واجتماعيا، وبالبلدان التي توجد فيها أقليات وجاليات مسلمة وأحوال هذه الأقليات والجاليات دينيا واقتصاديا وعلميا، وأبرز المناشط والمؤسسات والمنشآت الاسلامية، وأهم المشكلات التي يعاني منها المجتمع الاسلامي على أن تتناول الدراسة تصنيفا لتلك المشكلات تيسيرا للبحث في معالجتها.

كما يعرض الدليل ضوابط الكتابة في سلسلة «المسلمون في العالم» وشروط تقديم النص الى الوزارة، واستبانة التحكيم.. كما ألحقت به استبانة جمع معلومات عن الدول الاسلامية والمؤسسات والمراكز المهتمة بالبحوث الاسلامية فيها، والباحثين المتميزين الذين يمكن استكتابهم في أعداد السلسلة وقد وجهت لجنة الاشراف والمتابعة دعوة للعلماء والباحثين للاسهام بما لديهم من بحوث ودراسات ومقترحات في هذا المجال، وارسالها على العنوان التالي:

المملكة العربية السعودية - الرياض • وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد - وكالة الوزارة للشؤون الاسلامية الرمز البريدي (١١٢٣٢).



* «**الأدب المقارن من منظور الأدب العربي**» مقدمة وتطبيق تأليف د. عبد الحميد ابراهيم، يأتي هذا الكتاب ليؤصل للأدب المقارن خلال تاريخ الأدب العربي، فيعقد مقدمة تحاول أن تؤسس لعلم أدب مقارن من منظور عربي اسلامي، ثم يورد تطبيقا يتابع فيه تأثير شكل المقامات على الأدب الأوروبي، سواء في القديم أو الحديث، ولأول مرة يشير الى تأثير شكل المقامات كجنس أدبي له مواصفاته الفنية على الآداب الأوربية المعاصرة وخاصة كافكا في روايته الشهيرة «أمريكا».

وتأتي خاتمة الكتاب لتؤكد أن هذا المنهج يغني من الأدب العربي، ويظهره في موضع الذي يعطي ويؤثر، وليس في موضع الذي يأخذ ويتأثر.

والكتاب من الحجم الكبير ويحتوي على ١٦٨ صفحة وهو من اصدارات نادي المنطقة الشرقية الأدبي بالدمام.

صدر العدد الثالث والثلاثون من مجلة «**البحوث الفقهية المعاصرة**» للأشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة ١٤١٧هـ وهي مجلة فصليّة علمية محكّمة متخصصة تعنى بدراسات الفقه الاسلامي التي تعالج عددا من القضايا المعاصرة

التي تهم كل مسلم في حياته اليومية.
وصاحب هذه المجلة العلمية القيمة ورئيس تحريرها الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بن حسن النفيسه.

واشتمل العدد على موضوعات عدّة متنوعة تتعلق بالحج والأضحية وغيرهما من مسائل في الفقه الاسلامي ومن هذه الموضوعات.

افضل أنساك الحج/ د. عبود بن علي بن درع، المبيت بمنى/ د. عبد الله نذير أحمد.

ذبح الأضحية أيام النحر/ الشيخ منصور بن يونس البهوتي.

عبد الله بن عباس. د/ محمد بن سعد الشويعر.

تحديد الربح في المعاوضات المالية في الفقه الاسلامي للدكتور/ العياشي الصادق فداد.

الارادة المتفردة في الفقة الاسلامى للدكتور عبد الحفيظ رواس قلعة جي.

ومما هو جدير بالذكر أن هذه المجلة تحتوي على جزء كبير باللغة الانجليزية خدمة للدراسات الفقهية.

أصداء :



سعادة الأستاذ الكبير الاخ نبيه الانصاري ـ سلمه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد.

وصلني عدد (الجغرافيا والجغرافيون) وقد سررت به سرورا كبيرا ودعوت الله أن يزيدك قوة على قوة وابداعاً على ابداع انه عدد لا يقدر عليه الا المؤسسات الكبيرة والغنية في الاخراج وكثرة مواده وتنوع المواضيع واختيار الاعلام الذين كتبوا في هذا العدد. إنها لبنة علمية من لبنات الحاضر والمستقبل ولا اشك في أن المجلة ستكون مرجعاً من مراجع البحث ومورداً من موارد المعرفة فجزاك الله خيرا على جهودك وامد الله فى عمرك لزيادة مجهودك، واسلم لاخيك، المعجب بصبرك ومواصلة العمل العلمي الجاد واسلم لاخيك ثانية داعياً لك بالصحة والتوفيق.

«يوسف عزالدين»

المنهل:

أستاذنا الاستاذ الدكتور يوسف عز الدين .. الموقر

لكم من منهلكم خالص الشكر..

الأعداد (المتخصصة والممتازة) مشروع اختطه ورسم ملامحه وسار عليه مؤسس المنهل الاستاذ عبد القدوس الأنصاري ـ عليه رحمة الله ـ وأقول مشروعا لأن العمل في انجاز العدد (المتخصص الواحد) يأخذ من الجهد والتركيز والصبر ما يعدل جهد أعداد عدّه.

وبفضل الله سبحانه، ثم بتواصل العلماء والمفكرين والأدباء من أحباء المنهل استطعنا تطوير الفكرة حتى غدت على ما هي عليه الآن.

ولا نذيع سراً إن قلنا إن المنهل يعاني كثيرا في ملاحقة بعض الكتاب ومراجعتهم وتذكيرهم مرة وثانية وثالثة.. ثم إعادة تذكيرهم سابعة حتى يصلنا استكتابهم.

ولهم منا العذر في هذه الملاحقة.. وتبقى أقلامهم مكان تقديرنا، ومشاركاتهم مكان احترامنا.. ولا نفاخر ولا نباهي إن قلنا إن العدد (المتخصص) من مجلة المنهل يعدل مجلداً

يشارك فيه الجمهرة من صفوة الكتاب في تخصصاتهم.. وهذا بشهادة الرسائل الوافرة من الأساتذة الاكارم.

وفاء:

الاستاذ نبيه الانصاري .. لا عدمته.

ايها الابن الأديب، يا ابن صديقنا الاديب «عليه رحمة الله تعالى» .

احيي في الانصار تآزرهم وحفاظهم على هذا التراث العزيز، واتمنى لهم استمرار العون من الله تعالى والتوفيق.

ان سعيكم في مواكبة العصر ومستجداته، دفع بكم الى التجديد، في كل باب وموضوع، ونهج ومشروع. فها هو ذا منهلنا، بحق يحمل كل ممتع ومفيد من تالد ووليد. ان لي امنية، في ان يعيد اصحاب «المنهل» النظر في إرجاع العنوان «الاكليشه» الخالد، بالخط الثلث الرائع، والذي رسم بريشة الخطاط المبدع - محمد طاهر كردي - عليه رحمة الله تعالى، بدلا من العنوان «الاكليشه» الجديدة بالخط الكوفي. والذي يبدو - لي - وكأنه جرادة بطش بها خف بعير (فضغضها) حيث لا يعرف لها ذيل، من رأس، من «شخانيب» واسمحوا لي ان اسأل: «اين اختفت تلك العبارة الحلوة الخالدة، التي اختارها والدكم عليه رحمة الله تعالى، حيث كانت تزين قاعدة العنوان «الاكليشه» وهي: والمنهل العذب كثير الزحام ؟ اعيدوها .. عافاكم الله تعالى، فان العذوبة لم تنقطع من، ولا عن، هذا المنهل.

واسلموا للمحب

عميد/ هاشم احمد حكيم - جدة

المنهل:

يزيد اعزازنا بمحبي المنهل .. وجميل أن نجد أنفسنا في حدقات عيونهم.

وجميل هذا التواصل المحب الآتي من أعماقهم.. فإليك أستاذنا الـ (حكيم) نسوق التحية والحب موصولين.. وملحظك مكان تقديرنا، وللأيام جديدها ومستحدثها، ويظل المنهل، باذن الله تعالى وتوفيقه، ثم بتواصل أقلام محبيه يحافظ على قوة دفعه في المضمون والمحتوى.. نكرر الشكر والتقدير.. ونسعد حقا بدوام تواصلكم.

مؤسسة الدراسات الفلسطينية:

السادة الأفاضل: دار المنهل للصحافة والنشر

صندوق بريد ٢٩٢٥ - جدة الشرفية ٢١٤٦١ - المملكة العربية السعودية.

بيروت في ٢١ شباط ١٩٩٧م.

تحية طيبة وبعد ..

نكون جد شاكرين لو تفضلتم بتزويدنا بنسخة من الدراسة التالية التي صدرت في مجلة «المنهل» الغراء، وهي:

«المدارس والكليات والمكتبات في مدينة القدس» المنهل، مج ٥٥، عدد ٥٠٨ (أيلول ١٩٩٣)، ص ١٥٢ - ١٥٩.

راجين أن تتكرموا بإرسال صورة عن هذه الدراسة، بواسطة البريد الجوي، على عنواننا التالي:

مؤسسة الدراسات الفلسطينية

المكتبة

صندوق بريد ٧١٦٤ - ١١

بيروت - لبنان

أملين أن تلقى رسالتنا اهتمامكم المعهود.

وتفضلوا بقبول فائق الشكر والتقدير

منى نصولي - أمينة المكتبة

المنهل:

يسعدنا أن نرسل لكم ما طلبتم، وزيادة، ونشير الى ان مجلة المنهل كانت تضم في داخلها مجلة شهرية باسم (فلسطيننا) شارك بالكتابة فيها عدد كبير من مشاهير الكتاب والشعراء والأدباء الفلسطينيين والعرب.. ونظنها يمكن أن تسد ثغرة في الدراسات الفلسطينية وهذه المجلة كانت تمثل جهداً علميا وثقافيا وادبيا في خدمة القضية الفلسطينية.

هموم:
الطفولة .. والأمومة

علامات استفهام لا تنقضي.. أي نوع من الطفولة يكون غدا .. وأي نوع من الأمومة يكون غدا.

طفل الأنابيب.. كان البداية .. حلَّ مشكلة معقدة .. وأعاد حلماً جميلا لنساء طالما حلمن بالطفولة والانجاب..

ولكن..

كانت الدهشة عند ظهور أول مشكلة في جنوب افريقيا، لُقِّحت (الجدة) بالجنين لتحمل عن بنتها.. وثار الجدل (الاخلاقي) هل هذه (الجدة) التى حملت الجنين تسعة أشهر، هل هي الأم لهذا الجنين بحكم الحمل فقط؟ وبالتالى تكون (أماً) لبنتها ، ولجنين بنتها..؟

وبعد أن وضعت الجدة الوليد حسن في عينيها، وثارت فطرة الأمومة فيها واعتبرته وليدها شرعاً وقانونا، ولم تعطه لأمه الحقيقية التي هي أيضا بنتها..

وتتوالى الدهشات في العقدين الأخيرين من هذا القرن.

بنوك الأجنة ، الأمومة البديلة ، الارحام الاصطناعية، الأرحام المستأجرة ، البويضات المجمدة، ثم يأتي موضوع الاستنساخ ليكون العاصفة.. والبقية تأتي.. كما يقولون.. المورثات والأجنة، بقدر ما هي علم يساعد البشر على تخطي الكثير لمشكلاته الصحية والمرضية والعلاجية، فإنها قد أصبحت من الجانب الآخر واحدة من هموم البشر الكبرى وما ذلك إلا لأن هذا العلم قد انفلت زمامه، وأصبح مقاداً للأهواء، والرغبات الشخصية..

أرحام تُستأجر، وبويضات تُشترى، وأجنة مجمدة لا يُعلم مرجعها..

ولادات تستخدم في معامل البحث، وأجنة تفكك أعضاؤها لتباع (قطع غيار) لمن يدفع اكثر.

مؤسسات وشركات و(مافيات) و(بلطجية) تظهر في عالم (الأجنة) تبيع، وتشتري ، وتستبدل، بل توصل خدماتها للراغبين إلى عناوينهم حسب الطلب.

إنه عالم انفلت قياده..

محمد السمان ـ السودان

إلى رحمة الله..
فضيلة الشيخ محمد بن اسماعيل الأنصاري

واحد من العلماء المعدودين في المملكة العربية السعودية حفظ القرآن الكريم في الصغر، وتلقى العلم وهو لم يجاوز الخامسة عشرة من عمره.. برع في العلوم الدينية والشرعية والفقهية، دراسة وكتابة وبعد نظر.

جلس إلى مجموعة من المشائخ والعلماء في علوم الفقه والعقيدة وعلوم العربية.

* ومن مشائخه الذين تلقى عنهم العلم:

محمد بن عبد الرحمن الأنصاري، محمد بن تاني الأنصاري، محمد بن هارون الادريسي، محمد الامين بن تاني الانصاري، احمد بن محمد الصالح (مقا) .. وغيرهم كثير.

* عمل في مجالات عدة، حيث عمل مدرساً بالمدرسة الصولتية ١٣٧٠هـ. ومدرساً بالمعهد العلمي السعودي في ١٣٧٤هـ وفي ١٣٨٢هـ عيّن عضواً في دار الافتاء والدعوة.. كما عمل قبل ذلك مدرساً في معهد إمام الدعوة في الرياض وعمل دارساً وباحثا ومنقبا في كتب الأصول والمخطوطات.

خلال حياته العلمية والعملية ألَّف مجموعة من الكتب والدراسات منها:

- الامام بشرح عمدة الاحكام في مجلدين.
- التحفة الربانية بشرح الاربعين النووية وتكملتها للحافظ ابن رجب.
- الارشاد في القطع بقبول حديث الآحاد.
- سند قصيدة بانت سعاد.
- تعقيبات على أسئلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني.

* وحقق مجموعة من المخطوطات منها:

- الفقيه والمتفقه للحافظ البغدادي.
- الامر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال.
- النهاية للحافظ ابن كثير.

* هكذا قضى الشيخ الأنصاري حياة حافلة بالعلم والعطاء العلمي الموثق الدقيق، حتى وافاه أجله في الخامس والعشرين من ذي القعدة ١٤١٧هـ في مدينة الرياض .. رحمه الله رحمة الابرار.

استطلاع مصور:

الصيد الجائر، الرعى الجائر، والاحتطاب الجائر، ردم البرك، تجفيف المستنقعات - إنحسار مساحات المراعى والغابات - الإزدياد البشرى المضطرد على هذا الكوكب، والذى حدا بالانسان إلى استحداث تطوير سريع في مجالات الصناعة والزراعة، استخدام المواد الكيميائية المتنوعة، كل ذلك أدى إلى ارتفاع معدلات التلوث على الأرض وفي الجو وفي الماء.

لقد غيّر الإنسان فيزيائية البيئة الطبيعية التى عاشت فيها الحيوانات والطيور والأسماك .. مما أدى إلى انخفاض حاد في أعداد الأحياء الفطرية بل وانقراض بعضها.

المملكة العربية السعودية - وهى جزء من هذا العالم - ذات بيئة تميزها من غيرها خصائص طبيعية متفردة - فوديانها وشعابها وسهولها وشطئانها وحتى جبالها زاخرة بالحيوات الحيوانية والنباتية فضلا عن الطيور المتعددة الأنواع التى تملأ سماها.

- صاحب السمو الملكى الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود.

حماية الحياة الفطرية

انقراض الانقراض

إعداد:
يعقوب السيد حسنين
- جدة -

ومن منطلق تقدير المملكة للأهمية البالغة لهذه الثروات الطبيعية كان من الضروري المسارعة إلى تأسيس هيئة متكاملة للاضطلاع بمهام المحافظة على هذه الثروات والعمل على إنمائها.

والشيء من معدنه لا يستغرب .. أليس من على هذه الأرض شع نور الحق - وانتشر منها الإسلام لينير جنبات الدنيا..؟

الاسلام الحنيف دعانا إلى احترام حق تعايش كل الكائنات

على الأرض، وفي آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ما يحض ويحث ويحرض على هذا التعايش، فقد قال تعالى في سورة هود (آية/٦١){هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها}، وقوله تعالى: {وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم.. الآية} (الأنعام/١٠٥)، وقوله تعالى: {وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها}، وقوله تعالى: {ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما تفعلون} (النور/ ٤١)، ثم سخر لنا كل شيء ، فقال سبحانه وتعالى: {وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر (النحل/١٢) ، {وهو الذى سخر لكم البحر لتاكلوا منه لحما طريا} (النحل/١٤)، {ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض والفلك } (الحج/٦٥).

وقال عز من قائل: {والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة... الآية} (النحل/٨) والآيات الكريمة كثيرة.

ومن أحاديث الرسول {صلى الله عليه وسلم} «دخلت امرأة النار في قطة حبستها فلا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض.

والاسلام - ولله الحمد والمنة - سباق في كل أمور الدين والدنيا فهذا الذى أوصانا به من أربعة عشر قرنا .. لم يتنبه إليه العالم إلا في عام ١٨٧٢م حيث أنشئت محمية يلوستون (Yellowston) كأول محمية وطنية في العالم.. والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

- صاحب السمو الملكى الأمير سعود الفيصل .

- الدكتور عبد العزيز أبو زنادة أمين عام الهيئة.

الوليد العملاق:

باهتمام وحرص بالغين من لدن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود - يحفظهما الله - صدر نظام الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وانمائها بموجب المرسوم الملكي الكريم رقم م/٢٢ وتاريخ ١٤٠٦/٩/١٢هـ - لرعاية النظم البيئية الطبيعية في المملكة وتأكيد حماية التنوع الاحيائى على المستويين الوطنى والدولي وقد روعي فى تشكيل الهيئة إشراك الوزراء والمسئولين فى الأجهزة الحكومية ذات العلاقة بحماية الموارد الطبيعية لضمان منع الازدواج في مجهوداتها من خلال التنسيق بين هذه الجهات:

- غزلان الريم والأدمى - تحت الأسر - في المسيج الرئيسي.

«والهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وانمائها» هيئة حكومية ذات شخصية اعتبارية ترتبط مباشرة برئيس مجلس الوزراء، ويتألف مجلس إدارتها من:

* صاحب السمو الملكى الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام - رئيسا للمجلس.

* صاحب السمو الملكى الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية - عضوا منتدبا.

* صاحب السمو الملكى وزير الداخلية - عضوا.

* صاحب السمو الملكى أمير منطقة الرياض - عضوا.

* صاحب السمو الملكى أمير منطقة عسير - عضوا.

* صاحب المعالى وزير الزراعة والمياه - عضوا.

* صاحب المعالى وزير البترول والثروة المعدنية - عضوا.

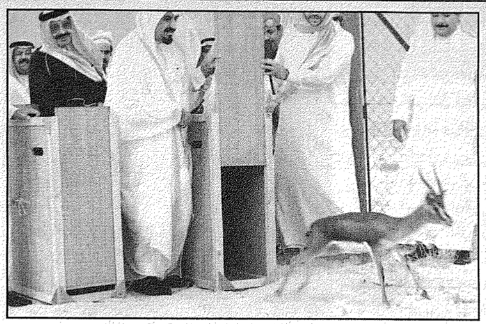
* صاحب المعالى رئيس مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية - عضوا.

* صاحب السعادة رئيس مصلحة الإرصاد وحماية البيئة - عضوا.

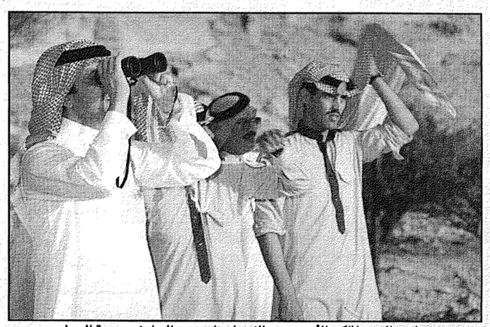
* صاحب السعادة أمين عام الهيئة.

وقد أنيط بالهيئة الموقرة العناية بالحياة الفطرية البرية والبحرية فى المملكة وحمايتها وانمائها للوصول الى المستوى الأمثل وتحقيق مبدأ الاستغلال المرشد لها.

وتمشيا مع مواد الوثيقة التى اعتمدها أصحاب الجلالة والسمو ملوك وأمراء دول مجلس التعاون الخليجي الموقعة في الثانى والعشرين من صفر عام ١٤٠٦هـ المصادف لليوم السادس من نوفمبر ١٩٨٥م. فقد اختطت الهيئة لنفسها استراتيجية عمل ترتكز على محورين أساسيين:



الامير سلطان يطلق الريم والمها في المحميات.



- صاحب السمو الملكى الأمير سعود الفيصل يتابع سير العمل في محمية الوعول.

١ ـ إقامة المناطق المحمية في المواقع ذات الأهمية البيولوجية.

٢ ـ إنماء وإعادة تأهيل الأنواع المهددة بالانقراض والنادرة من خلال برنامج الإكثار ـ تحت الأسر ـ وإعادة التوطين في البيئات الطبيعية.

نظام المناطق المحمية:

وعن نظام المناطق المحمية صدر مرسوم ملكي كريم بتاريخ ١٤١٥/١٠/٢٦هـ من ثماني عشرة مادة نصت المادة الثالثة عشرة منها على الآتي:

«مع عدم الاخلال بما تقضى به الأنظمة الأخرى، يعتبر مخالفة لاحكام هذا النظام القيام في المناطق المحمية بأى عمل من الأعمال الآتية:

١ ـ الصيد في جميع أشكاله ووسائله ما لم يتم وفقا للقواعد التى يصدرها مجلس الادراة.

٢ ـ التعرض لمسيجات المناطق المحمية.

٣ ـ الاحتطاب أو الرعى أو الزراعة أو التبعيل داخل المناطق المحمية ما لم يتم وفقا للقواعد التى يصدرها مجلس الادارة.

٤ ـ حصاد المواد النباتية أو جمعها أو تحطيم فصائلها أو قطعها أو تشويهها أو استئصالها أو قطعها أو أخذها من المناطق المحمية بأية طريقة كانت أو اتلاف الاشجار الحية.

٥ ـ رمي النفايات والمخلفات بجميع أشكالها.

٦ ـ إحداث أي عمل له أثر سلبي على الأحياء الفطرية داخل المناطق المحمية.. لم يُنصّ عليه آنفا.

حقائق وأرقام:

ولكي يكون حجم الجهود والطاقات والأموال التى بذلت وتبذل في هذا المجال على درجة من الوضوح نشير الى بعض الحقائق:

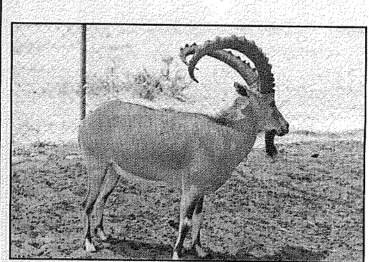
أولا: تشكيل الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها على هذا المستوى الرفيع جدا من رجالات الدولة.

ثانيا: تهيئة الكوادر البشرية المعاونة من المتخصصين وأصحاب الكفاية فى المجالات ذات العلاقة بحماية البيئة والموارد الطبيعية.

ثالثا: تنظيم دورات تدريبية داخل المملكة وخارج المملكة وابتعاث العاملين والمعاونين بالهيئة لتنمية مهاراتهم وإطلاعهم على كل جديد فى مجالات الحياة الفطرية.

رابعا: الاتصالات الدولية بالهيئات ذات العلاقة لتبادل المعلومات والخبرات.

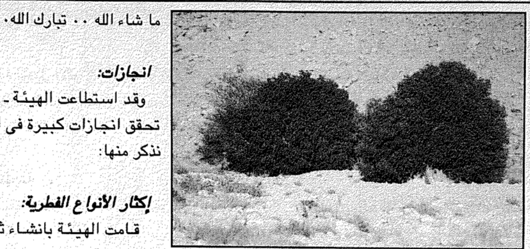
خامسا: إنشاء مراكز للأبحاث، ومركز للمعلومات، وأقسام للمراقبة الجوية والمراقبة الأرضية والاتصالات اللاسلكية ومراقبة بالأقمار الصناعية وغيرها.. إضافة الى متحف وطنى للتاريخ الطبيعي لتوفير نماذج ايضاحية عن جميع أنواع الحياة الفطرية في المملكة.



ـ الوعل النوبي زادت أعداده في محمية الوعول.



ـ ازدهار ونماء في الغطاء النباتى بالمناطق المحمية.



- استزراع شجر الأثاب في محمية الدعول.

سادسا: تخصيص ١٠٪ من المساحة الكلية المملكة للمحميات.. وهي مساحة ليست بالقليلة.. ولكي نقربها الى الأذهان نقوم بهذه الحسبة:

المساحة الكلية للمملكة العربية السعودية هي ٢ر٢٤٠ر٠٠٠ (مليونان ومئتان وأربعون الف كم٢)، وبحسبة بسيطة نجد أن الـ ١٠٪ المخصصة للمحميات بالمملكة تساوى ٢٢٤٠٠٠ (مائتين وأربعة وعشرين ألف كيلومترا مربعا)، وهذه المساحة تُعدّ اكبر من المساحة الكلية لأربع دول أوربية هي:

البرتغال : ٩٢٠٧٢ كم٢.

الدانمرك : ٤٣٠٩٣ كم٢.

هولندا : ٤١٨٦٤ كم٢.

سويسرا : ٤١٢٩٣ كم٢.

ومجموعها يساوى ٢١٨٣٢٢ كم٢ - أي أن المساحة التى خصصتها المملكة العربية السعودية للمحميات أكبر من المساحة الكلية لكل هذه الدول مجتمعة.

وللعلم فعدد المحميات الوطنية في العالم ٢٦٠٠ محمية تقوم على أربعة ملايين كيلومترا مربعا - أى أن المحمية الواحدة فى المتوسط تشغل ١٥٣٨ كم٢ - ولو علمنا أن المحميات والملاذات بالمملكة ١٤ محمية (اربع عشرة محمية) فإن متوسط مساحة المحمية الواحدة فى المملكة يصل الى ١٦٠٠٠ (ستة عشر الف كم٢ (٢٢٤٠٠٠ تقسيم ١٤) = ١٦٠٠٠ كم٢ (ستة عشر الف كيلو مترا مربعا).

ما شاء الله .. تبارك الله.

انجازات:

وقد استطاعت الهيئة - بعمرها الفتي - أن تحقق انجازات كبيرة فى العديد من المجالات نذكر منها:

إكثار الأنواع الفطرية:

قامت الهيئة بانشاء ثلاثة مراكز بحثية متخصصة هي:

١ - مركز الملك خالد لأبحاث الحياة الفطرية بالرياض (الثمامة).

٢ - المركز الوطنى لابحاث الحياة الفطرية بالطائف.

٣ - مركز الأمير محمد السديري لابحاث الغزال بالقصيم.

حماية الحياة الفطرية:

تم إعلان مناطق التيسية والجندلية وسجا وأم الرمث ونفود العريق ملاذات لإعادة توطين طائر الحباري.. ومن خلالها تم التوصل الى أفضل الوسائل العلمية لإطلاق الحباري وفقا للأعمار المختلفة.. واستمر العمل في مراقبة طيور نسر الأذون حيث سجلت زيادة مضطردة في اعدادها.. وتم تركيب أجهزة متابعة لاسلكية على عدد من أفراخها لمعرفة تحركاتها وسلوكها وانتشارها.

انماء الأحياء الفطرية:

تحقق مزيد من النجاحات وزادت أعداد المها الى ٢٣٠ مئتين وثلاثين رأسا، وبلغت نسبة الزيادة في الجيل الثالث ٢٠٠٪ هذا وفي إطار التنوع الوراثى في المها اضيف أحد ذكور المها من (أبو ظبى) إلى الجيل الأول بالمركز الوطنى لابحاث الحياة الفطرية. كما تم اضافة ذكر من المها من أصول بحرينية الى المجموعة الموجودة بمركز الملك خالد لابحاث الحياة الفطرية بالثمامة، وقد استمر المركز الوطنى لابحاث

الحياة الفطرية بالطائف في اكثار الحمار البري الآسيوي.

إنماء الأنواع النباتية:

أجريت سلسلة من الاختبارات الدورية لتقدير حيوية البذور وأضيفت كميات أخرى من بذور الطلح والعوسج والقضيم - وتمثل البذور المحفوظة في المركز نحو خمسة وستين نوعا، واستمر العمل في انشاء عدد من المشاتل الخاصة باشجار الشورة في فرسان والخليج العربي، وتم استزراع نحو ثلاثة آلاف شتلة في خور فرسان وألف شتلة على جزيرة السقيد، ونحو عشرة آلاف شتلة وألف وستمئة بذرة على الساحل الجنوبي لمدينة جدة - وفي الخليج العربي تم استزراع نحو الفين واربعمئة بذرة على ساحل الخفجي ورأس مشعاب وساحل تناجيب وشاطيء الغروب.

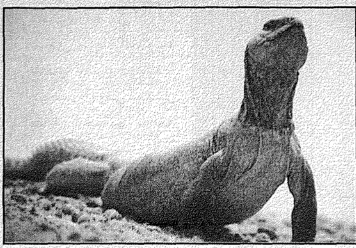
الدراسات والبحوث:

تمخضت الأنشطة العلمية للهيئة عن نشر نحو عشرين بحثا في مجلات علمية وطنية ودولية - ونحو خمسين بحثا وتقريرا متوفرا بمركز معلومات الهيئة.

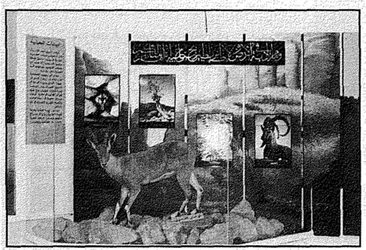
فمنها دراسة السلاحف البحرية في الخليج العربي التي تشير إلى أن نسبة الفقس في جزيرة كاران قد بلغت نحو ٨٥٪ للسلاحف الخضراء وازدياد في نسبة الفقس في أعشاش السلاحف ذات منقار الصقر.

وهناك دراسة بيئية عن الضب بالتعاون مع جامعة الملك سعود للتوصل الى أفضل الوسائل الكفيلة بحمايته من خطر الانقراض بسبب استمرار هواية الصيد لدى محبيه.

ودراسة الطيور المتوالدة في الجزيرة العربية، ومازال العمل مستمرا في دراسة الطيور الجارحة باستخدام الأقمار الصناعية.



- الضب.



- التوعية البيئية من خلال المتاحف والمعارض والمهرجانات.

الأنظمة الوطنية لحماية الحياة الفطرية:

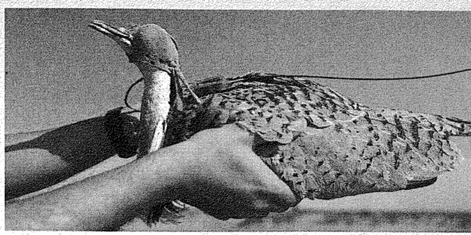
تضمن بيان موسم تنظيم الصيد حظر الصيد بكافة أشكاله في منطقة الربع الخالي - مما يدعم جهود الحماية ويساعد على القيام بمشاريع اعادة التوطين في محمية عروق بني معارض.

كما طرحت عدة مشروعات من ابرزها نظام المناطق المحمية ونظام الاستثمار التجاري في الحياة الفطرية المهددة بالانقراض.

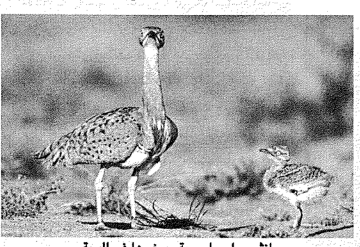
الاعلام والتوعية البيئية:

يستمر مركز الزوار في استقبال مجموعات الطلاب والمواطنين وأعضاء الجاليات الأجنبية والسفارات كما تم انتاج حوالي سبعمئة وخمسين دقيقة بث تلفزيوني .. اضافة الى عدد كبير من

الاصــــدارات مـن ابرزهـا صــدور مــجلة الحــيـاة الفطرية العــربيـة (باللغـة الانجليـزية) وفـي سـبـيل اصدار شقيقتها باللغة العــربيــة إن شــاء الله، واقــيــمت مــعــسكرات استزراع اشجار الشوره والقندل في فــرســــان وأشـــجـــار الأثاب فـى مـحمية الوعول، اضافة الى الاشتراك فى عدد من المعارض كالمعرض الأول للسـيـاحـة الوطنيـة ومـعـرض مـشـروع التوعية البيئية السعودى، والمهرجان الوطنى للتراث والثقافة بالجنادرية. كما تم ولأول مرة تكوين مـجـمـوعـات الاتصـال المبـاشـر مع المواطنين والتى بدأت تجـربتـهـا فى المناطق المحيطة بمحمية عروق بني معارض فى اطار الاستعدادات لاعادة توطين المها العربي وغزال الريم.



- طائر الحبارى مزود بجهاز ارسال ليمكن متابعته بعد اطلاقه في مواطنها الطبيعية.



- انثى حبارى اسيوية وصغيرها في البرية.

المعلومات والتوثيق:

لدعم وتعزيز خدمات المعلومات بالهيئة - تم إدخال جزء كبير من البيانات فى قواعد المعلومات المتعلقة بالحفاظ على الحياة الفطرية وبيئاتها الطبيعية. كما تم تعزيز مقتنيات المكتبة التخصصية بزيادة قدرها ٢٠٪ وبلغ عدد الوثائق فى مركز المعلومات ١٣٨٣ وثيقة، وبلغ اجمالي مقتنيات المعشبة اكثر من ١٥٠٠ نوع نبـاتي - والى جـانب إصـدار العـددين الأول والثاني من مجلة الحياة الفطرية العالمية صدرت عدة كتيبات أخرى منها كتاب طيور الحبارى وكتيب السياحة البيئية وكتاب الوعول ودليل الاتجار في الحياة الفطرية وكتاب طيور الرياض.

تطوير الموارد البشرية:

فى هذا المجـال تم تنظيم عـدة دورات تدريبيـة وابتـعـاث عـدد من منسوبي الهيئة داخل وخـارج المملكة لتنمية مهاراتهم وقدراتهم الوظيفية.

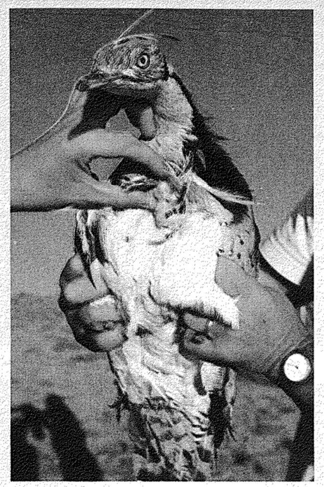
التعاون الدولي:

تقديرا لجهود المملكة المتميزة فى هذا المجال عقد بمقر الأمانة العامة للهيئة الاجتماع الأول للمجلس الاستشارى الاقليمى للاتحاد الدولى لصون الطبيعة لاقليم شـمـال أفريقيـا ووسط وغرب آسيا - واختير أمين عـام الهيئة الأستـاذ الدكتور عبد العزيز أبو زنادة رئيسا للمجلس - وقد شاركت الهيئة بممثلين في عدة لقاءات دولية متخصصة.

وحدة إكثار طيور الحباري:

عن هذه الوحدة قال صاحب السمو الملكى الأمير سعود الفيصل - وزير الخارجية - العضو المنتدب للهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها:

«انطلاقـا من اهتـمـام حكومـة خـادم الحـرمين الشـريفين - أيده الله - بحـمـاية الحـيـاة الفطرية والمواطن الطبـيـعـيـة فى المملكة عن طريق الدعم



ـ الفحص الطبي لطائر الحباري.

المتواصل لجهود الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها، قامت الهيئة بانشاء وحدة إكثار طيور الحباري فى المركز الوطني لأبحاث الحياة الفطرية بالطائف عام ١٩٨٦م لتعمل من خلال برنامج زمني محدد على تحقيق هدف إعادة طيور الحبارى إلى سابق عهدها في المواطن الطبيعية التي كانت تعيش فيها بالمملكة.

ويعتمد التخطيط لتحقيق هذا الهدف الهام على أمرين:

الأول: اكثار طائر الحبارى ـ تحت الأسر ـ وتعهده حتى يتمكن من انتاج أسراب يمكنها التكاثر ذاتيا تحت الظروف الطبيعية فى البرية بالمملكة.

الثاني: اعادة إطلاق هذه الأسراب وتوطينها فى مواطنها الطبيعية السابقة داخل منظومة من المناطق المحمية لتتكاثر طبيعيا وتزدهر.

ويعتبر برنامج إعادة طيور الحبارى الى سابق عهدها فى مواطنها الطبيعية بالملكة العربية السعودية، الذى تقوم به وحدة إكثار الحبارى بمركز الطائف أكبر برنامج لاكثار الحبارى طموحاً واكثرها نجاحا فى العالم كله على جميع المستويات الاقليمية والعالمية وكان لجهود المملكة المبذولة فى هذا المضمار أثرها العميق فى تأكيد ما ألزمت به نفسها تجاه المحافظة على الحياة الفطرية وحماية التنوع الأحيائي في المواطن الطبيعية فيها عن طريق إنماء الأنواع النادرة والمهددة بالانقراض واعادة تأهيلها في مواطنها الطبيعية.

وقد أدى ذلك إلى أن تشغل المملكة العربية السعودية مركزا رائدا فى هذا المجال يضعها فى مقدمة دول العالم، فضلا عن إكساب المملكة خبرة نادرة في مجال إكثار الحبارى تحت الأسر لا تتوفر في معظم دول العالم.

وأضاف سموه:

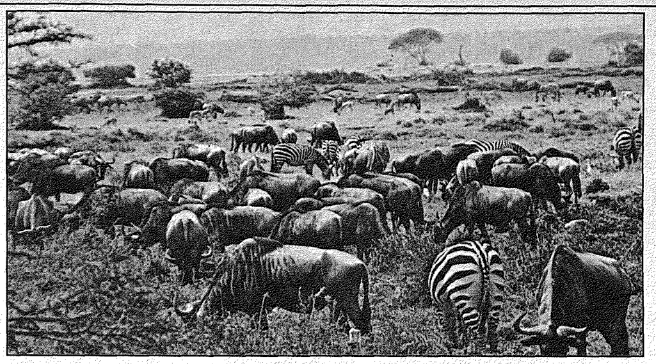
وتقوم الهيئة حاليا باعداد المعلومات الهامة المتجمعة لديها من نتائج الدراسات العلمية والفنية للمشروع لنشرها فى كتاب مرجعى هام يستفيد منه العاملون في جميع أنحاء العالم وفي برامج اكثار الطيور الفطرية واعادة تأهيلها وتوطنيها فى مواطنها الطبيعية مما يعتبر إضافة ممتازة لكل من المكتبات المحلية والدولية.

واستطرد سموه:

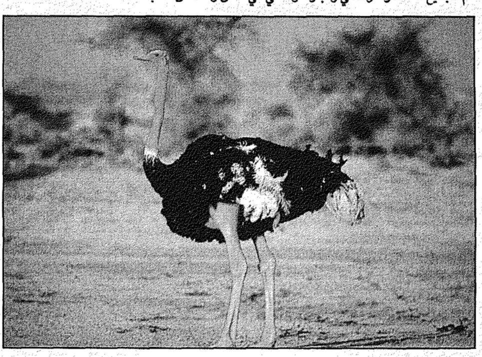
ولا شك فى أن دعم المقام السامى الكريم ومتابعة سمو ولي العهد الأمين وتوجيهات سمو النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء ـ رئيس مجلس إدارة الهيئة ستدفع الهيئة قدما فى سبيل تحقيق الآمال المعقودة عليها والأهداف المنوطة بها لإعادة المواطن الطبيعية فى المملكة نابضة بالحياة زاخرة بأنواع الأحياء الفطرية الجميلة التى تميز بيئتنا الفريدة الرائعة.

اتفاقية سايتس CITES :

إتفاقية التجارة الدولية في الأنواع المهددة بالانقراض من مجموعات الحيوان والنبات البرية..



ـ الطعام للجميع ـ الحمار الوحشي والبقر الوحشي في مكان واحد من الغابة.



ـ النعامة الافريقية ذات الرقم الحمراء والشبيهه بالنعامة العربية التى انقرضت منذ خمسين عاما.

وهذه الاتفاقية انضمت إليها المملكة العربية السعودية ـ بصفة مراقب فى العام ١٤١٠هـ ـ ثم أصبحت عضوا كاملا بالاتفاقية بموجب المرسوم الملكى الكريم رقم م/٩ وتاريخ ١٤١٦/٥/٨هـ.

وتتضمن هذه الاتفاقية خمسة وعشرين مادة، وترمي في مضمونها الى هدفين أساسيين:

١ ـ العمل على المحافظة على مجموعات الحيوان والنبات البرية بكل اشكالها بوصفها جزء من النظم الطبيعية في الأرض ويجب أن تتوفر لها الحماية من أجل الجيل الحاضر والأجيال المقبلة.

٢ ـ عدم الإستغلال المفرط عن طريق التجارة الدولية واتخاذ الاجراءات الكفيلة بالوصول لهذا الغرض.

اتفاقية بون BOON :

اتفاقية حفظ الأنواع المتنقلة من الحيوانات المتوحشة .. وهذه الاتفاقية انضمت إليها المملكة العربية السعودية بموجب المرسوم الملكى رقم م/٢٧

وتاريخ ٢٦/١١/١٤١٠هـ.

وتتضمن هذه الاتفاقية عشرين مادة تدور حول:

* وجوب المحافظة على الحيوانات المتوحشة بأشكالها المتعددة لكونها تُكوِّن جزءا لا يعوض من النظام الطبيعي لعالمنا.

* اعتبار أن هذه الكائنات ثروة وأمانة يجب المحافظة عليها وصيانتها لتسليمها للأجيال المقبلة في أفضل صورة.

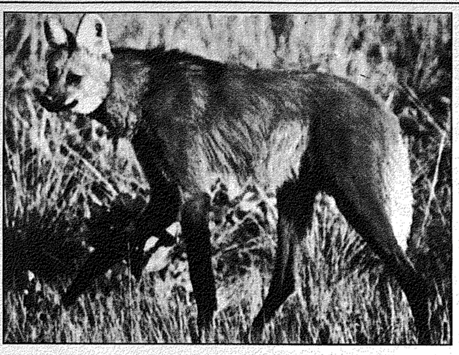
* الاستفادة من القيمة المتزايدة لهذه الحيوانات من الناحية البيئية والوراثية والعلمية والجمالية والترويحية والثقافية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية.

* الزام الدول - أطراف الاتفاقية - بحماية أنواع الحيوانات المتنقلة التى تعيش فى نطاق سيادتها الوطنية أو تجتازها.

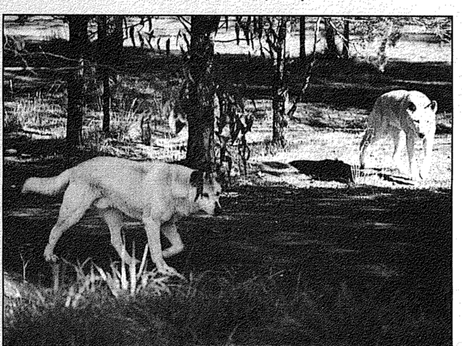
* التنبيه الى وجوب العمل الجماعي من قبل جميع الأطراف - حيث تقضى هذه الأنواع طورا من أطوار حياتها داخل حدود السيادة لتلك الدول.

وألحق بالاتفاقية عدد من الملاحق - تشمل الأنواع المتنقلة المهددة، والأنواع المتنقلة التي ينبغي أن تكون موضع اتفاقيات.

ويجدر الإشارة هنا أنه قد تم تعيين كل من صاحب السمو الملكى الأمير سعود الفيصل العضو المنتدب للهيئة وسعادة الدكتور عبد العزيز حامد أبو زنادة أمين عام الهيئة - عضوين دائمين فى المجلس العلمى للاتفاقية - كما تبوأت المملكة العربية السعودية مقعد آسيا فى عضوية اللجنة الدائمة للاتفاقية.



- الذئب ذو اللبدة - من الحيوانات المتوحشة.



- كلاب الدنجو البرية المفترسة.

التوازن البيئى:

وقد يسأل سائل .. هل تستحق الحيوانات

والزواحف والطيور كل هذه المجهودات الجبارة - وكل هذه الأموال التى تصرف على حمايتها من الانقراض؟ وهل تفيدنا هذه الكائنات بالقدر الذى يتساوى مع جهودنا وأموالنا المبذولة من أجلها؟

والاجابة على هذه التساؤلات ستكون (ضمنية) أي أنها إجابة تُستقى من عبر تؤكد أن التوازن البيئي والتعايش بين كل الكائنات على الأرض - مطلوب كما قدر الله له أن يكون:

ولنطالع معا هذه المؤكدات:

(١) *حوار بين الذبابة والزهرة.*

يقول الأستاذ الدكتور/ حسين أمين - الطبيب العالم والكاتب المعروف «إن التنسيق بين الكائنات هو المدخل الذى نحادث به الانسان ونقنعه بأن العلم الحديث لا يتناقض مع الايمان بل يؤازره ويسانده ويعضده» وأورد مثالا: بزهرة برية جميلة الشكل تنمو بالقرب من سطح الأرض، وهى كبيرة الحجم فمتوسط قطرها متر واحد.

وهذه الزهرة لا يتم تلقيحها إلا بواسطة الذباب، ولكي تجتذب الزهرة الذبابَ فإنها تُخْرِجُ رائحة تشبه تماما رائحة اللحم المتعفن وهى رائحة شديدة الجاذبية بالنسبة للذباب.

وأنا أسأل : هل اتفقت الزهرة والذبابة على التنسيق بينهما وتبادل المنفعة، فتتمتع الذبابة بالرائحة والغذاء الذى تحبه، وتستفيد الزهرة باللقاح الذى يضمن لها الديمومة والاستمرارية؟

وهل تفهم الزهرة وهى نبات لغة الذباب وهى حشرة؟.

إنه التنسيق الإلهي الذى أودعه الله فى خلقه - لا خلل ولا صدوع، والحمد والمنة للعزيز القائل: {وفي خلقكم وما يبثُّ من دابة آيات لقوم يوقنون} (سورة الجاثية/٤).

(٢) *طيور الصين:*

فى الصين وجدوا أن الطيور أكلت جزءا ليس بالقليل من محاصيل الحبوب التى نشروها للتهوية والتجفيف في موسم الحصاد.. وتساءل المسئولون .. أما من وسيلة لحماية هذه المحاصيل من الطيور.. وتوفير كمية الحبوب التي تلتهمها الطيور؟ وكلف المسئولون وسائط الإعلام والاعلان بشحذ همم مواطنيها المزارعين للتصدى لهذه الطيور.. وبالفعل كان المزارعون يصرفون وقتا غير قليل في مطاردة الطيور بالتلويح فى الهواء بأقمشة ملونة بعد أن فشلت كل (خيالات المآتة) والشواخص الخشبية التي وضعوها على رؤوس الحقول فى إبعادها عن الأراضى الزراعية - حيث ألفتها الطيور ولم تعد تخشاها.

وأخيرا وجدوا الحل على يد عبقري جهبذ .. قدم للمسئولين فكرة تقضي على كل الطيور فى زمن لا يزيد عن ساعتين .. وأعجب المسئولون بالفكرة ووجدوا فيها ضالتهم.. بل كانت تحقق لهم أكثر مما أملوا .. فهذه الفكرة لن تكلفهم شيئا على الإطلاق.

وتعتمد الفكرة على دعوة كل المواطنين فى طول البلاد وعرضها بالقيام في وقت واحد - فى ساعة حددها المسئولون وسط النهار لحمل جسمين من المعدن أو الخشب وطرقهما ببعضهما.

وفي ساعة الصفر التى حددت بدأ المواطنون بالطرق وأحدث ذلك جلبة وضوضاء شديدتين أزعجت الطيور وروعتها - ما كان طائرا منها وما كان فى الأعشاش، واستمر الطرق والضوضاء، واستمرت الطيور فى طيرانها منزعجة هلعة، وكانت أينما تتجه تجد الضوضاء، ولم تجد مكانا هادئا تحط فيه الى أن انهكت وانهارت وسقطت على الأرض بالآلاف.. وانتهت وخلت سماء الصين من كل أنواع الطيور.

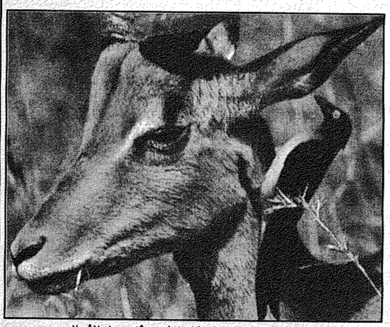
وفي الموسم الزراعى التالي حرثت الأرض وبذرت البذور - ورويت الحقول، وتم كل ذلك بعناية شديدة - وفي انتظار النبتة الجديدة، وبزغت زروع تفتقت عنها البذور، لكنها عجفاء صفراء عديمة اليخضور.

وعكف العلماء والمختصون على دراسة الأسباب التى أدت إلى هذه الكارثة الزراعية وتوصلوا إلى أن الآفات والديدان كانت السبب المباشر والتى كانت

تقوم الطيور بتخليصهم منها أولا بأول.

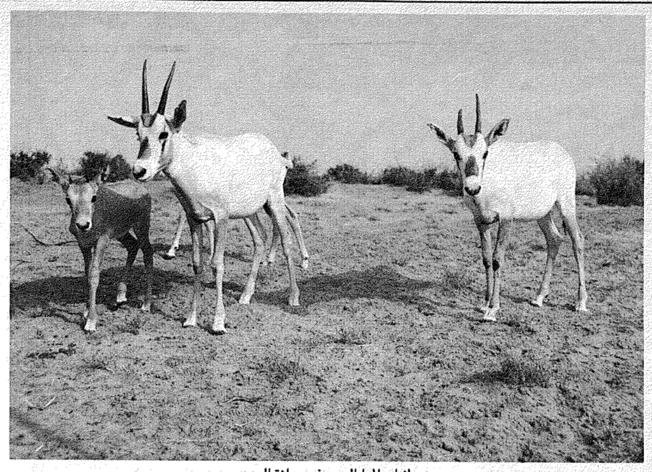
ولنا أن نتصور حال الصين الواسعة السهول، الكثيرة الأنهار التى تزيد مساحتها عن تسعة ملايين ونصف المليون كيلومترا مربعا - والتي انتاجها الزراعى من الوفرة بحيث يواجه أفواه سكانها الذين يزيدون عن ألف مليون من البشر - لنا أن نتصور وضعها الاقتصادي عندما يتوقف انتاجها من زراعاتها التى توفرها لشعبها كل عام من القمح والذرة والأرز وقصب السكر والجاوراس والجوت والقطن والفول السوداني والسوجا والشاي.

وبالتبعية تتوقف المصانع التى تقوم بتصنيع ناتج هذه الزراعات.. وأفاق من دارت رؤوسهم بنشوى نصر زائف على الطيور.



- طائر نقار الثيران يلتقط (القراد) من أذن وعل الأمبالا.

فسبحان الله القائل .. {وما خلقنا السماء والأرض



ـ ولادات المها العربي في محازة الصيد.

ومـا بينهـمـا باطلا ذلك ظن الذين كـفـروا} (الجاثية/٢٧).

وعلينا أن نعي قول الحق سبحانه وتعالى: {إنَّا كلَّ شيء خلقناه بقدر} (القمر/٤٩).

(٣) الأمبالا ونقار الثيران:

الأمبالا وعل من جنس ايبيروس يعيش في المناطق الشرقية والغربية من قارة إفريقيا ـ جميل الشكل رشيق، لونه ضارب الى الحمرة فى الأجزاء العلوية منه، متدرج الى الأبيض في الأجزاء السفليه، للذكر قرون طويلة مقوسة تشبه القيثارة، يدافع بها عن نفسه وعن إناثه، وليس للإناث قرون وهي أقل حجما ووزنا من الذكور ويبلغ ارتفاعها حوالى المتر عند الكتف.

هذا الحيوان الجميل أصيب فجأة بمرض أدى الى نفوق أعداد كبيرة من قطعانه ـ وهرع المهتمون بالبيئة لمتابعة الحالة، فتبينوا أن حشرة القراد التى تتطفل على الحيوانات وتتغذى بامتصاص دمائها هى سبب هذا المرض والهزال.

وحاولوا مقاومة هذه الحشرة بالمبيدات بكل أنواعها، ولكن لم تفلح المحاولات في القضاء عليها. ولم يكن أمامهم سوى العودة الى العلاج الطبيعي الفطري ـ فاستحضروا الطائر الذي كان يملأ هذه المنطقة قبل استخدام المبيدات ـ وهذا الطائر واسمه «نقار الثيران» يعيش على التقاط الحشرات التى تعاني منها الوعول والظباء والثيران ـ وبعد فترة وجيزة عادت الحيوية وعادت الصحة لوعل الأمبالا الجميل، الذى كاد ينقرض بفعل اختلال الحياة الفطرية، وتغيير نظام البيئة، حيث كل شيء مسخر بأمر الخلاق العظيم، وجل من قائل {ألم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن إلا الله} (النحل/٧٩).

المناطق المسموح بزيارتها:

من أهم المناطق التابعة للهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وانمائها والمسموح بزيارتها ـ بعد



- غزال الأدمى في محمية الوعول بعد إعادة توطينه.

التنسيق مع الهيئة هي:

١ - ***مركز الزوار للتوعية البيئية بمقر الهيئة بالرياض.***

٢ - ***مركز الملك خالد لأبحاث الحياة الفطرية بالثمامة.***

٣ - ***المركز الوطنى لابحاث الحياة الفطرية بالطائف.***

٤ - ***مركز الأمير محمد السديري لأبحاث الغزال بالقصيم.***

٥ - ***محمية محازة الصيد بمنطقة الطائف.***

٦ - ***محمية الوعول بحوطة بنى تميم.***

٧ - ***محمية الخنفة بالمنطقة الشمالية.***

٨ - ***محمية حرة الحرة بالمنطقة الشمالية.***

٩ - ***محمية الطبيق بالمنطقة الشمالية.***

١٠ - ***محمية جزر فرسان بالبحر الأحمر.***

١١ - ***محمية جزر أم القماري بالبحر الأحمر.***

١٢ - ***محمية ريدة بمنطقة أبها.***

١٣ - ***محمية عروض بنى معارض جنوب مدينة السليل.***

١٤ - ***محمية مجامع الهضب شرق مدينة رنية.***

وتوفر الهيئة في الوقت الحالى فرصا للمجموعات الزائرة للمناطق المذكورة كما توفر المرشدين من باحثيها وجوالي المناطق المحمية وتجدر الاشارة الى أن الهيئة لا تسمح - في الوقت الحالي - بإقامة معسكرات التنزه والتخييم داخل حدود المناطق المحمية - كما أنها تمنع صيد الحيوانات - والطيور وأشكال الحياة الفطرية الأخرى على مدار العام. وتهيب الهيئة بزوارها بعدم رمي النفايات في تلك المناطق.

ولعلنا لا ننسى ما يقوله مسئولو السياحة لزوارهم دائما «لا تأخذوا إلا الصور ولا تتركوا إلا آثار أقدامكم».

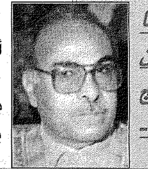
وقد تأتي الفرصة التى نتحدث فيها عن السياحة البيئية في المملكة العربية السعودية.

نماذج من الجهالة في كـ

الدكـــــتـــــور نصـــــر أبو زيد، يُدَرِّس «الإسلاميات» بقسم اللغة العربية ـ جامعة القاهرة ـ ومشروعه الفكري متخصص في الإسلاميات.. فدراسته للماجستير كانت عن المعتزلة ـ الاتجاه العقلي في التفسير ـ ودراسته للدكتوراة كانت في التصوف ـ فلسفة التأويل عند ابن عربي ـ وأكبر كتبه حجما هو في علوم القرآن (مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن).. وله كتاب عن الشافعي ـ أحد أئمة الفقه وأصوله ـ وحتى القضايا البلاغية التي هي تخصصه الدقيق فإن مادة دراسته فيها وتدريسه لها هي الإسلاميات.. وهو ككثير من الذين يستلهمون الماركسية والمنهج المادي في النظر والتفسير والتحليل ـ وكمعظم الشيوعيين العرب ـ بعد سقوط المشروع السياسي والاجتماعي للماركسية قد كرسوا جهدهم للكتابة في الإسلاميات أو عن الإسلاميين، كجزء من الجبهة العريضة التي تتصدى لنمو الظاهرة الاسلامية المعاصرة.



وهذا الموقع الفكري للدكتور نصر، يجعل قارئه «يدهش» وأحيانا «يصدم» لقلة علمه بأمور لا يصح أن تغيب عن أستاذ متخصص في الإسلاميات وتيارات الفكر الاسلامي وتاريخ الإسلام.. ويزيد من مخاطر قلة العلم هذه ـ في حال الدكتور نصر ـ الكثير من «النرجسية ـ والغرور» ، وأيضا «الاجتراء» الذي يوظف قلة العلم في قلب الحقائق وتضليل القراء!.



بقلم المفكر الاسلامي:

أ.د. محمد عمارة

ولما كان الإنسان منا ـ وكل إنسان ـ يكتشف اتساع مساحات جهله بقدر ما تزداد حصيلته من العلم!.. فيذكر أبعاد قول العليم الخبير {وما أوتيتم من العلم إلا قليلا}[١] ، {وفوق كل ذي علم عليم}. فإن هذا الإنسان ـ أو هكذا يجب أن يكون ـ الذي يعرف تبعات الكلمة التي يخطها القلم ـ الذي يُضلّ كثيرا ويهدي كثيرا؟! لا يجادل بغير علم.. **ففارق بين الخطأ الذي يردُ عرضا، لنقص في المعرفة وقلة في العلم، وبين مواطن الجدل والتدافع الفكري، وهي التي يجب أن يتثبت فيها المرء عندما يسوق «المعلومات»**

...ـتابات نصر أبو زيد

لأنها براهينه وبيناته فى معارك الجدل وميادين التدافع التى تؤدى إلى اخطر النتائج، فضلا عن أن العيون والعقول تكون مفتوحة تدقق وتفحص هذه «المعلومات» .

لكن المدهش، أن الدكتور نصر يفاجيء قارئه بقلة العلم وكثرة الاجتراء، عندما يسوق «الأخطاء» فى معرض البرهنة والحجاج على آرائه التى يصارع بها خصوم هذه الآراء!.

وإذا كان استقصاء هذه السمة، فى مؤلفات وكتابات الدكتور نصر، هو مما يخرج هذه الصفحات عن آفاقها .. فإننا نكتفى بنماذج لقلة العلم، لا تليق بأستاذ متخصص فى دراسة وتدريس الإسلاميات.

١ ـ فى كتابه (مفهوم النص: دراسة فى علوم القرآن) وهو الذى ملأه ـ حتى تضخم ـ بنصوص العلماء الذين كتبوا فى أسباب النزول، يدهش المرء لقلة العلم والاجتراء على الحقيقة ـ وتوظيف ذلك فى «المغالبة الفكرية» وذلك عندما يقرأ قول الدكتور نصر: «إن الحقائق الأمبريقية المعطاة عن النص ـ (أى القرآن) ـ ***تؤكد أنه نزل منجما على بضع وعشرين سنة، وتؤكد أيضا أن كل آية أو مجموعة من الآيات نزلت عند سبب خاص استوجب إنزالها، وأن الآيات التى نزلت ابتداء ـ أى دون علة خارجية ـ قليلة جدا»[٣].***

فهو يوهم قارئه أنه يصدر عن «حقائق إمبريقية» مستخلصة من دراسات واقعية وميدانية وتطبيقية وأن هذه الحقائق الامبريقية «تؤكد» أن كل آيات القرآن ـ إلا القليل جدا ـ قد روى لها سبب نزول.

فإذا رجعنا إلى تراث المسلمين فى أحاديث وروايات ومأثورات أسباب النزول، فسنجد أن الذين دققوا فى هذه الروايات، قد ثبت لديهم أن ما روى له أسباب نزول من آيات القران ـ البالغ عددها ٦٢٣٦ آية ـ لا يعدو ٤٧٢ آية ـ أى ٧ر٥٪ من آيات القرآن الكريم؟! .. أما الذين جمعوا كل روايات أسباب النزول، دون تدقيق، فلقد بلغت عندهم هذه الآيات ٨٨٨ آية ـ أى ١٤٪ من آيات القرآن ؟! ومعنى ذلك أن الحقائق الأمبريقية تؤكد على أن أكثر من ٩٠٪ من آيات القرآن قد نزلت ابتداء، ودون سبب نزول[٤]. فمن أين جاء الدكتور نصر بهذه «الحقائد الأمبريقية» التى جعلته يقلب الحقيقة كل هذا الانقلاب؟!.

٢ ـ يعرف كل قاريء لأي كتاب فى السيرة النبوية، وغزوات رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، أنه ـ فى غزوة بدر ـ قد أنزل جيشه فى موقع، فسأله الحباب بن المنذر ـ رضي الله عنه: يارسول الله، أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنْزَلَكهُ الله فليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه؟ أم هو الرأى والحرب والمكيدة؟.

ـ فقال ، عليه السلام: «بل هو الرأى والحرب والمكيدة».

ـ فقال الحباب: يارسول الله إن هذا ليس لك بمنزل، فانهض بنا حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ونغوِّر ما وراءه من القُلُب [الآبار] ثم نبنى عليه حوضا، فنملؤه ماء فنشرب ولا يشربون.

فاستحسن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ذلك من رأى الحباب بن المنذر، وفعله[٥].

فالحوار والمشورة كانت حول مكانين عند ماء بدر - بين مكة والمدينة.. ولم تكن مفاضلة بين هذا المكان عند ماء بدر وبين حفر الخندق؟!.. ناهيك عن أن بدراً موقعة - حدثت سنة ٢هـ والخندق موقعة أخرى - حدثت سنة ٣هـ.

لكن علم الدكتور نصر أبو زيد يخلط مالا يختلط على عامة قراء السيرة والمغازي، عندما يتحدث عن «منزل الحرب الذى اقترحه الرسول بدلا من حفر الخندق»[٦]؟!

٣ - ***والدكتور نصر يخلط بين «الصحابة»*** وهم كل من ثبتت صحبته لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} وبين «ملأ قريش» - وهم رؤساء قريش وأشرافها - الذين لم يدخلوا الاسلام - فى معظمهم - إلا بعد فتح مكة - فيتحدث عن «سياسة الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الذى حظر على الصحابة مغادرة المدينة أو الإقامة فى الأمصار خوفا عليهم أن تفتنهم الدنيا أو تشغلهم عن أمور الدين»[٧].

ولو رجع الدكتور نصر إلى الطبرى - وهو من مصادره - أو إلى (شرح نهج البلاغة) - الذى ينقل عن الطبرى - لوجد الحديث عن أن «عمر قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج فى البلدان إلا بإذن وأجل»[٨].

فالصحابة على عهد عمر، كانت تتكون منهم الجيوش التى فتحت البلاد والأمصار.. بل إنهم هم الذين مصّروا الأمصار الإسلامية على عهد عمر، وأقاموا فيها.. والحجر لم يكن على الصحابة، وإنما كان على قلة من ملأ قريش - سادتها وأشرافها ورؤسائها - أولئك الذين خاف عليهم عمر أن تفتنهم الدنيا - وفى تعميم ذلك على الصحابة تعميم للغمز واللمز على هذا الجيل المؤسس للإسلام ودولته وحضارته.. فضلا الخطأ العلمى.. وقلة التدقيق!.

٤ - ***وتصل أخطاء الدكتور نصر - النابعة من قلة العلم - إلى حد قلب الحقائق من النقيض إلى النقيض.***

فمعروف أن الدولة العباسية قامت كانقلاب على التيار العلوى فى الثورة ضد الأمويين.. فبعد أن كان الثائرون على بنى أمية - بمن فيهم العباسيون - قد بايعوا لإمام علوى هو النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن (٩٣ - ١٤٥هـ/ ٧١٢ - ٧٦٢م) بالخلافة - فى مكة - انقلب الفرع العباسى على الفرع العلوى، واغتال أبو مسلم الخراسانى (١٣٧هـ ٧٥٤م) الذى كان يلقب فى أثناء تلك الثورة بـ «أمين آل محمد» ممثل الفرع العلوى أبو سلمة حفص بن سليمان الهمدانى الخلال (١٣٢هـ/ ٧٥٠م) والذى كان يلقب بـ «وزير آل محمد».

وإذا كان أبو جعفر المنصور (٩٥ - ١٥٨هـ/ ٧١٤ - ٧٧٥م] هو المؤسس الحقيقى للدولة العباسية، فلقد أسسها فى صراع مسلح ضد ثورات العلويين، التى قادها النفس الزكية - فى المدينة (١٤٥هـ ٧٦٢م) وأخوه ابراهيم بن الحسن (٩٧ - ١٤٥هـ ٧١٦ - ٧٦٣م) فى البصرة وما حولها.. فى ذات التاريخ[٩]. وهى الثورات التى استمر العلويون يقودونها - بقيادات زيدية - ضد بنى العباس[١٠].

يقلب الدكتور نصر هذه الحقائق رأسا على عقب، وذلك عندما يقول: «ومن المعروف - [تأمل الثقة والجراءة)؟! ***أن الدولة العباسية تقاربت مع العلويين فى مرحلة نشأتها وتثبيت أركانها، وذلك على أساس الانتساب المشترك إلى***

«البيت النبوى»[١١].

٥ - وتصل أحقاد الدكتور نصر على الإمام الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤هـ/ ٧٦٧ - ٨٢٠م) كراهة فى الوسطية الاسلامية إلى الحد الذى أوقعته فى أخطاء لا يقع فيها حتى عوام القراء!.

فالشافعي، الذى ولد بعد سقوط الدولة الأموية [سنة ١٣٢هـ] بما يقرب من عشرين عاما، يذهب الدكتور نصر حتى يدفعه بتهمة العصبية العرقية العربية والقرشية - إلى أنه «الفقيه الوحيد من فقهاء عصره الذى تعاون مع الأمويين مختارا راضيا.. على عكس موقف أستاذه مالك بن أنس (١٧٩هـ) الذى كان له من الأمويين موقف مشهور بسبب فتواه بفساد بيعة المكره وطلاقه. وموقف الإمام أبى حنيفة (١٥٠هـ) الرافض لأدنى صور التعاون معهم - رغم سجنه وتعذيبه - فلقد سعى الشافعي، على عكس سلفه أبى حنيفة وأستاذه مالك إلى العمل مع الأمويين[١٢].

ويدهش المرء - بل ويصدم لكمِّ الأخطاء فى هذا النص المعدود الكلمات؟!.

أ - فالشافعى (١٥٠ - ٢٠٤هـ) ولد فى العصر العباسى.. وبعد ما يقرب من عشرين عاما على سقوط الأمويين (١٣٢هـ).

ب - وفتوى الإمام مالك (٩٣ - ١٧٩هـ ٧١٢ - ٧٩٥م) فى يمين المكره وبيعته، كانت هى الأخرى فى العصر العباسي، لا الأموى - كانت على عهد المنصور (١٣٦ - ١٥٨هـ/ ٧٥٣ - ٧٧٤م) وتحديدا إبّان ثورة النفس الزكية على المنصور (١٤٥هـ).

جـ - وكذلك اضطهاد أبى حنيفة (٨٠ - ١٥٠هـ/ ٦٩٩ - ٧٦٧م) وسجنه، كان هو الآخر فى العصر العباسى، وإبان ثورة النفس الزكية[١٣].

ويزيد الطين بلة، أن الدكتور نصر، عندما كشف بعض منتقديه عن بعض هذه الأخطاء، أخذته العزة بالإثم، فبدلا من الاعتراف بالخطأ و«كل بنى آدم خطاء، وخير الخطّائين التوابون» كما جاء فى الحديث الشريف[١٤] كتب يقول: إنه مجرد خطأ مطبعى «تحولت به كلمة (العلويين) إلى كلمة (الأمويين) فى صفحة كاملة.. وأن هذا الخطأ الطباعى مصحح فى ثبت التصويبات فى آخر الكتاب» فلا مبرر لهذه «الضجة الاعلامية الزائفة»[١٥].

وهذا الموقف، غير اللائق بأمانة العلم وعدالة العلماء، قد أضاف إلى أخطاء الدكتور نصر، فى هذا المقام، المزيد من الأخطاء:

د - فلو وضعت كلمة «العلويين» مكان كلمة «الأمويين» لما صح الكلام، بل لزاد الطين بلة.. فلم تكن هناك دولة «للعلويين» سعى الشافعى للعمل لديها فى ذلك التاريخ!

هـ - ثم إن الكتاب ليس فى آخره أى ثبت لتصويب الأخطاء؟!.. فعلى من يكذب الدكتور نصر.. وهل الكذب هو الحل، والطريق لتصويب الأخطاء؟!.

٦ - وحتى «يبرهن» الدكتور نصر على اتهامه للإمام الشافعى بالعصبية والتعصب للأيديولوجية العربية، والقرشية تحديدا.. ذهب فادّعى أن الشافعي قد أسرع بالهجرة من بغداد إلى مصر عندما انتصر المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ/ ٨١٣ - ٨٣٣م) على الأمين (١٧٠ - ١٩٨هـ/ ٧٨٧ - ٨١٣م) فانتصرت بذلك وسيطرت الشعوبية على بغداد.. فكانت هجرة الشافعى - المتعصب للقرشية العرقية - إلى

مصر، لأن واليها، يومئذ كان «قرشيا هاشميا».

يدَّعى الدكتور نصر هذه الدعوى، فيقول: «ومما له دلالة فى هذا الصدد أن رحيل الشافعى الى مصر تلى استيلاء المأمون على السلطة بعد صراعه الدامى مع أخيه الأمين، وهو الصراع الذى وجدت فيه الشعوبية الثقافية والفكرية تعبيرها العسكرى. تولى المأمون السلطة سنة ١٩٨هـ ورحل الشافعى إلى مصر سنة ١٩٩هـ، وكان اختيار مصر بالذات لأن واليها فى ذلك الوقت كان قرشيا هاشميا»[١٦].

ويدهش المرء هنا أكثر وأكثر للكم الهائل من الأخطاء فى هذه العبارات المعدودة الكلمات!:

أ - فالشعوبية العسكرية كان قد سبق وقمعها المنصور العباسى، بقتل أبو مسلم الخراسانى (١٣٧هـ ٧٥٥م) أى قبل أكثر من ستين عاما من انتصار المأمون؟!.

ب - والشعوبية الثقافية كان قد سبق وقمعها المهدى العباسى (١٥٨ - ١٦٩هـ/ ٧٧٤ - ٧٨٦م) فى موجة قتله للزنادقة، الذين كانوا يريدون احياء مذاهب الفرس وثقافتهم!:

جـ - والشعوبية السياسية كان قد سبق وقمعها الرشيد (١٧٠ - ١٩٣هـ/ ٧٨٧ - ٨٠٩م) فيما عرف «بنكبة البرامكة» (١٨٧هـ ٨٠٣م) أي قبل انتصار المأمون بأكثر من عقد من الزمان!.

د - والثقافة التى علت، ببغداد، عندما انتصر المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ/ ٨١٣ - ٨٣٣م)، كانت هى ثقافة الاعتزال.. وهى ثقافة معادية للشعوبية.. والمعبر عن موقفها من الشعوبية، فى ذلك التاريخ، هو الجاحظ (١٦٣ - ٢٥٥هـ/ ٧٨٠ - ٨٦٩م)، الذى يقول: «واعلم أنك لم تر قوما أشقى من هؤلاء الشعوبية، ولا أعدى على دينه، ولا أشد استهلاكا لعرضه، ولا أطول نصبا، ولا أقل غنما من أهل هذه النحلة - ولو عرفوا أخلاق كل ملة، وزى كل لغة، وعللهم فى اختلاف إشاراتهم وآلاتهم وشمائلهم وهيئاتهم، وما علة كل شيء من ذلك؟ ولم اختلقوه؟ لأراحوا أنفسهم، ولحقت مؤونتهم على من خالطهم»[١٧].

هـ - ولو كانت للشافعي ميول علوية تدفعه لهجران بغداد العباسية، فليس انتصار المأمون ولا عهده هو المبرر لهذا الهجران، فالمأمون هو الخليفة العباسى الذى خالف أهل العصبية العباسية عندما تعاطف مع العلويين، حتى لقد بايع الإمام الرضا على بن موسى الكاظم (١٥٣ - ٢٠٣هـ/ ٧٧٠ - ٨١٨م) بولاية العهد، وزوجه ابنته، وضرب اسمه على الدينار والدرهم، وغير الزي من «سواد العباسيين، إلى «أخضر آل البيت»؟!.

و - ثم .. إن كون والى مصر - الذى هاجر إليه الشافعى «قرشى هاشمى»، لا يميزه عن المأمون والعباسيين.. فهم أيضا وجميعا «قرشيون هاشميون»؟!.

ز - ورحيل الشافعى إلى مصر لم يكن فى سنة ١٩٨هـ كما يقول الدكتور نصر - وإنما كان فى نفس العام الذى تولى فيه المأمون الخلافة - فلقد تولى المأمون الخلافة فى المحرم سنة ١٩٨هـ.. ووصل الشافعى إلى مصر فى ٢٨ شوال سنة ١٩٨هـ.. وقبل أن تحدث ببغداد أية تغييرات ثقافية تستدعى نفور الشافعى منها وهجرته عنها!.

ح - بل إن علو سلطان المعتزلة وإغضابهم خصومهم فى «محنة القول بخلق القرآن»، لم يحدث إلا فى العام الذى توفى فيه المأمون

(سنة ٢١٨هـ)٠٠ أي بعد رحيل الشافعي عن بغداد بأكثر من عشرين عاما!٠

ط - وفوق كل ذلك، فالوالي الذي كان على مصر، إبان رحيل الشافعي إليها كان عباسيا - كالمأمون!٠٠ فهو العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس!٠٠ ولقد أناب عنه في حكم مصر ابنه عبد الله٠

ى - ويضاعف من ركام الجهالة في هذه الدعوى كلها٠٠ أن قدوم الشافعي الى مصر لم يكن هجرة ولا هجرانا، بل ولا مبادرة ذاتية منه٠٠ لأن الوالي العباسي على مصر - عبد الله بن العباس بن موسى - هو الذي طلب من الشافعي أن يصحبه في الذهاب إلى مصر ٠٠ وبعبارة «أبو عمر محمد بن يوسف الكندي - المصري» وهو أبرز من أرخ للولاة والقضاة، فلقد «استصحب عبد الله بن العباس في مسيره الى مصر محمد بن إدريس الشافعي الفقيه٠٠ فذلك سبب قدوم الشافعي إلى مصر»[١٨]٠

فأين هي أيديولوجية العصبية القرشية التي جعلت الشافعي يهجر بغداد العباسية إلى مصر الهاشمية القرشية؟:!٠٠ إنها عشرة أخطاء قاتلة جمعتها كراهية الدكتور نصر للإمام الشافعي، في عبارات معدودة الكلمات!٠

تلك نماذج - مجرد نماذج - على قلة العلم ٠٠ مع الجراءة على الحقيقة٠٠ وتوظيفهما في الغلبة للباطل، في صلب المعارف والعلوم التي يدرسها الدكتور نصر لطلابه، ويزيّف بها وعي القراء!٠٠ ***وصدق الله العظيم {وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا٠ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا، ذلك مبلغهم من العلم، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى}[١٩]***٠

الهوامش:

(١) الإسراء/ ٨٥٠

(٢) يوسف/ ٧٦٠

(٣) (مفهوم النص) ص ١٠٩٠

(٤) انظر: السيوطي (أسباب النزول) طبعة القاهرة ١٣٨٢هـ٠ والواحدي (أسباب النزول) تحقيق: السيد أحمد صقر٠ طبعة القاهرة ١٩٦٩م، وانظر الجدول الذي أحصينا فيه الآيات التي لها سبب نزول، بكتابنا (سقوط الغلو العلماني) ص ٢٥٦ - ٢٦١٠ طبعة القاهرة ١٩٩٥م٠

(٥) ابن عبد البر (الدرر في اختصار المغازي والسير) ص ١١٣، تحقيق: د٠ شوقي ضيف٠ طبعة القاهرة ١٩٦٦م٠

(٦) (التفكير في زمن التكفير ص ١٤٣، طبعة القاهرة ١٩٩٥م٠

(٧) (الاتجاه العقلي في التفسير) ص١٢، طبعة بيروت ١٩٩٣م٠

(٨) ابن أبي الحديد (شرح نهج البلاغة) جـ ١١ ص ١٢، ١٣٠ طبعة الحلبي ٠ القاهرة٠

(٩) (تاريخ الطبري) جـ ٧ أحداث ١٤٥هـ٠ طبعة دار المعارف، القاهرة٠

(١٠) د٠ محمد عمارة (تيارات الفكر الإسلامي) ص ١١٦، ١١٧ طبعة القاهرة ١٩٩١م٠

(١١) (التفكير في زمن التكفير) ص ١٧٢٠

(١٢) (الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية) ص ١٦ ، ١٧، طبعة القاهرة ١٩٩٢م٠

(١٣) انظر (تاريخ الطبري) جـ ٧ ص ٥٦٠ طبعة دار المعارف، القاهرة ١٩٦٦م، و(دائرة المعارف الاسلامية) مادة «أبو حنيفة» طبعة القاهرة - العربية ٠٠ الثانية٠

(١٤) رواه الترمذي وابن ماجة والإمام أحمد٠

(١٥) (التفكير في زمن التكفير) ص ١٧١٠

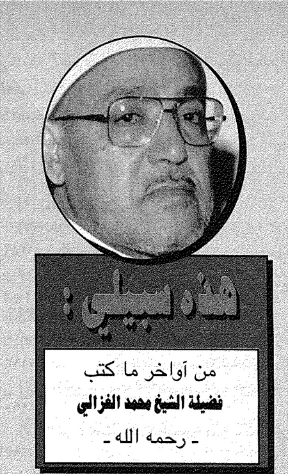
(١٦) (الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية) ص ١٦ ، ١٧٠

(١٧) (البيان والتبيين) جـ ٣ ص ٤٠٥، ٤٠٦ طبعة بيروت ١٩٦٨م٠

(١٨) الكندي - المصري (كتاب الولاة والقضاة) ص ١٥٣ ، ١٥٤، تحقيق: رفن كست٠ طبعة بيروت سنة ١٩٠٨م٠ وأمين سامي باشا [تقويم النيل] الجزء الأول٠ ص ٣٨، ٣٩٠ طبعة القاهرة ١٩١٦م٠

(١٩) النجم / ٢٨ - ٣٠٠

الاسلام والثق



هذه سبيلي :

من أواخر ما كتب
فضيلة الشيخ محمد الغزالي
- رحمه الله -

لعل الفتوح الإسلامية كانت أسرع الفتوح في تاريخ العالم وأبعدها أثراً. ففي خلال عشرين سنة بعد وفاة صاحب الرسالة الخاتمة - عليه أفضل الصلاة وازكى التسليم - كانت أركان الدول الكبرى تنهار. وكان الاستعمار العالمي يتقلص كما تتقلص الظلمات أمام مطالع النهار.. فقد الرومان أملاكهم في إفريقية وآسيا، وتحررت شعوب احتبست قروناً داخل مصيدة محكمة من البطش.

نعم. تحرر في الشمال الأفريقي ما يسمى الآن مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب، وتحرر من آسيا فلسطين وسوريا والأناضول، وحاول الفاتحون تحرير القسطنطينية فعجزوا، ولكنهم حرروا جزر البحر المتوسط تقريباً. وكان جناحهم الشرقي في آسيا قد محا دولة الأكاسرة ووصل شمالا إلى جنوب روسيا، وأوغل في الشرق حتى أخذ أقطاراً من الهند والصين.

إن الدولة الإسلامية الأولى تكونت في زمن خارق للعادات في قصره، وأقامت عقيدة لا تزيدها الأيام إلا قدرة على البقاء ومقاومة الأحداث. ويرجع ذلك فيما أرى إلى أمرين:

الأول:

حاجة العالم إلى تعاليم الإسلام، واقتناعه بها، ورضاه عنها عندما بلغته، حتى إن أبناء البلاد المفتوحة سابقوا العرب إلى فقه الإسلام ونشره، وصاروا أئمة للأمصار الكبرى تثق الجماهير بهم وتصدر عنهم.

الثاني:

أن أصحاب محمد {صلى الله عليه وسلم} قدموا الرسالة للناس علماً ذكياً وثقافة أصيلة.

والإسلام من ينبوعه الأول علم ينير العقول ويمحو الأهواء. لذلك قال الله لنبيه {ولئن

ـافة العربية في عالمنا الجديد

** القرآن الكريم، كون مسطور يضارع الكون المنظور في تفتيق العقول وتجلية الفطرة.

اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير}.ويكرر هذا المعنى، فيقول في سورة أخرى {ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واق}.

إن الإسلام علم واسع الدوائر، وقرآنه الكريم كون مسطور يضارع الكون المنظور في تفتيق العقول وتجلية الفطرة. ولولا ما في آيات القرآن من هدى ونور ما قامت أزهى حضارة في التاريخ! إنني أرمق الأوج الذي ينقل القرآن الناس إليه في كل مجال فاردد قوله تعالى {لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة}.

ثم أشعر بالأسى للأمية الثقافية التي لفت جماهيرنا في أكفانها. وجعلتهم في هذا العصر آخر الأمم وأنزلها رتبة.

نعم هناك أشرطة حية تحفظ القرآن حرفاً حرفاً ولا تعي منه ما يرفع رأسا. وهناك عشرات الدول تنتمي إلى الإسلام تذكرنا بتغلب وحمير وطسم وجديس.

ماذا حدث؟ إن الإسلام الذي سُمّي في وحي الله علما أمسى أهله سواد الأميين في العالم..!! تذكرت الأيام الأولى من عمرى عندما كنت أحفظ القرآن الكريم ـ من سبعين سنة مضت.

**** الفتوح الاسلامية كانت أسرع الفتوح في تاريخ العالم وأبعدها أثرا.**

كنا نتعلم «الحساب» في كتاب تضمن القواعد الأربع مترجم عن الإنجليزية ألّفه مستر «تويدى».. قواعد الجمع والطرح والضرب والقسمة نأخذها عن خواجة؟ إن آباءنا وضعوا طائفة من النظريات الهندسية، وبرعوا في حساب المثلثات والمربعات فما الذي عرانا؟

إن هذا القرآن يبني الإيمان بالله على التأمل في الكون ويقول {حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون}.

عناصر الكون ومظاهره هي مصادر الإيمان واليقين، فما يصنع مكفوف لا يرى آية؟ وما

تكون معرفته لله؟ وهل المعرفة المزعزعة تضبط شهوة أو تحكم سلوكا؟ أو تقتحم عقبة؟ أو تدفع إلى مكرمة؟.

لقد بدأت بذكر المعرفة الكونية لأنها من شئون الدنيا التي نستوى فيها مع غيرنا والتى قيل لنا فيها أنتم أعلم بشئون دنياكم! ابتدع ما شئت! واكتشف ما استطعت! لا قيد ولا حظر.

إن غيرنا سبق سبقاً بعيداً وبرز في كل ميدان، وساند عقائده بما استطاع، فانطلق الباطل في ساحات الحياة مدرعاً بالحديد. والتقينا به، ونحن نحمل مواريث الوحي، وأيدينا عزلاء وأجسادنا عارية. فلما عدنا كانت هزائمنا مضاعفة لفراغ اليد والعقل والفؤاد!!

والألوف المؤلفة من مسلمي العالم يعيشون أتباعاً مغموصين لأنهم يشترون أجهزتهم المدنية والعسكرية من خصوم العقيدة وكارهي الوحي!! وينتظرون من الباعة أن يعلموهم ماذا يصنعون بهذه الأجهزه وكيف يستخدمونها؟

أما ثقافتنا الإسلامية التى استبحرت في القرون الأولى فقد رأيت تأليف كتاب فيها سميته تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل. والكتاب على وجازته يلقي ضوءاً على موضوعه قد يحتاج إلى زيادة.

ان عندنا مدرسة الفقه والتشريع، ومدرسة التربية والأخلاق، ومدرسة العقائد والمتكلمين، ومدرسة التفسير والحديث، وفنون الآداب من شعر ونثر.

وقد تعرضت هذه المدارس للمد والجزر، والغزارة والضحالة، ووضعها الآن يثير الدهشة، فالأدب مثلا كان في الجاهلية والإسلام شيئا له وزن وقيمة. وقد ظل ينحدر حتى فقد وزنه، ثم فقد قيمته، ونحن الآن نقرأ شيئا اسمه الشعر المنثور يمثل مرحلة من القول أدنى إلى المجون منها الى الرشد، وفي تسميته أدباً تجوز كبير..!!

مع طول العمر وكثرة التجارب يستحكم العقل ونهتدى إلى الصواب وإذا كان ذلك مأنوساً في الأفراد فيجب أن يكون مألوفاً بين الجماعات والأمم!

ونحن المسلمين نحمل رسالتنا من زمن طويل، إننا الآن في القرن الخامس عشر من تاريخ الإسلام. ذقنا مع ديننا الحلو والمر، والهزيمة والنصر، والامتداد والانكماش. فهل تعلمنا شيئا مما أصابنا؟ وهل استفدنا من التجارب حكمة تصقل أحكامنا وتضبط خطانا؟ المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، وربما قلَّتْ استفادة المنافق من الأحداث كما قال تعالى {أو لا يرون أنهم يُفْتَنُون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يَذَّكرون}.

**** في عالمنا اليوم عشرات الدول تنتمي للإسلام ـ ظاهراً ـ تذكرنا بتغلب وحمير وطسم وجديس.**

ولست أتساءل الآن عن مدى اعتبارنا من سقوط الخلافة العباسية في بغداد أو سقوط الخلافة العثمانية في الآستانه، أو ضياع الإسلام كله في الأندلس ثم بدء الانسحاب من أقطار أوروبا الأخرى!! مع أن هذا التساؤل مطلوب وتجاهله جريمة، إنما أتساءل عن المدارس العلمية المختلفة في الفكر الإسلامي، ماذا حدث لها؟ وأين حطت عصا الترحال؟

ولأبدأ بمدرسة التربية والأخلاق التى

** انطلق الباطل في ساحات الحياة مدرعاً بالحديد.. ونحن أهل الوحي ارواحنا وأجسادنا عارية.

اشتبكت في تاريخنا العلمي بنزعة التصوف وفلسفته. يجب فض الاشتباك السيء في هذا المجال، وتنشئة أجيال أزكى نفوساً من المسلمين المعاصرين، لا تفصل بين الإيمان والخلق، ولا بين العبادة والخلق. إن الذي شاق الخوارج قديماً وحديثاً ضعف أخلاقهم وهم يعاملون الناس، واستباحتهم المجنونة للدماء والأموال من أجل فكرة غلبت عليهم أو وجهة ساروا إليها. إنهم لا يتواضعون لله، ولا يهضمون أنفسهم لأمر ذى بال.

أعجبنى ابن القيم وهو يحاور كبير الصوفية في عصره فيقول متواضعاً:

«إذا كنت قد عرفت شيئاً لم يعرفه الشيخ الكبير فأنا كالهدهد الذي قال لسليمان «أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين» والهدهد هو الهدهد، وسليمان هو سليمان!.

ومضى الرجل في كتابه يعارض حيناً ويؤيد حيناً، وكأنه الشافعي الذي قال: ما جادلت أحداً إلا تمنيت أن يكون الحق إلى جانبه!.

أين هذا الخلق من أشخاص مسعورين همهم الأول تحقير الخصوم والنيل منهم. فإذا جادلوا عن رأي لهم تقمصهم حب الإنتصار، وإثبات الشخصية، والزهو بين الناس!.

إن محنة التربية هائلة في العالم الإسلامي سواء في الأخلاق الربانية أو الأخلاق الإنسانية. الإخلاص لله قليل والصدق مع الناس قليل، والمفروض أن نكون وراء نبينا نتمم مكارم الأخلاق.

لا قيمة لأشكال العبادات إذا لم يكن وراءها مهاد من تقوى القلوب، والدين قبل كل شيء زكاة في النفس، وصفاء في الروح، وميل إلى العطاء لا الأخذ، وإلى السلام لا الخصام.

ولأمر ما علَّمنا نبينا أن أول ثلاثة تسعر بهم النار هم المراءون بالعلم والجهاد والصدقة. إن المرائي يرى نفسه ولا يرى ربه، إنه مشغول بجاهه ومكانته قبل كل شيء!! وإذا عجز الدين عن كبت الغرائز السوء ومحوها فإن تطبيقه في الحياة لن يكون إلا تنفيساً عن هذه الغرائز ولو أخذ صورة العبادة!.

** عناصر الكون ومظاهره مصادر الايمان واليقين.

وقد راقبت حركة إسلامية فشلت في بلوغ غاياتها، كانت تضم صالحين كثيرين. ولكن بينهم عصابة ترى أن تحكم هي بما أنزل الله، وترفض أن يحكم غيرها.. إن حب الرياسة خالطها وهيمن على خططها وبواعثها فنشأت عن ذلك فتن هائلة.. والله وعد بالتمكين من هدفهم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قبل أن يكون هدفهم تولي منصب ما.

إن الأخلاق بقسميها الربانى والإنساني هي

** الشعر المنثور يمثل مرحلة من القول أدنى الى المجون منها الى الرشد.

الإسلام الحق. يقول على بن أبى طالب: «أيها الناس إنى سمعت رسول الله [صلى الله عليه وسلم] يقول: يخرج قوم من أمتى يقرأون القرآن، ليست قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية».

والأجهزة الإدارية في العالم الإسلامي مصابة بمن يعبدون مناصبهم ويستغلونها لمصالحهم ولا يعرفون أنها أمانات يسألون عنها يوم الحساب.

وعلم القلوب الذى يسمى الآن علم التصوف لا يدرى شيئاً عن علل الأمة، بل هو تائه وسط أفكار وفلسفات سقيمة. ثم هو بين العوام رقص تهتز به الأبدان، وتموت فيه العقول والأفئدة. وأذكر أني في صباي قرأت كتاباً يتتبع الأمانة في مسالك الناس. وأظن المؤلف أمريكياً. فاستغربت أنه قرب الفضيلة من الأذهان، وكان عملياً واضحاً في إثبات السلوك الشريف ومحو السلوك الخائن.

قلت ما أحوجنا إلى مثل هذا التأليف في ميدان التربية، حتى يكثر الأمناء بيننا!.

إن نبينا عليه الصلاة والسلام خلّف لنا ميراثاً ضخماً يدفع الناس دفعاً في طريق الكمال، ويصحبهم في مراحل الطريق بالتوعية والتذكير حتى لا تزل قدم أو تعرض ريبة.

ما أحوجنا إلى هذا الميراث ونحن نواجه حضارة ذكية شريرة مغرورة.

أظن كتب الفقه الإسلامي تبلغ نصف المكتبة الإسلامية. فإن اشتغال المسلمين بالفقه غلب على ثقافتهم وتغلغل بين عامتهم وخاصتهم. وإن لاحظنا بحزن أن الاهتمام بالفروع الصغيرة غلب على العبادة والمعاملات.

أما الفقه الإداري والإقتصادي والسياسي فإن البحوث فيه قليلة، ولعل بعضها كان مقلقا!! وقد كتب تلميذا أبى حنيفة في هذه الشؤون - أبو يوسف ومحمد بن الحسن - ألَّف الأول في الخراج أو الضرائب، وألَّف الثاني في الشئون الدولية. والميدان فسيح ليقول الفقه الإسلامي كلمته في نظم الحكم، وقضايا المال، وأطوار أخرى جدت في أنواع المعاملات.. والطريقة التي درسنا بها الفقه في صبانا الباكر ونحن في المرحلة الابتدائية بالأزهر جديرة بالتنويه. فقد كنت حنفي المذهب كما أراد أبي، وكان زملائي بين شافعية ومالكية، أما الحنابلة فقليلون. وكنا نتبادل الخلاف الفقهي ونحن نتضاحك! يقول المالكي: الشك ينقض الوضوء.

وأقول: لا ينقضه.

أو يقول: المفطر ناسيا يقضي يومه، وأقول: لا يقضيه!.

** تضاعفت هزائمنا لفراغ اليد والعقل والفؤاد.

ويقول الشافعي: لمس المرأة ينقض الوضوء. وأقول: لا ينقضه.

أو يقول: ينبغي رفع اليدين قبل الركوع وبعده، وأقول: لا يرفع إلا عند تكبيرة الإحرام! ومع هذا الاختلاف المتبادل كنا زملاء متحابين نؤلف المظاهرات ضد الاحتلال الانكليزي ونتعاون في مصالح شتى. وما فكرنا قط أن يكون هذا الاختلاف مثار خصام أو عدوان.

ويظهر أن بعض البيئات في العالم الإسلامي درست فقه الفروع على أسلوب آخر زرع الجفاء والفرقة بين المسلمين.

وأذكر أني مكثت في الجزائر بضع سنين أصلي وراء أئمتها وهم مالكية دون حرج. وفي يوم ما جاءنا حنبلي زائراً، وصلى معنا وكان يجاورني في الصف فرأيته مضطربا غضبان يوشك أن يعيد صلاته، وأن يأمرنا بإعادة الصلاة.

قلت له: ما بك؟

قال: أرأيت هذا الإمام يكبر ثم يقول مباشرة: الحمد لله رب العالمين؟

قلت له: الإمام مالك لم يثبت عنده حديث الاستفتاح، ولم يثبت عنده أن يستعيذ المصلي.. وليست البسملة جزءا من الفاتحة، وله رأيه ولك مذهبك.

ألم تقرأ كتاب ابن تيمية «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»؟ هذا تنوع وليس اختلاف تضاد. والمرويات الواردة تَنْسب إلى الرسول {صلى الله عليه وسلم} هذا وذاك من الأقوال. فاسكت ولا تحدث بين الناس فتنة. والواقع أني أكرهت الرجل على الصمت. وأحسبه لم يصل معنا بعد هذا اليوم..

لقائل أن يقول: ما هؤلاء الأئمة الذين ذكرت أسماءهم وربطتنا بهم؟ إننا نمضي بعيداً عنهم وما نحب أن نعرج عليهم. وأجيب. لك ذلك إذا شئت، والمهم أن تكون ماهراً في القرآن، خبيراً بالسنن، ضليعاً في اللغة، ألمعيا في الذكاء، مستغنياً عن تجارب الآخرين.

إن هؤلاء الأئمة سبقوا في دراسة الكتاب والسنة. ولم يجيء أحد منهم بشيء من عند نفسه. وقد عُرفوا بالعلم والتقوى وخدموا الإسلام جهدهم ولم يجمعوا الناس حولهم بالعصيّ أو بالأعطية. إنهم مدارس مجتهدة، تخطىء وتصيب، وهم جميعاً مع مالك في قولته المشهورة: كل امرىء يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذا المقام. يعني رسول الله {صلى الله عليه وسلم}. وأشهد أنهم قمم شوامخ في فقه الإسلام. وفي التجرد لله وازدراء العاجلة. وما رأيت أهل علم زهدوا في تراثهم، أو زعم لأحدهم العصمة. وعلى أي حال فقانون الاجتهاد أن من أصاب له أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد.

**** «ما جادلت أحداً إلا تمنيت أن يكون الحق إلى جانبه» الإمام الشافعي.**

ورأيي أن باب الاجتهاد مفتوح، ولكن يستحيل أن نأذن لكل إنسان بولوجه. لابد من رسوخ في العلم، ورسوخ في التقوى «وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم»، وميدان الفقه تعمل فيه شعبتان: أصحاب الرأي، وأصحاب الأثر. وليس معنى

الرأي الهوى، وليس معنى أصحاب الأثر أن من المسلمين من يترك نصاً وارداً. وإن الطبائع العقلية للبشر مختلفة، فقد يفهم واحد من النص مالا يفهمه غيره. وتدبره حال الصحابة في تنفيذ قول الرسول «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة».

وتدبر حال داود وسليمان حين اختلفا في عقوبة من ترك قطيعه يفسد الحرث.. «ففهمناها سليمان، وكلا آتينا حُكْما وعلما».

إن الخلاف واسع بين أهل الرأي وأهل الأثر في قضايا كثيرة، بعضها في العبادات وبعضها في المعاملات، لكن ما قيمة هذا الخلاف؟.

إنه في بعض الفروع والتفاصيل، وما يجوز أبداً أن يفسد وداً، أو يوقع خصاماً، الأساس الذي نحرص عليه هو العقائد والاخلاق، إننى أميل إلى مدرسة الرأي مع احترامي لأحمد بن حنبل وتقديرى لصلابته وتقواه.. وأشعر أحياناً بأن الخلاف - في الفروع والتفاصيل - جزء من المجتمع الواحد ففي الولايات المتحدة حزب للديمقراطيين وآخر للجمهوريين، إنهما متفقان في الولاء لدولتهم والانتصار لها عالميا، ومع ذلك فالجدال بينهما مستمر في شئون شتى.

فلماذا يتطير البعض من الخلاف الفقهى عندنا وينادي بالويل والثبور وعظائم الأمور؟ أفدت من تجارب كثيرة أن درساً في الطب أو الفلك أجدى على الإيمان من حوار فلسفي طويل. وذلك نهج القرآن الكريم. فإنه يكشف عن الحق برؤية آيات الله في الأنفس والآفاق.

{سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد}؟.

بعد ساعة من تناولي الطعام أقول لنفسي بدأ العمل في إخراج الحي من الميت والميت من الحيّ.

كيف؟ إن الطعام - وكان من مادة جامدة - أخذ يتحول داخل جسمي إلى دماء فيها الكرات البيضاء والحمراء، وإلى اشعار وأظافر، وإلى عظام ولحوم شتى. فلحم الكبد غير لحم الرئتين غير لحم المخ! وللخلايا خصائص وراثية وطارئة ، وللغدد وظائف تقوم بها، ونحن لا ندري. والروح الذي يتخلل هذه المادة ويجعلها خلقاً آخر، ينبعث من الحيّ القيوم. ليس لدي وحدي، بل في ألوف مؤلفة من الأحياء.

**** المرائي يرى نفسه ولا يرى ربه.**

ثم يطرد هذا البدن ما لا يستفيد منه ليتحول في بطن الأرض شيئا آخر. قد يصير سنابل حافلة بالحبوب، أو نخيلا مرصعة الصدر بالطلع النضيد، أو كروماً يتدلى منها العنب عناقيد كثريّات الذهب!!

أ أنا أو أنت وراء هذا التحول؟ أم رب الأرباب؟

لو كان لأوامر الله - وراء كل خلق - صوت يسمع، لصمّت الآذان من كثرة الأوامر

** الجدل اليوم تقمصه حبّ الانتصار واثبات الشخصية.

بالإنشاء والتكوين.

ما أجمل الله، وأحلى صنعه! أحيانا أردد هذا الغناء:

يا غائباً لا يغيب
أنت البعيد القريب!
مهما تغب من عيوني
فأنت أنت الحبيب!

إن الإسلام فطرة سليمة، وعقل سوي، وصراط مستقيم، وهو طبيعة العلاقة بين مادة الكون وبارئها الأعلى.

ولذلك اتجه الوحي إلى محمد {صلى الله عليه وسلم} بهذه الآية { قل أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شيء} وقوله {أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون}.

ليس في العالم إله آخر! أين هو؟ وماذا يصنع؟

إن الشرك وهمٌ لمغفل كبير، أو حلم لنائم منفوخ البطن مُسهد المضجع! ومع ذلك فالجاهلون بالله كثيرون. ويخيل إلي أن جريرتهم بقدر ما تعود إلى غبائهم تعود إلى تفريط المسلمين في خدمة الحق وفتنة الناس عنه والعجز المستغرب عن اقتياد التائهين إليه.. ليس بين المسلمين خلاف في العقائد، فهم مجمعون على أن الله واحد، حقيق بكل كمال وأن لقاءه حق {ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى}.

وقد تسللت إلى العقائد المقررة أفهام وأوهام من صنع الناس لا يعرفها القرآن الكريم ولا يقرها. وحسبنا كلام الله..

خذ مثلا:

مبحث الصفات الإلهية: أهي عين الذات أم غير الذات أم لا عين ولا غير؟ وهذا تساؤل سمج يجب دفنه ومنع اللغط فيه.

خذ مثلا:

أعمال الناس أهي من خلقهم أم من كسبهم وهل هم مخيرون أم مجبورون؟ وهذه أسئله بالغة السخف والمشتغلون بها هاربون من مستشفيات المجانين، ومن قال لا عقل لي ولا إرادة فعلاجه العصا!

** حضارة الغرب، ذكية شريرة مغرورة.

وفي مباحث العقائد هل البعث للأجساد الأولى أم لأجساد مماثلة؟

وهذا كلام ولدته البطالة ولا قيمة له!

لعل أفضل ما يغرس الإيمان الحق هو منهج القرآن نفسه، وقد قرأت في مؤلفات العصر الحاضر كتاب «العلم يدعو الى الإيمان» وكتاب «الله يتجلى في عصر العلم» ولو طُعِّم هذان الكتابان ببعض الآيات القرآنية لكانا أفضل من كتب كثيرة عندنا ألفت في العقائد.

وقد سألني أحد الناس هل في القرآن مجاز؟

فقلت له كيف تفسر قوله تعالى {إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم

** القوميات جعلت الإيمان ضيفاً ثقيلاً يُنتَظَرُ منه الرحيل.

مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون} هل السدود هنا سد أسوان وسد الفرات؟!

إن المجاز موجود في لغة العرب وفي لغات الناس الأخرى، ومع ذلك فما دخل هذا فى العقائد؟

قال: هناك من ينكر بعض آيات الصفات ويتكلف تأويلها.

قلت: هناك مرويات تتصل بذات الله تعالى لا يليق بالعقل البشرى أن يحاول معرفة كنهها، إن البحث وراء المادة ليس من وظيفة العقل البشري.

وهناك مرويات يستحيل تركها على ظاهرها ولابد من تأويلها مثل «مرضت فلم تعدني» و«كنت سمعه الذي يسمع به ورجله التي يمشي بها».

ومع ذلك فما معنى اشتغال الدهماء بهذه المرويات وعكوفهم على ترديدها؟

هذه بطالة مقنعة وتسكع في طريق الحياة لا مساغ له.. إن سلفنا الأول كان سليم الفطرة، خالص النية، لزم الجد في الأمور، فحكم الدنيا بدينه. ولو اهتم بهوامش العقيدة التي افتريناها ما أحرز نصراً ولا فتح بلدا.

عندما شرَّف الله العرب بحمل الرسالة الخاتمة، حذرهم الفرقة وأوصاهم بالجماعة، وقال لهم كما قال لمن قبلهم {أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كبُرَ على المشركين ما تدعوهم إليه}.

وقد ظلت الثقافة الإسلامية طوال ألف عام أو يزيد توفر للأمة عناصر الوحدة وتجعلها أمام عدوها جبهة واحده.

لا الفقه المذهبي، ولا هوامش العقيدة، ولا الأخطاء السياسية الفاحشة، أفلحت في تقطيع الأمة الإسلامية وتمكين أعدائها منها حتى ظهرت بدعة القوميات في العصور الحديثة، وانتقلت جرثومتها إلى أرضنا. فإذا هى بلاء يهدد الحاضر والمستقبل. وكان ظهور «القومية الطورانية» فى تركيا أول الغدر بأمتنا الكبيرة، وأول زلزال يصدع بناء الخلافه المعتلة!

** الخلاف النبيل لا يولد جفاء ولا فرقة.

واليهود نقلوا هذه الجرثومة إلى تركيا انتقاماً من السلطان عبد الحميد الذي رفض باسم الإسلام أن يستوطنوا فلسطين. ومع أنهم أغروه بالمال ـ وكان إليه محتاجاً ـ فقد أبى، ومع أن أوروبا كانت تظاهرهم فقد شعر الرجل المؤمن بأن تسلل اليهود إلى فلسطين تمهيد لضرب الإسلام نفسه في أوطانه كلها.. فماذا يفعل اليهود؟

لجأوا إلى الغزو الثقافى، واستعانوا بقوى خفية وأخرى جلية على إنشاء «جمعية الاتحاد والترقي» ونشروا مبادئها القومية بين ضباط الجيش. فقامت ثورة أودت بالخليفة، وكان رد الفعل نشوء القومية العربية التى ظاهرت

الحلفاء في الحرب العالمية الأولى حتى انتصروا وتمخضت هذه الفتن الهائلة عن سقوط الخلافة الإسلامية في العالم.

وتتابع الانهيار حتى قامت ثورات مشابهة للثورة الكمالية استغنت بالقومية عن العقيدة، وجعلت الإيمان - إلى حين - ضيفاً ثقيلا ينتظر منه الرحيل!

إن جماهير المسلمين لا تتنازل عن دينها، ولا تعدل بجامعته شيئاً. والذي حدث أن الاستعمار العالمي أول ما نزل ببلادنا ألغى الشريعة واستبدل أحكامه الوضعية بأحكامها السماوية! ثم وضع خططا بعيدة المدى للإجهاز على بقايا الإسلام من أخلاق وعبادات وتقاليد. واستعان على بلوغ أغراضه بنفر من الطامعين والمنحلين. وهو يتربص بنا الدوائر وينتظر مع مرور الزمن أن يمحو الإسلام كله من على ظهر الأرض!

والحرب بيننا وبينه سجال وهي حرب رحبة الميادين، وأسلحتها لا حصر لها.. لقد استطاع أبو بكر أن يهزم أعداء الله فى أول قتال مع المرتدين، فهل يستطيع رجالات الإسلام فى القرن الخامس عشر للهجرة أن يستعيدوا شرائع الإسلام التي عطلت؟ وأن يمحوا العبادات المهددة بالزوال، وأن يستبقوا المعروف معروفاً والمنكر منكرا؟ إذا انهزمنا في هذه المعركة فلن يبقى على ظهر الأرض مؤمن.

شبكات التنوير فى تعاليم الإسلام ترسل أشعتها على جبهات عريضة ومسافات بعيدة لأن الوحي النازل على محمد [صلى الله عليه وسلم] جامع مانع كما قال تعالى {وَنَزَّلْنَا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء}. وعندما يكون الدواء مركباً من سبعين عنصراً، فإنه لا يحصل الشفاء الكامل إذا نقصت منه بضعة عناصر، بل قد يوصف الدواء - والحالة هذه - بأنه مغشوش، ولعل ذلك ما بينه الرسول الكريم في قوله: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان».

إن هذه الشُعب تتناول شئون الحياة جميعا، فالإسلام ينظم شئون البيت والشارع والمدرسة والديوان، وعلاقات المرء مع نفسه والآخرين، وواجباته في الحرب والسلم وضوابط المعاملات الاقتصادية الرحبة. وهو يعتبر الإنسانية رحماً عامة توصل بالتعارف والخلق، كما توصل الرحم الخاصة بالتزاور والعطاء.

**** البحث وراء المادة ليس وظيفة العقل البشري.**

وفي الكتاب المبين والسنن الشارحة ما يوضح جوهر هذه الرسالة العالمية الخاتمة والمفروض أن يعرف المسلمون رسالتهم كما نزلت إليهم وأن يبينوا للناس كافة، وأن يكونوا في حياتهم الداخلية صورة حسنة لها، وإذا وقع قصور في الفهم أو التقصير في البلاغ فهم مسئولون عن ذلك في الدنيا والآخرة. ولست هنا أسائل نفسي وقومي عما كان وما نزل بنا فى هذه الأيام النحسات، فإن أيام المدّ ذهبت وأعقبها جزر مزعج. وعلى قدر السعة في ثقافتنا الإسلامية كان الغزو العلمي والمدني الذي تعرضنا له!

كان اقتحام اخلاقنا يتم في وقت واحد مع اقتحام حدودنا، وإنني لأدرس المسرحيات التي تعرض من خلال وسائل الإعلام المختلفة، فأشعر أنها تبدّل ثيابنا الداخلية والخارجية كما تبدل في الوقت نفسه أحكامنا على الأمور وتصورنا للحاضر والمستقبل!

إن سقوط بغداد وقرطبة أقل في نظري من سقوط أحكام العبادات والمعاملات! ورضا العامة والخاصة بتعطيل النصوص، وتحقير المثل الإسلامية أبشع في نظري من نهب خيراتنا وتحقير أوضاعنا.. ومن هنا فإن إحياء الثقافة الإسلامية الصحيحة، وتكوين جيش شجاع للمحافظة عليها في الداخل والحديث عنها في الخارج أهم ألف مرة من تحقيق الاستقلال السياسى لبلد ما فى إحدى القارات.

ما قيمة هذا الاستقلال إذا فقدنا علاقتنا بكتاب ربنا وسنة نبينا؟

مسالك أهل الكتاب من قبلنا

كانت السبب الأول في المعركة بين العلم والدين. وقيام عصر الإحياء في أوروبا بعيداً عن الوحي كله!! ويبدو أن القوم لم يتغيروا فقد وقعت أخيراً معركة في الكنيست الإسرائيلى بين وزير الخارجية وبعض الحاخامات. سببها أن الوزير قال: «ليس كل ما فعله الملك داود جدير بالإعجاب» يشير إلى ما نُسب إلى داود في العهد القديم من اقتراف جريمتي الزنا والقتل.

قالوا: زنى بزوجة «أوريا» الحثي، ثم أوصى بقتله فى الميدان حتى لا يعود ويسترد المرأة من عشيقها الملك!!

لقد غضب الحاخامات من هذا التعريض. وقالت إذاعة لندن إنهم سيحرجون الحكومة كلها في أول اجتماع.

ونترك بنى إسرائيل لنرمق تاريخ الكنيسة القريب والمعاصر. لقد جاءت من أوروبا إلى إفريقية لتبشر بصبح حامل الآلام عن هذا الورى - كما يقول شوقى - فماذا فعلت هي؟ تركت في وسط افريقية عشرة ملايين إصابة بالأيدز، وهى تنشر دينها!. لقد حكمت بالموت على من قال: إن الأرض كرة تدور حول الشمس أما اقتراف الخنا فحسب من فعله أن يعترف ويحيا آمناً!

**** الانسانية في التصور الاسلامي رحم عامة توصل بالتعارف والخلق.**

إن تزوير الدين على هذا النحو ازرى به، وزهد فيه وأعطى الحكم العلماني ألف سبب ليحل محل الدين، ويبتعد عن الوحي كله.. ونحن دعاة المسلمين نلقى العنت حين نقدم القرآن للناس لأن سيرة المسلمين مع دينهم لا تشرف ولأن المعجبين بالحضارة الحديثة يرونها أقرب إلى الفطرة والرشد.. ولا بأس أن أحكي ما وقع لي أخيرا.

جاءتنى رسالة من الأمين العام لمؤسسة كبرى تعمل على دعم الفضائل والقيم بين الناس، عقدت مؤتمرها الأول في شيكاغو، وتستعد لعقد مؤتمرها الثاني بمناسبة مرور ٥٠ عاما على تأسيس هيئة الأمم المتحدة. وقيل لي بعد اختياري عضواً: إن مؤسستنا

** على قدر سعة الثقافة الإسلامية كان الغزو من الآخر.

عالمية تضم رجالا من كل دين سماوي أو أرضي، بل تضم أعضاء لا يؤمنون بأي دين. المهم أنهم يدعمون الأخلاق الفاضلة، ويحترمون المثل العليا التى يجب أن تحكم العالم.. وأنا رجل شرفي الأول والأخير أني أقول وراء محمد «إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له». أنا أشعر حين آكل بأن الله هو الذي وضع اللقمة في فمي وحين أفكر بأن الله هو الذي أسرج مصباح عقلي، إنه يستحيل أن أكفر أو أسوي بين مؤمن وكافر أو اشترك مع عابد عجل أو عابد نفسه وحدها في عمل لا يرقى لرفع مستوى البشر. شعرت بأن أهل الاديان تلاحقهم تبعة خطيرة، إنهم لا يهتمون بتزكية الروح وإنهم قد يدفعون المظالم عن أنفسهم لكنهم لا يدفعونها عن غيرهم! وإن طقوس العبادات أرجح لديهم من حقوق الإنسان. فكتبت رسالة مطولة أشرح فيها ديني. جاء فيها ما يلي:

شعرت بالرضا وأنا أقرأ عن إنشاء جهاز عالمى لدعم الأخلاق والتسامي بالبشر.

وقلت: إن الفطرة الإنسانية لا تزال طيبة تعشق الكمال وتسعى إليه، وتقاوم السعار المادي الذي يربط المرء بنفسه ومآربه وشهواته، ومعروف أن العالم تقاربت أقطاره واختصرت أبعاده، ونشأت فيه - لأول مره من تاريخه المديد - هيئة لأممه كلها، أي أن أبناء آدم أمسوا أسرة تستطيع التقارب والتحاور ودراسة ما يثور من مشكلات، والتعاون على حلها. لكنها ستعجز عن بلوغ أهدافها إلا في ظل الاكتمال الخلقي وكبت غرائز الأثرة والكبرياء. فهل نقصر في توفير الوسائل المنشوده لتحقيق ما نصبو إليه؟

إن نبي الإسلام يقول: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» ويقول لعلي بن أبي طالب: «ألا أدلك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة؟ أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك».

ويقول لأصحابه: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟

قالوا: بلي! قال: إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقه، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين»!!

إننا نحن المسلمين يسعنا تأليف هيئة أخلاقية تساند هيئة الأمم، وتسدد خطاها، وتحصنها من المحاباة والهوى..

لكنني - ولأكن صريحاً - شعرت بحرج شديد عندما علمت أن «البرلمان» الأخلاقي فتح الباب للمؤمن والكافر، للموحد والمشرك، لمن يعتقد خلود الروح ولمن يرى انتهاء الوجود بالموت! قد تقول: هذه هي الدنيا وهؤلاء أبناؤها. وقد تكونت الأمم المتحدة من ملل متناقضة، وتجاورت في مقاعدها لتدرس قضاياها المختلفه. وما تستطيع هيئة أخلاقية إلا أن تفعل ذلك! ولي على هذه الإجابة تعليق!

إن النظر إلى الإيمان بالله على أنه قضية ثانوية أو قضية لا صلة لها بالأخلاق أمر مستنكر عندنا نحن المسلمين، أو هو أمر يثير الاشمئزاز، لماذا يخلق الله ويُعبد غيره؟ ولماذا يُعْطي ويُشكر غيره؟ هل العقوق رذيلة إلا في

معاملة الله؟!

إننى لو أجزلت العطاء لأحد ثم رأيته يجحدني لاشتد سخطي عليه واحتقاري له! فكيف أرضى وجود أفراد أو جماعات تطعم من خير الله صباحاً ومساء ثم تتجرأ عليه وتنكر وجوده وحقوقه؟ أعتقد أن منكري الألوهية لا ينبغي أن نعترف بهم. واذا اضطررنا إلى مجالستهم فلنرسم لذلك سياسة خاصة توفق بين عقائدنا وحقهم في الحياة، من يدرى؟ قد يهتدون إلى الصواب إذا حاسناهم.. ومن دواعي سرورنا نحن المسلمين أن نلتقي بأتباع الديانات السماوية التي سبقتنا في مؤتمر جامع لتحسين الحسن وتقبيح القبيح وتقوية الفضائل ومحاربة الرذائل. إن لدينا الكثير الذي نود أن نقوله، والتراث الذي تركه لنا محمد {صلى الله عليه وسلم} لم يترك خطوة إلى الكمال إلا دعمها، ولا رغبة في التسامى إلا ذكاها وشجع عليها. إنه تراث ضخم تضمن مئات الصفحات الحافلة بمكارم الأخلاق، ولا أعرف رسولا سماويا ولا فيلسوفاً أرضياً خلّف مثل هذه التركة!! ومن أراد الاطلاع أو الترجمة دللناه على المراجع التى يحتاج إليها.. ثم إننا نحن المسلمين نحب أن نتعرف على الناس، وأن يتعرف علينا الناس. هكذا علمنا ربنا.

فإن الله لم يخلق الأرض لنتهارش عليها، ولنسفك الدماء. بل خلقها لنرتفق خيره ونشكره عليه {هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور}.

ونحن نعتب على اليهود والنصارى أنهم لم يبادلوا المسلمين المعاملة نفسها! قرأت أن يهودياً فى مدينة الخليل استولى على بيت عربي، ثم قال لرب البيت: «هذا البيت ملكي من بضعة آلاف عام وقد عاد إلي، ولست أطلب منك أجرة سكناه طوال هذه القرون، لقد تنازلت عنها، فاذهب إلى أي مكان وأقم به أو اسكن في العراء إن شئت ولا تعد هنا وإلا ..» هل تستقيم إنسانية مع هذا المنطق؟!

**** اليهودي التائه عاش قرير العين موفور الدم والعرض والمال في دولة الاسلام.**

والسياسة الاستعمارية التى سيّرت العالم في العصور الأخيرة كان هذا المنطق يكمن وراءها فإن الجريمة التى ارتكبها الإسلام - كما يرى البعض - أنه دحر الامبراطورية الرومانية التى كانت تحتل الأناضول وشرق البحر المتوسط ووادي النيل وشمال إفريقية وأقطاراً كثيره أخرجها الإسلام منها وردها إلى أهلها الأولين، الذين اعتنقوا الإسلام بداهة..!! وورثة الرومان ينظرون إلى مستعمراتهم القديمة كأنها أملاكهم الضائعة يجب أن يستعيدوها.. وإلى ملايين المسلمين كأنهم عبيدهم الأقدمون.

ولا شك أن قيام هيئة الأمم المتحدة على أسس إنسانية مجردة فتح صفحة جديدة في تاريخ العالم، وكفكف من غلواء الاستعمار السابق. لكن هل المنتصرون الذين بنوا هذه الهيئة النبيلة برئوا من مسورات الحقد القديم

وحاربوا التعصب والجشع؟

لعل إنشاء جهاز أخلاقي عالمي يساند الخصائص الإنسانية العليا، وينشط الجهود المبذولة لدعمها، ويصل بالهيئة إلى ما نريد ويقي العالم شرور الانقسام والخصام.

عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي {صلى الله عليه وسلم} فيما يرويه عن ربه عز وجل قال: {يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا} وفي الحديث أيضا «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة» والواقع أن من له دين يجب أن يكون شريفاً فى رضاه وفى غضبه، فلا يستبيح خصماً، ولا يجور على ضعيف. بل يقف عند الحق ويستريح للعدل ويعلم أن النزق والجور من صفات السباع لا من خلائق الإنسان.

ويؤسفني أن الانسانية في تاريخها الطويل احتالت على ارتكاب المظالم، ورأت في اختلاف البشر - قوة وضعفاً، وغنى وفقراً، وإيماناً وكفراً - ثغرة تنفذ منها إلى اقتراف ما تريد. وقد رفض القرآن الكريم أن يعترض العدالة شيء مادياً كان أو أدبيا {كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين} وفي آية أخرى {لا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى}.

لقد ظنّ الناس أن اختلاف الدين يبيح التظالم ويترك المجال رحبا للمشاعر المنحرفة والأهواء الجامحة، وهذا كذب على رب الدين وباعث المرسلين {إن الله يأمر بالعدل والإحسان}. وأذكر ثلاثة أحاديث مروية عن محمد عليه الصلاة والسلام ترد هذه الفرية وتبرىء الإسلام من هذه التهمة.

الحديث الأول: «دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه»».

الحديث الثاني: «دعوة المظلوم - وإن كان كافراً - ليس دونها حجاب»».

الحديث الثالث: عن أبى ذر قلت: يارسول الله ما كانت صحف إبراهيم؟ قال: كانت أمثالا كلها: أيها الحاكم المسلط المبتلى المغرور إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإنى لا أردها وإن كانت من كافر»!!

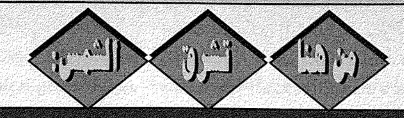
ومن دواعي الدهشة أن يموت نبي الإسلام ودرعه مرهونة عند يهودي في طعام اشتراه لأهله!

ما أثر اختلاف الدين هنا؟

إن اليهودي التائه عاش قرير العين موفور الدم والعرض والمال في عاصمة الإسلام!

هل كانت غربته سبباً في أن يجور عليه أحد؟

لقد حصّن الحكم الإسلامي حقوقه، فعاش ومات لا يشكو شيئا، إننا نحترم الرأي والرأي الآخر. وإذا كنا - نحن المسلمين - نشكو شيئا فمواريث الضغائن التي نُعامل بها في ميادين شتى، ونرجو أن تزول مع استقرار حقوق الإنسان.



الإسلام .. الحل البديل



بقلم
المفكر الاسلامي:
انور الجندي
- مصر -

يحاول السفير المسلم (مراد هوفمان) ان يقدم لنا فى كتابه «الاسلام الحل البديل» صوره لما تذخر به اوربا ويذخر الغرب من دراسات عن الاسلام والقرآن فى محاولة اوربية لحل مشاكلها عن طريق الاسلام على النحو الذى تنبأ به «برناردشو» فى الثلاثينيات من ان الاسلام سيدخل اوربا فى القريب ولو تحت اسم مختلف.

عشرات الكتب والدراسات مطروحة فى افق الفكر الاوربي كتبها مسلمون وغير مسلمين من الأوروبيين وغيرهم امثال: «محمد اسد، جارودي، يوكاي، سيجمون هونكه»، بحيث يدهش القارىء المسلم الى تلك الثروة الضخمة من التراث المكتوب عن الاسلام مترجما الى الفرنسية والالمانية والانجليزية وهي مصادر تتعلق بترجمة معانى القرآن وترجمات للحديث النبوى وعدد من امهات الكتب الاسلامية الكبرى امثال كتابات الغزالى وابن تيمية والشافعى، فضلا عن عشرات من الكتب التي كتبها غربيون عن الاسلام بالاضافة الى عدد من المجلات الاسلامية والدوريات التي تصدر فى الغرب والتي تحفل بالابحاث الواسعة العميقة.

هذا بالاضافة الى كتابات احمد فون ديفر (الالمانى المسلم) الذى كتب عديدا من الابحاث وهناك ترجمات فريدريش ريكرت لمعظم معاني آيات القرآن فى نظم شعرى، وتجد مراد هوفمان حريا بأن يقول انه توجد ٢٢ ترجمة المانية تامة لمعانى القرآن منها

ترجمة واحدة قام بها مسلم سنّي ألماني هو (محمد رسول) هذا بالاضافة الى كتب التفسير المترجمة وفي مقدمتها:

- تفسير القرآن للطبرى (اكسفورد ١٩٨٧).
- كتب الصحاح (البخارى ومسلم).
- رسالة ابن تيمية في اصول الايمان (باريس ١٩٨٦).
- رسالة التوحيد للامام محمد عبده ودراسات اخرى حول شخصية الرسول {صلى الله عليه وسلم} (مطبوعة فى اكسفورد ونيويورك).

ويشير مراد هوفمان الى السابقين فى هذا المجال ويركز كثيرا على (محمد اسد) ليوبولد فايس الذى سبق مراد هوفمان بالعمل في مجال الاسلام ونشره فى الغرب من خمسين سنة تقريبا والى وفاته في القريب (عام ١٩٩٣ تقريبا).

ويشير مراد هوفمان الى ان الدكتور حميد الله قد ارفق بترجمته لمعانى القران الكريم قائمة من اربعين صفحة تحتوى على المترجمات التى صدرت فى مختلف اللغات لمعانى القرآن الكريم.

كما يولى الاهتمام بترجمة محمد اسد (ليوبولد فايس) لمعانى القرآن ولم تفته مراجعة ما كتب فى الغرب عن عيسى عليه السلام والسيدة مريم فيجعل فى مقدمتها (عيسى نبى من انبياء الله) لمحمد عطاء الرحمن (١٨٩٣ - لندن) ومقارنة بين عيسى في القرآن وعيسى فى الاناجيل ودراسة عن مريم فى القرآن ومحمد في الانجيل) دافيد - نيوتن ١٩٨٧) وكتاب الاسلام وعيسى للمسلم الالمانى (احمد فون ديفر ١٨٩١) فضلا عن ترجمة كتاب اللواء احمد عبد الوهاب: حوار ومحاولات بين المسجد والاسلام - باريس).

ومعنى هذا العرض الذى عنى به مراد هوفمان أن مفهوم الاسلام الصحيح وموقفه من المسيحية وعيسى بن مريم قد اصبح واضحا فى الغرب تماما الآن وذلك بخلاف عشرات الكتب المضللة التى صدرت فى سنوات الثلاثينيات وترجمت منذ سنوات من أمثال دلاير وجوسقاف لوبون وكارليل - فضلا عما كتبه الدكتور احمد عبد السلام عن الطائفة القاديانية والأحمدية بباكستان وما كتبه موريس بوكاى:

(مقارنة بين الانجيل والقرآن والعلم الحديث) ومفهوم الاسلام لخلق آدم فى الرد على نظرية التطور ومفاهيم دارون المسمومة.

كل هذا اصبح موجوداً فى افق الفكر الاسلامى الغربى وهو يعطى احساسا قويا وعميقا بأن هناك فى الغرب مصادر حية نابضة بالحياة قائمة على اساس العلم والفهم الصحيح للاسلام وموقعه من الاديان السابقة بحيث يمكن الاطمئنان الى ان الطريق اصبح مفتوحا اليوم امام كل مثقف غربى يرغب فى الوصول الى الحقيقة سواء من خلال كتابات بعض الغربيين المنصفين أو من دخلوا فى الاسلام فعلا امثال بوكاى ومحمد اسد ومن سبقهم عبد الكريم جرمانوس وغيره.

ويأتى مراد هوفمان اليوم من خلال الصحوة الاسلامية الصاعدة معلنا انه ثمرة

هذه الصحوة فيلقي بثقله على مفاهيم الاسلام وتقديمه بلغته الالمانية الى المثقفين الغربيين الطامحين الى معرفة الحق واعتناقه.

وهو يرى ويثق تماما بأنه يقدم منطوق الاسلام الى اهل اوربا بمثابة الحل البديل ايمانا بأن اوربا لن تستطيع ان تحقق وجودها الا اذا كان الاسلام هو طريقها الى الحياة.

ويرى ان الاسلام ابان الصراع بين العالم الغربى والشيوعية كان يعد نفسه الطريق الثالث المباين لهما، اى انه الخيار الحر المستقل عن كليهما لفهم العالم والتعامل معه عقائديا اما اليوم فان الاسلام يطرح نفسه بديلا لكلا النظامين وذلك لتوفير الحياة على وجه افضل وتذليل مشكلاتها المستفحلة خاصة بعد ان عاد العالم من جديد ليصطرع في كتلتين اثنتين ولا يخفى على المتأمل البعيد الرؤية ان يرى الزحف الاسلامى فى القرن الحادى والعشرين مسيطراً ممكنا لانتشاره دينا لأغلبية البشر، اما كون هذا الزعم الذى تؤكده مجريات الأمور حقيقة واقعة إن شاء الله فذلك ما يشير اليه عنوان الكتاب «ان الاسلام لا يطرح نفسه بديلا خياراً للمجتمعات الغربية الصناعية بل إنه بالفعل هو البديل الوحيد».

انى اعتقد ان حركة تجديد الاسلام ستأتي في القرن الحادى والعشرين من أوربا.

ويتحدث (هوفمان) عن الصحوة الاسلامية التى هو ثمرتها فيقول: «وفجأة وعلى غير المتوقع طرأ على التطور فى كلا العالمين شرخ هائل او انكسار حاد فى الستينيات والسبعينيات من هذا القرن، في الاسلام الذى زلزلته الكوارث الدامية والازمات الطاغية لم يقض نحبه ولم يفتر، بل على العكس انطلق زاخرا بالحياة والنشاط اقوى ما تكون الحياة حتى بدأ البعض فى الغرب يعتقد بأنه بدأ مرة أخرى يحسب للاسلام حسابا ويخشى بأسه، اما المجتمعات الصناعية، فقد اخذت الازمات بخناقها، حينئذ بدا تطور العالمين العربي والاسلامي فجائيا غير متوقع، اما اليوم فاننا مقتنعون ان هذا التطور كان نتيجة حتمية.

«إن علماء الاجتماع يسجلون ان النجاح الاقتصادى للدول الرأسمالية قد قوض القيم الاخلاقية أو نسفها نسفا، وبالتالى فقد اجتثت قواه السلوك والمعاملات التى أبرزتها فلسفة ماكس غير الاخلاقية والتى عليها وبها يقوم النجاح الاقتصادى للرأسمالية.

هذه الالية التى تنسق ذاتها بذاتها تلقائيا تشوه الخصال الحميدة مثل الخير والسلوك الحسن المنضبط والصبر والاخاء والمرونه والشجاعة، ففى مجتمعات الرفاهية المسرفة والوفرة الفائضة عن الحاجة ترى تلك الصفات الحميدة قد مسخت وشوهت أضعافا مضاعفة او نرى قيما جديدة وأنماط سلوك مستحدثة تحل محلها لتتلائم مع المجتمع الصناعى المادى بالفعل وهى اذ تطبق عموما لا تستطيع أن تخدع اي مجتمع صناعي.

وهكذا يمكن ان تنقلب الفردية الانعزالية فتتحول الى السلوك الجمعي غير المنفعل والمتكتل فى مجموعات (شلل) تؤم المراقص وحفلات موسيقى روك اندرول وتحول تقرير المصير الى فوضى خلقية كما لمسنا ذلك في العبارات التى ترددت على السنة الداعيات الى تحرير المرأة وحقها في ان تفعل بجسدها ما تشاء مثل الاجهاض (بطنى لى وحدى) وتنقلب حركة الفكر من عدم التحيز الى اباحية مطلقة، ويتحول التسامح والسماحه الى قسوة وشدة أو التعامل المشروع الى جنون الاستهلال والحرص على متاع الحياة الدنيا والمساواة الى التسوية الآثمة التى لا تميز بين الخبيث والطيب والغث والسمين وبدلا من تكافؤ الفرص ورهافة الحس الى الولولة الطائشة وتنقلب الحيطة والحذر الى احجام»·

ويؤكد مراد هوفمان: إن المذاهب المختلفة من قومية واشتراكية مما يتفق مع ما نادى به كمال اتاتورك وما ينادى به المستغربون المعاصرون، كل هذه المذاهب باءت بالفشل الذريع لعجزها وقصورها· وعدم استطاعتها معالجة الادواء المنتشرة في البلاد الاسلامية التى سقطت في يد الاستعمار وحجبت عنها نظمها الاسلامية وشريعتها وقيمها وفرضت عليها القانون الوضعي والانحلال الاجتماعي·

ولكن سرعان ما جاءت الظاهرة الفذة التى هى «الصحوة الاسلامية» حيث بدأت تتوالى منذ السبعينيات حتى اليوم دون انقطاع ممثلة في العودة الى الاصول وعدم الفصل بين الدين والدنيا·

وفي باديء الأمر اعتقد البعض أو تمنى ان الامر ليس الا حركة اجتماعية تبدى احتجاجها قولا وفعلا، والواقع ان هذه النظرة التى تريد أن ترى أن حركة إحياء الاسلام ليست الا تعبيرا عن العجز التكنولوجي قد اثبتت خطأ وعجز المحللين والدارسين الآخرين أو القائلين بها عن فهم العامل الدين الاصيل·

ويقول: ذلك ان الاسلام باعتباره دينا ونظام حكم لم يفقد قط وظيفته وهيئته حتى فى تركيا نفسها (اذا استثنينا الفئة المتشبثة بالغرب بل إن الاسلام على حد تعبير (رنولد هوتنجر) لم يفقد اهميته مطلقا وان حجبها غشاء شفاف رقيق·

ويتحدث هوفمان عن ضحايا ذلك المجتمع الصناعي وقيمة الحياة المزعومة ويقول: انهم يتمتعون بكل ما يريدون من الاستقلال الذاتي والحياة المؤقته من المهد الى اللحد والحرية الاباحية الجنسية التي لا تعرف محظوراً أو محرما والمخدرات على اختلاف انواعها واوقات الفراغ وكافة الحقوق المدنية التى يحلم بها المرء· ولكنهم على ذلك كله يخشون فراغاً هائلا، ويتوقون الى الحنان والدفء البشري·· من قبل الجماعة التى يعيشون معها والى سلطة زعيم روحي··

وهنا نضع سؤالا ملحا خطراً (هكذا يقول هوفمان) ما مغزى الحياة والوجود؟

وبمرور ظاهرة الانطلاقة الجديدة المحمومة للاتجاه الدينى من قبل الجيل الجديد والتقلب هنا وهناك فانه عاجلا أو

اجلا سوف يعثر فى بحثه عن دين بديل كاف شاف ولا سيما وان الاسلام هو الصراط المستقيم بعيدا عن المعسكر الغربى واوهامه والمعسكر الشرقى المادى واحلامه.

وهكذا يعترف الباحثون اخيرا أن ظاهرة الصحوة الاسلامية يجب فهمها على انها اقتحام جديد للسلطة الدينية والتشريعية للهيمنة على مجالات الحياة العامة.

وقد اكد هذا عنوان كتاب (حياز كل) الذى سماه (انتقام الله) ومن الطبيعى المنطقى ان يرتبط هذا الاتجاه بفكرة الرفض المبدئى القاطع للتمدن أو التحديث كما يريده الغرب المسيحى: (ان العالم الاسلامى يرى فى هجر الغرب للروحانيات والمثاليات وتعلقه الشديد بالماديات تشويها لكفاءة الانسان ويرد هذا الاتجاه الغربى بمخطط اسلامى مضاد يفسر فى ضوئه النهاية المحتومة للمركزية الاوربية.

والاسلام يقدم للمسلم الذى يعانى وتتوزعه الشدائد والمحن والكوابيس فى العالم الثالث: يقدم له الفرصه الرشيدة بالرجوع الى جذوره وبدون هذا لن تكسب المعركة، بل ان سلسلة الاهانات والاذلالات المتلاحقة للعرب والمسلمين ستدم أمداً طويلا.

من هذه الصورة التى قدمها مراد هوفمان تتولد عدة اشياء هامة وخطيرة:

اهمها: أن اوربا اصبحت املا جديدا لانبعاث الاسلام فقد تضاعفت اعداد المثقفين ذوى المكانة المرموقة في عالم الفكر والمجتمع (وهنا نعود الى نبوءة برناردشو حين زار البلاد العربية عام ١٩٣٠ وتوقع أن تحتضن اوربا الاسلام).

هذه النبوءة أن تحمل اوربا الاسلام فى اعماقها وانها قد تكشف عنه فى صورة او اخرى، وان هذا يرتبط بما كتبه المؤرخون المنصفون امثال درابر وجوستاف لوبون وكارليل ومن جاء بعد ذلك من الذين اعلنوا اسلامهم صراحة: عبد الكريم جرمانوس - رينيه - محمد أسد - د. يوكاي - جارودي - وهوفمان السفير الالمانى فى الجزائر الذى اعتنق الاسلام عام ١٩٨٠ وأن اول معرفته للاسلام كانت فى الجزائر الاسلامية (وهذه ظاهرة يجب التنبيه اليها). وأن كثيرا من الغربيين الذين اسلموا كانت لهم صلة بالمغرب العربى (محمد اسد ، رينيه - هوفمان). كما أن كثيرا ممن كتبوا عن الاسلام وإن لم يسلموا عاشوا في المغرب ومن ذلك جاك بيرك.

وتجد هوفمان فى كتاباته منحازا الى الذين درسوا الاسلام واشادوا به وفى مقدمتهم دكتوره سجريد هونكه مؤلفة كتاب «شمس الله تشرق على الغرب» الذى وُزِّع منه الملايين فى الغرب وكذلك كتابها الجديد «الله فوق ما يتصورون».

وابرز ما يمثل كتاب هوفمان (الاسلام هو الحل البديل) ذلك الوضوح الجلى، والفهم الاصيل الجامع للاسلام من خلال مفهوم اهل السنة والجماعة كما عرفه السلف وكما بلغه الرسول [صلى الله عليه وسلم] وكما طبقه الخلفاء الراشدون دون انحراف نحو التصوف الفلسفي او غيره بالرغم من اشارته الى أن هذا التصوف

اقرب الى نفسية الغرب ولعل هذا الكتاب بانصافه وسماحته ووسطيته جدير بأن يكسب الاسلام مثقفين جداً حيث يعتبر نفسه ثمرة الصحوة الاسلامية الحاضرة ويتطلع الى تقبل مفاهيمه فى بيئة المثقفين الغربيين العاطشين الى المعرفة والى الحق اولا والذين يشعرون بالتطلع الى اشواق الروح والى فهم الوحى والغيب والنبوة بعد أن انحرفت مفاهيم الاستشراق الغربى وعجزت عن العطاء.

ولقد استطاع أن يستعرض عدداً من الاحكام الظالمة التى اذاعها الغرب والتى جاءت مبنية على سوء الفهم فأخذ يدحضها ويبين خطأها بالبرهان الصحيح.

وكذلك اشارت دكتورة (اناماری شميل) فى مقدمة الكتاب الى ما اسمته الاحكام التى يلصقها الغرب بالاسلام وانها تأتى من سوء فهمنا وخطأنا فى القياس المنطلق من معاييرنا الغربية وقيمنا وأن المرء عدو ما يجهل.

ويرى (هوفمان) أنه ينبغى على كل مثقف اوربى ادراك فضل العرب والاسلام على اوربا المسيحية خاصة بعد أن وزعت ملاين النسخ من كتاب (الدكتوره سجريد هونكه)، (وما تزال هونكه واناماری شيمل يدافعان عن الاسلام وهما على دينهما الاصلى).

وينتقد (هوفمان) تعصب المستشرقين حين يطالبون اهل الاسلام بالانتقاص من تمسكهم بالاصالة والخصوصية الاسلامية وحماية الذات والانتماء بدعوى اللحاق بركب الحضارة العالمية.

ويصل هوفمان الى رأى يؤكد بأن الغرب يستعد اليوم ليحمل لواء قيادة الدعوة الى الاسلام وباحصاء المصادر والمراجع التى رجع اليها هوفمان يتأكد أن فى اوربا اليوم تراثاً ضخماً أن أدق مفاهيم الاسلام (عقيدة ومعاملات واخلاق) بما يؤكد عملية تبليغ وافرة الاداء.

ويؤكد هوفمان هنا موقف المسلم من الحضارة المعاصرة فيقول (الحق ان الاحترام الخلقى يسود حياة المسلم أو المسلمة أو الوسط الاسلامى .

كذلك يرفض الاسلام الادب الداعر المكشوف وافلام الجنس والصور العارية ولا تمارس المسلمة اساسا اي علاقة جنسية قبل الزواج كما أن اللقطاء والاطفال المولودين ولادة غير شرعية من الاشياء النادرة في المجتمعات الاسلامية.

وفى هذا المجال يحرص الاسلام على التنبية الى دور الملابس أو الزى فى الحياة سواء للذكر أو للانثى خاصة مسألة الحجاب أو النقاب، فالاسلام يرى أن من المنطقى عدم اثارة الاشياء اذا كانت غير مرغوبه.

وفى كتاب هوفمان تصور كامل لانحدار الحضارة الغربية تكشف عن فساد المجتمع الغربي والحضارة الغربية مع نقد الرأسمالية والشيوعية وكشف زيفهما.

وهنا يتأكد موقف الصحوة الاسلامية من مفاهيم الغرب فى المجتمع والحضارة وبتحطم ذلك الطابع المسموم من الانبهار.

ولكن الباب اصبح الان مفتوحا الى طريق الله: الى التوحيد أولا ثم الغيب والقيم الاخلاقية، ليضيء الاسلام قلوب اهل الغرب.

من معجزات الهجرة

شعر:
خير الدين وانلي
- دمشق -

من المهـاجـر من أمِّ القُرى عـجـلا
يطوفُ صـاحـبـهُ من حـوله وجـلا؟
ذاكمْ رسولُ الهدى عن غاره ارتحلا
إلى (المدينة) تحـمـى منْ بهـا نزلا

* * *

مـا للجـواد بأرض صلْدة غـارا
ومن (سـراقـة) ذاك الكنزُ قـد طارا
وعاد والفكر في الإعجاز قد حارا
وازداد (أحـمـد) في عينيـه إكبـارا

* * *

فـردٌ بصـحـراء ناء عن أهاليـه
بتـاج (كسـرى أنو شـروان) يغـريه
وبالفـتـوح والنُّعْمى يمنيـه
أمـرٌ عـجـيبٌ يشـدّ الفكر للتـيـه

* * *

يا (أمّ مـعـبـد) نوقي صـافي الحلب
في ضـرع شـاتك ذات الضـعف والجـرب
(مـحـمـد) سـيدُ الإنسـان والعـرب
قـد مسـهـا ودعـا أكرمْ بخـيـر نبي

* * *

سبحان منْ قد حَمَى المختارَ في الغار

وصانهُ من أذى كُفْر وكُفَّار

إن حنَّت النفسُ من شوق إلى الدار

فسوف يرجعُ في نصر وإظهار

* * *

إن أخرجتْ مكةُ الإشراك من فيها

الى القفار وحيداً في فيافيها

فاللهُ للدعوة السمحاء حاميها

ولن يزلزلها يوماً معاديها

* * *

حُبُّ المهاجر في أعماقنا باق

ونورُ شرْعته في كلِّ آفاق

وذكره في الحنايا نبع أشواق

يفيض رقراقه في كل خفاق

* * *

يا منْ نَصرتَ وحيداً في صحاريه

على هرقل وكسرى الجاه والتيه

فحقِّق العدل في أسمى معانيه

وأشرق الخير معتزاً براعيه

* * *

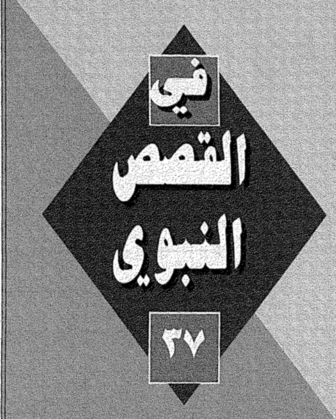
حقِّقْ لنا يا إله الكون آمالا

وضعْ عن الكاهل المحنيِّ أثقالا

حتى نحطِّم أصناماً وأغلالا

وننصر الدين أقوالا وأعمالا

الجنـ



نواصل ـ بعون الله ـ الحديث عن الجنة ونعيمها، بعد الانتهاء من الحديث عن حقيقة جهنم وصورتها في القصص النبوي.

وكنا قد صدَّرنا حديثا عن جهنم بخطبة لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقص فيها أمر الآخرة ، منها قوله: (فو الذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار) وأنه لابد من البعث والحساب على الأعمال (بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا، وإنها لجنة أبدا، أو لنار أبدا).

وعلى المرء العاقل أن يسدد ويقارب، رجاء أن يختم الله له بعمل أهل الجنة فيدخلها بفضل الله وكرمه، وأن يبتعد عن التسويف والجري وراء بريق الأمانى، بترك العمل، فإن أمر الجنة والنار جد خطير.

روي عن ابن عمرو بن العاص[١] ـ رضي الله عنهما ـ قال: خرج علينا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وفي يده كتابان، فقال: (أتدرون ما هذان الكتابان؟) فقلنا: لا يارسول الله، ألا تخبرنا، فقال للذى في يده اليمنى : (هذا كتاب من رب العالمين، فيه أسماء أهل الجنة، وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل[٢] على آخرهم، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا) وقال للذى في شماله: (هذا كتاب من رب العالمين، فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا) فقال أصحابه: ففيم العمل يارسول الله، إن كان الأمر قد فرغ منه؟ فقال: (سددوا وقاربوا ، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة، وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار، وإن عمل أى عمل) ثم قام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بيديه فنبذهما ثم قال: (فرغ ربكم من العباد: «فريق فى الجنة، وفريق فى السعير»).

وفي صحيح مسلم عن أبي الأسود الدؤلي قال[٣]: قال لى عمران بن حصين: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون، أشيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق، أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم وثبتت به الحجة؟ قال: قلت: لا، بل فيما قضى عليهم ومضى. قال: أفيكون ذلك ظلما؟ قال: ففزعت فزعا شديدا، وقلت: إنه ليس شيء إلا خلقه الله وملكه: (لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون). فقال: سددك الله، إنما سألتك لأحرز عقلك؛ إن رجلا من مزينة ـ أو جهينة ـ أتى النبي {صلى

ـة ونعيمها (١ـ٢)

الله عليه وسلم} فقال: يارسول الله أرأيت ما يعمل الناس ويتكادحون فيه، أشيء قُضي عليهم ومضى، أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم؟ قال: (فيما قُضي عليهم ومضى) فقال الرجل: ففيم العمل؟ قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (من كان خلقه الله لإحدى المنزلتين، فسيستعمله لها، وتصديق ذلك فى كتاب الله - عز وجل - {ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها}..

وهذا باب واسع نكتفى بما جاء في القصص الصحيح: (إن الله - تعالى - إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة، وإذا خُلقَ العبدُ للنار استعمله.. الخ)

دعوة الله عباده إلى الجنة:

والله بعباده رءوف رحيم، يريد بهم الخير ويدعوهم إليه ، فهو - سبحانه - كما قال: (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما) فمن أصلح العمل وآمن بالله ورسوله وشكر شكَر الله له، ومن آمن بقلبه وأخلص النية لله كفاه القليل من العمل، وجازاه على ذلك أوفر الجزاء، لأنه - سبحانه - يرغب في الجنة ويدعو إليها، لتكون دار تكريم لعباده تعوضهم عما لحقهم في الحياة الدنيا من آفات ونكبات ونقائض، ولذا سماها بدار السلام (والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم).

جاء في القصص النبوي عن أيوب عن أبى قلابة عن رسول الله[٤] قال: (قيل لي لتنم عينك وليعقل قلبك، ولتسمع أذنك، فنامت عينى، وعقل قلبى، وسمعت أذنى، ثم قيل لي: مثلى ومثل ما جئت كمثل سيِّد بَنَى دَاراً، ثم صنع مأدبة، وأرسل داعيا ، فمن أجاب الداعى دخل الدار، وأكل من المأدبة، ورضي عنه السيد، ومن لم يجب الداعى، لم يدخل الدار، ولم يأكل من المأدبة، ولم يرض عنه السيد، والله السيد، والدار الإسلام، والمأدبة الجنة، والداعى محمد {صلى الله عليه وسلم}).

بقلم:
أ.د. عبد الباسط
احمد على حمودة
- مصر -

وأخبر النبي {صلى الله عليه وسلم} فى قصة : (ما من يوم طلعت فيه الشمس، إلا وبجنبها ملكان يناديان - يسمعه خلق الله كلهم، إلا الثقلين - يا أيها الناس هلموا إلى ربكم، إن ما قل وكفى خَيْرٌ مما كثُر وألهى).

والطريق إلى الجنة سهل ويسير على من يسر الله له ووفقه، ودخولها بالقليل من العمل مع الإخلاص وصدق النية، وفى مقدمة القليل من العمل الخوف من مقام الله والوقاية من النار بأداء ما فرضه الله، وهو قليل ميسور، والرجاء فى رحمته وسؤاله الجنة وما يُقربِّ منها، وذلك على الصورة التى جاءت في بيان النبي {صلى الله عليه وسلم}.

جاء في الترمذي عن أبى هريرة[٥] - رضى

الله عنه - قال: قال رسول {صلى الله عليه وسلم} (من خاف أدلج[٦]، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة).

وفى الصحيحين عن أبى هريرة - رضي الله عنه - (أن أعرابيا جاء إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال: يارسول الله دُلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، فقال: تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، قال: والذى نفسى بيده لا أزيد على هذا شيئاً أبدا، ولا أنقص منه، فلما ولى قال: من سرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا).

وجاء فى صحيح مسلم عن جابر - رضى الله عنه - قال: (أتى النعمان بن قوقل إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال: يارسول الله أرأيت إذا صليت المكتوبة، وحرَّمت الحرام، وأحللت الحلال، أدْخُلُ الجنة؟ فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} نعم).

ويقص علينا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قصة عن أبى ذر - رضى الله عنه - قال: (أتانى آت من ربى فأخبرنى، أو قال فبشرنى: أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، قلت: وإن زنى، وإن سرق؟ قال: وإن زنى، وإن سرق).

وروى مسلم فى صحيحه[٧] عن أنس بن مالك عن معاذ بن جبل قال: كنت ردف النبي {صلى الله عليه وسلم} ليس بينى وبينه إلا مؤخرة الرحل، فقال: يا معاذ بن جبل، فقلت لبيك يارسول الله وسعديك، ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ بن جبل، قلت لبيك يارسول الله وسعديك، قال هل تدرى ما حق الله على العباد؟ قال: قلت الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ بن جبل قلت: لبيك يارسول الله وسعديك، قال: هل تدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قال: قلت الله ورسوله أعلم، قال: أن لا يعذبهم.

ودعوة الله إلى الجنة وترغيبه فيها، وما جاء على لسان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من البشارات المتعددة، تدعو الإنسان إلى العمل والجد والاجتهاد والسعى والاكتساب فالإيمان بالله وعدم الشرك يقتضى التصديق بالعمل، فدخول الجنة بفضل الله وعفوه، كما قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}[٨] (سددوا وقاربوا وأبشروا، واعلموا أن أحدا منكم لن ينجو بعمله، قالوا: ولا أنت يارسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته) والعمل بإقامة التكاليف واجتناب المنهيات وسائل لبلوغ رضوان الله ودخول الجنة.

جاء فى الصحيحين عن جرير بن عبد الله قال: (كنا جلوسا مع النبي {صلى الله عليه وسلم} فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال: إنكم سترون ربكم عيانا[٩] كما ترون هذا، لا تضامون فى رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا، ثم قرأ قوله: (وسَبِّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب).

ومن الأعمال التى تحقق دعوة الله إلى الجنة ما رواه عبد الله بن سلام[١٠] قال: لما قدم النبي {صلى الله عليه وسلم} المدينة انجفل الناس قِبَلَهُ[١١] وقيل قد قدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} - قد قدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، قد قدم رسول الله

{صلى الله عليه وسلم} ثلاثا فجئت في الناس لأنظر، فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته تكلم به أن قال: (يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام).

وجاء في مسند الإمام أحمد عن رجل من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال[١٢]: خطبنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ذات يوم قال: (أيها الناس، اثنتان من وقاه الله شرهما دخل الجنة) قال: فقام رجل من الأنصار فقال: يارسول الله ألا تخبرنا ما هما؟ ثم قال: (اثنتان من وقاه الله شرهما دخل الجنة) حتى إذا كانت الثالثة، أجلسه أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقالوا: نرى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يريد أن يبشرنا فتمنعه، فقال: إني أخاف أن يتكل الناس، فقال: (اثنتان من وقاه الله شرهما دخل الجنة، ما بين لحييه، وما بين رجليه)[١٣].

وعن أنس بن مالك عن النبي {صلى الله عليه وسلم}[١٤] قال: (تقبلوا لي ستا أتقبل لكم بالجنه، إذا حدث أحدكم فلا يكذب، وإذا وعد فلا يخلف، وإذا ائتمن فلا يخن، غضوا أبصاركم وكفوا أيديكم، واحفظوا فروجكم) وفي رواية: (اضمنوا لي ست خصال أضمن لكم الجنة: لا تظالموا عند قسمة مواريثكم، وأنصفوا الناس من أنفسكم، ولا تجبنوا عند قتال عدوكم، ولا تغلوا في غنائمكم وامنعوا ظالمكم من مظلومكم).

فدعوة الله عباده إلى الجنة تقتضي الالتزام بما جاء به الشرع، وهو - كما قلنا - سهل ويسير اشتملت عليه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، والتكاليف الشرعية تتناسب مع طاقات الخلق وما تتسع له نفوسهم.

يقول ابن قيم الجوزية[١٥]: (هلم إلى الدخول على الله، ومجاورته في دار السلام، بلا نصب ولا تعب ولا عناء، بل من أقرب الطرق وأسهلها، وذلك أنك في وقت بين وقتين، وهو في الحقيقة عمرك؛ وهو وقتك الحاضر بين ما مضى وما يستقبل فالذى مضى تصلحه بالتوبة والندم والاستغفار؛ وذلك شيء لا تعب عليك فيه ولا نصب ولا معاناة عمل شاق، إنما هو عمل قلب، وتمتنع فيما يستقبل من الذنوب، وامتناعك ترك وراحة، ليس هو عملا بالجوارح يشق عليك معاناته، وإنما هو عزم ونية جازمة، تريح بدنك وقلبك وسرك. فما مضى تصلحه التوبة، وما يستقبل تصلحه بالامتناع والعزم والنية، وليس للجوارح في هذين نصب ولا تعب، ولكن الشأن في عمرك، وهو وقتك الذى بين الوقتين، فإن أضعته أضعت سعادتك ونجاتك، وإن حفظته مع إصلاح الوقتين اللذين قبله وبعده بما ذكر، نجوت وفزت بالراحة واللذة والنعيم.

وحفظه أشق من إصلاح ما قبله وما بعده، فإن حفظه أن تلزم نفسك بما هو أولى بها، وأنفع لها وأعظم تحصيلا لسعادتها، وفي هذا تفاوت الناس أعظم تفاوت، فهي - والله - أيامك الخالية التى تجمع فيها الزاد لمعادك، إما إلى الجنة، وإما إلى النار.

فإن اتخذت إليها سبيلا إلى ربك، بلغت السعادة العظمى والفوز الأكبر في هذه المدة اليسيرة، التى لا نسبة لها إلى الأبد، وإن آثرت الشهوات والراحات واللهو واللعب، انقضت عنك بسرعة، وأعقبتك الألم العظيم الدائم الذى مقاساته ومعاناته أشق وأصعب وأدوم من

معاناة الصبر عن محارم الله، والصبر على طاعته، ومخالفة الهوى لأجله).

مفهوم الجنة:

الجَنُّ: ستر الشيء عن الحاسة، فجن الشيء جنًا مثل ستره وزنًا ومعنى، وكل شيء ستر عنك فقد جن عنك. فالليل إذا أظلم وستر فقد جن قال تعالى: {فلما جن عليه الليل رأى كوكبا}. وأجن الشيء ستره، تقول أجن الميت كفنه وغطاه، والمجن ما يستر في الحروب، وسميت الحديقة بالجنة، لأنها تستر بشجرها ونخلها وزرعها من الشمس، وبثمرها من الجوع، وبخيرها من الفقر والحاجة، وسمى الصوم بالجُنَّة، لأنه يقي من الشهوات التى حفت بها جهنم ومن وقى الشهوات وقى من النار.

والجنة فى الآخرة سميت بذلك لأنها تقى من النار، ويتنعم أهلها برغد العيش وطيب المقام، وبظل دائم وطعام وشراب لا ينقطع، ولا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا، وأن سكانها ينطبق عليهم ما قاله الله لآدم {إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمؤ فيها ولا تضحى}.

وعلى كل حال فإن ما جاء فى فقه اللغة من دلالات على الجنة فإنما هو تعبير عما وضع للأشياء فى الحياة الدنيا، وأما الجنة فى الآخرة فإن الوصف اللغوى يقصر عنها، ففيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وفيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

صفة الجنة:

من خصائص قصص القرآن الكريم، والقصص النبوي الإخبار عن عالم الغيب وتجليته بما يوضح معالمه، ويكشف عن حقائقه، ويعرضه فى صورة تؤدى الغرض وتفى بما تتطلبه الدعوة إلى الله من ترغيب وترهيب، ووعد ووعيد، وإنذار وتبشر وقد برز ذلك الأثر على المؤمنين والمشركين، من حيث وقوع الخوف والفزع من وعيد الله وحصول الفرح والشوق إلى ما أعده للطائعين، والأمثلة شاهدة ومعروفة.

والقصص النبوي يصف الجنة ونعيمها، وما أعده الله لأهلها وصفا يجعل الناس جميعا يتشوقون إليها ويأملون فى دخولها، ولكن المؤمنين الحقيقيين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ويضحون بكل عزيز وغال للفوز بدخولها، لما سمعوه عنها.

روى مسلم قصة عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله[١٦] {صلى الله عليه وسلم} (يقول الله - عز وجل - أعددت لعبادى الصالحين، مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ذخرا بله[١٧] ما أطلعتكم عليه، ثم قرأ رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (فلا تعلم نَفْسٌ ما أخفي لهم من قُرَّة أعين).

وجاء عن ابن ماجة عن أسامة بن زيد قال:[١٨] قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ذات يوم لأصحابه: (ألا مشمر للجنة؟ ، هى ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وفاكهة كثيرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة فى مقام أبدي فى جدة ونضرة، فى دار عالية سليمة بهية. قالوا: نحن المشمرون لها يارسول الله، قال: قولوا إن شاء الله، ثم ذكر الجهاد وحض عليه).

وفي رواية عن أبى هريرة قال[١٩]: قلت

يارسـول الله مم خلق الخلق؟ قـال: (من الماء) قلت: الجنة مـا بناؤها؟ قـال: (لبنة من فـضـة، ولبنـة من ذهـب، بلاطـهـا المسك الأذفـر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران، من دخلهـا لا ييـأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم) وعن جابر عن النبي {صلى الله عليـه وسلم}: (أرض الجنة خـبـزة بيضـاء) وعن أبى موسى عن النبي {صلى الله عليه وسلم}: (جنتـان من فـضـة آنيتـهـمـا ومـا فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القـوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه من جنة عدن).

وعن أبى مـوسـى فى قـصـة عن رسـول الله {صلى الله عليه وسلم}: (جنان الفردوس أربع، جنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فـيهما، وجنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن، وهذه الأنهار تشـخب من جنة عـدن، ثم تصـدع بعـد ذلك أنهارا).

وعن سـمـرة عن النبي {صلى الله عليـه وسلم}: (إن الله تعـالى بنى الفـردوس بيـده، وحظرها على كل مشرك، وعلى كل مدمن الخمر سكير).

وفى مـسلم من قـصـة الإسـراء عن أنس بن مـالك وأبى ذر عن رسـول الله {صلى الله عليـه وسلم}[٢٠]: (ثم أدخلت الجنة فـإذا فـيـهـا جنابذ[٢١] اللؤلؤ، وإذا ترابهـا المسك) وفى رواية: (أنه رأى أربعة أنهار، يخرج من أصلها نهران ظاهران، ونهران باطنان، فقلت يا جبريل ما هذه الأنهار؟ فقال: أما النهران البـاطنان، فنهـران فى الجنة، وأمـا الظاهران فـالنيل والفرات)[٢٢].

أسماء الجنة وعددها وأنواعها:

تكلم القرآن الكريم عن الجنة بصـفـة عامـة، وورد فى مواضـع متعددة أسماء لجنات أخرى تتميز ببعض الأوصاف التى تليق بعباده الذين تفـضل عليـهم بالسـعـادة والكرامة والفوز فى الدار الآخرة.

وقـد ذكـر ابن قـيم الجـوزية[٢٣] عـددا من أسمـاء الجنة بـاعـتـبـار صـفـاتها ومـعـانيـها واشـتـقـاقـاتهـا الدالة على عطاء الله لعـبـاده العاملين الذين وفقهم لخدمته.

(١) فمن أسمائها: الجنة؛ وقد تقدم معناها فيما سبق.

(٢) وتسمي: دار السـلام؛ لقوله تعـالى {لهم دار السـلام عند ربهم} وقـوله: {والله يدعو إلى دار السلام} فهي دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه.

(٣) وَتُسَمَّي: دار الخلد؛ لخلود أهلهـا فـيـهـا إلى الأبد الذى لا ينقطع، وكثرة نعمها ونعيمها بدون انتهـاء (عطاء غير مجذوذ) وقوله تعالى: {إن هذا لرزقنا مـاله من نفـاد} وقـوله: {أكلهـا دائم وظلهـا} وقـوله أيضـا: {ومـا هم منهـا بمخرجين}.

(٤) وتسمى: دار المقامة؛ لقوله تعالى حكاية عن أهلهـا: {وقـالوا الحـمـد لله الذى أذهب عنا الحـزن إن ربنا لغـفـور شكور، الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب}.

(٥) وتسـمـى: جنة المأوى؛ قـال عطاء عن ابن عـبـاس: هـي الجنة التى يأوى إليـهـا جـبـريل والملائكة. وقال مـقـاتل والكلبى: هى جنة تأوى إليها أرواح الشهداء. وقال كعب: جنة فيها طير

خضر ترتع فيها أرواح الشهداء، وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ ووز ابن حبيش: هى جنة من الجنان. والصحيح أنه اسم من أسماء الجنة لقوله تعالى: {وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى}.

(٦) وتسمى: جنات عدن، قال ابن قيم الجوزية: والصحيح أنه اسم لجملة الجنان وكلها جنات عدن، قال تعالى: {جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب} وقال تعالى: (جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير}.

(٧) ومن أسمائها: دار الحيوان؛ لقول الله تعالى: {وإن الدار الآخرة لهي الحيوان} والمراد بالدار الآخرة عند أهل التفسير الجنة.

(٨) ومن أسماء الجنة: الفردوس. وأصل الفردوس: البستان، والفراديس: البساتين قال كعب: هو البستان الذى فيه الأعناب. وقال الليث: الفردوس جنة ذات كروم، وقال غيره: هى الجنة الملتفة بالأشجار، ويغلب ذلك على العنب قال تعالى: {لهم جنات الفردوس}.

(٩) ومن أسمائها: جنات النعيم، قال تعالى: {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم} وهو اسم جامع لجميع الجنات، حيث يتنعمون بالمأكول والمشروب والملبوس، والرائحة الطيبة والمنظر البهيج، والمساكن الواسعة، وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن.

(١٠) وتسمى الجنة: المقام الأمين، قال تعالى: {إن المتقين فى مقام أمين} وقد جمعت فيها كل صفات الأمن وطيب الإقامة، فمن دخلها فهو آمن من الزوال والخراب وأنواع النقص، وهو آمن من الخروج والنغص والنكد وسوء العاقبة والموت.

(١١) ومن أسماء الجنة: مقعد صدق وقدم صدق؛ قال الله تعالى: {إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق} وقال تعالى: {وبشّر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم} سميت بذلك ـ كما يقول ابن قيم الجوزية ـ لحصول كل ما يراد من المقعد الحسن فيها.

وجاء فى القصص النبوي رواية عن البخاري عن أنس بن مالك أن أم الربيع بنت البراء وهى أم حارثة بن سراقة: (أتت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقالت: يا نبي الله ألا تحدثنى عن حارثة؟ وكان قتل يوم بدر، أصابه سهم غرب[٢٣] فإن كان فى الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء. قال: يا أم حارثة، إنها جنان فى الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى).

وجاء في القصص النبوى تفضيل بعض الجنان على بعض، فاصطفى الله ـ تعالى ـ جنة عدن، فجعلها بالقرب من عرشه وغرسها بيده، فكانت سيدة الجنان. قال عبد الله بن عمر[٢٥]: (خلق الله أربعة أشياء بيده: العرش، والقلم، وعدن، وآدم ـ عليه السلام ـ ثم قال لسائر الخلق: كن، فكان).

وعن أنس عن كعب قال: (لم يخلق الله بيده غير ثلاث: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده، ثم قال لها: تكلمي، قالت : قد أفلح المؤمنون).

وعن أبى سعيد قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إن الله أحاط الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وغرس عرشها بيده، وقال لها: تكلمى، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقال: طوبى لك منزل الملوك).

وعن سمرة عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال:[٢٦] (جنة الفردوس هي ربوة الجنة العليا التى هي أوسطها وأحسنها) وعن الحرث

الأزدي: (الفردوس سرة الجنة) ونقل القرطبي في التذكرة رواية عن ابن عباس - رضي الله عنهما - إن الجنات سبع: دار الجلال، ودار السلام، وجنة عدن، وجنة المأوى، وجنة الخلد، وجنة الفردوس وجنة النعيم.

ويقول القرطبي:[٢٧] وقيل إن الجنان أربع، لأن الله تعالى قال: {ولمن خاف مقام ربه جنتان} وقال بعد ذلك: {ومن دونهما جنتان} ولم يذكر سوى هذه الأربع؛ فإن قيل: فقد قال جنة المأوى، قيل جنة المأوى اسم لجميع الجنان، يدل عليه أنه تعالى قال: {فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون} وكذلك جنة عدن وجنات عدن؛ لأن العدن الإقامة، وكلها دار الإقامة، وكذلك دار الخلد ودار السلام؛ لأن جميعها للخلود والسلامة من كل خوف وحزن، وكذلك جنات النعيم؛ لأن كلها مشحونة بأصناف النعيم.

وفي قصة نبوية رواها ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال[٢٨]: (الجنتان بستانان في عرض الجنة، كل بستان مسيرة مائة عام، في وسط كل بستان دار من نور على نور، وليس منها شيء إلا يهتز نعمة وخضرة، قرارها ثابت وشجرها نابت).

وفي قصة نبوية عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه[٢٩] - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة، ومن فوقها يكون العرش، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس) وفي منتخب كنز العمال عن أبي أمامة: (إن أهل الفردوس يسمعون أطيط العرش).

وفسر العلماء قول الله تعالى: {ولمن خاف مقام ربه جنتان} وقوله تعالى: {ومن دونهما جنتان} أي دون هاتين إلى العرش أي أقرب وأدنى إلى العرش. وقال مقاتل: الجنتان الأوليان: جنة عدن وجنة النعيم، والأخريان جنة الفردوس وجنة المأوى.

ومما سبق تتعدد الجنان وتتفاضل، كما تختلف الدرجات وتتباين فيها، ولا يمنع ذلك من أن الكل يطلق عليها اسم الجنة فهي اسم جامع لكل الجنان.

- للحديث صلة -

الهوامش:

(١) خطب الرسول {صلى الله عليه وسلم} ص ٢١٧ وابن كثير جـ ٤ ص ١٠٧.
(٢) حصرهم فلا زيادة ولا نقصان.
(٣) ابن قيم الجوزية: طريق الهجرتين ص ٨٢.
(٤) ابن كثير جـ ٢ ص ٤١٣ وصحيح حادي الأرواح ص ٦٥.
(٥) صحيح حادي الأرواح لابن قيم الجوزية ص ٧٤.
(٦) أدلج: سار من أول الليل.
(٧) جـ ١ ص ١٢٠.
(٨) صحيح حادي الأرواح ص ٧٧ ، ٢٧٧.
(٩) بواسطة العيون.
(١٠) خطب الرسول ص ١٠٠.
(١١) انجفل الناس قبله: ذهبوا مسرعين نحوه.
(١٢) المرجع السابق ص ١٣٢.
(١٣) يعني اللسان والفرج.
(١٤) المرجع السابق ص ١٥١.
(١٥) الفوائد ص ٢٠٢.
(١٦) التذكرة ص ٥٢١.
(١٧) بلْهَ: بمعنى دع أو غير أو سوى.
(١٨) المرجع السابق ص ٥٢١.
(١٩) منتخب كنز العمال جـ ٦ ص ١٠٥ - ١٠٦.
(٢٠) جـ ١ ص ٣١٤ - ٣١٧.
(٢١) واحدها جنبذة وهي القبة.
(٢٢) ص ٣١٨.
(٢٣) صحيح حادي الأرواح ص ٨٢.
(٢٤) سهم غرْب: لا يدرى من رماه.
(٢٥) صحيح حادي الأرواح ص ٩٢.
(٢٦) منتخب كنز العمال جـ ٦ ص ١٠٦ - ١١١.
(٢٧) التذكرة ص ٥٨٠.
(٢٨) المصدر السابق ص ٥١٦.
(٢٩) منتخب كنز العمال جـ ٦ ص ١٠٧ والتذكرة ص ٥١٨.

نحو دراسة علمية منظمة:

الاستشراق وبواعثه وماله وما عليه

مشكلتنا نحن العرب والمسلمين اهتمامنا بالنتائج دون أن نسبر غور كثير من المسببات التي أدَّت إليها. ونعنى بأمور بعيدة كلَّ البعد عن العالم وما يدور حوله، ونهتم بالمظاهر أكثر من الاهتمام بالجوهر المحرك للحياة الغربية الداخلية، والمتناقضات الحضارية والتيارات الاقتصادية والدوافع النفسية التي تهيمن على أجواء العالم الغربي.

إن النرجسية عند بعض المغتربين العرب وحبَّ الذات والاهتمام بالمشكلات الفردية حالت عند كثير منهم دون العمل المشترك بين الأفراد، ووصلت الفردية التي تهيمن على بعض الأسر أو أهل المدينة والقطر حدَّ التقاطع والنفرة. لذلك كانت أكثر أحكام الكتَّاب محدودة، والأفكار بعيدة عن بلورة الأحكام ومتانتها الذهنية. مع أن الإسلام أمر بالشورى والاستفادة من الجماعة والأخذ بالصائب منها.

كثرت الدراسات عن الاستشراق، وأكثرها دراسات فردية بحتة لم يجمع الرأى فيها في مؤتمر علمي منظم لنعرف صائب الآراء وأثر الاستشراق ونفعه وضرره.

ومتى ظهرت قرارات المؤتمرات فإنها توضع فى الأدراج وتكون محدودة الفائدة، لأن أكثر العرب انشغل عن القراءة والدراسة والاستيعاب، ولم يأخذ العبرة من نتائج التخطيط الغربي. وإذا قرأنا ننسى الأحداث ونغفل المؤتمرات التي تؤثر فى حياتنا والتخطيط الاستراتيجي لمستقبل حياتنا الذي يصنعه غير العرب.

الاستشراق جزء من الحضارة الغربية، ولا يمكن دراسته دون معرفة التطور الحضاري والتقدم الفكري والنتائج السياسية التي تسيطر على الحضارة الغربية وعقلية صاحب القرار فيها.

ولا يمكن فصل جهود الاستشراق عن الحضارة الغربية، لأن اهتمامها بالذرة والصواريخ والكومبيوتر وآلات الدمار لا يختلف عن اهتمامها بعوامل التفاعل البيولوجي في البحار ليكوِّن الاكسجين الذي تعيش عليه الكرة الأرضية. وان قعر المحيطات المخزن الأول لهذا الغاز الذي تعيش عليه الحياة وتستمر. **فالعلماء يدرسون أصغر المظاهر وأكبر المؤثرات في ميزان واحد واهتمام جادٍّ وتنسيق منظم وبعقلية واسعة متفتحة.**

لا شك في أن دراسات المستشرقين للمخطوطات العربية ونشر شعر المتنبي والبحتري وأبي تمام والأعشى لا تختلف عن دراستهم لتكاثر السحالي وعمل نسغ الأشجار وظهور اليخضور على ورق الأشجار، مثل الاهتمام بالاكترونات والتأين والجاذبية بين الجماد وكيف يذوب السكر في الماء وكيف تجذب ذرات الاكسجين ذرات الماء وتذوب فيه.

الغرب واع ذكي بعيد النظر، فقد درس الشرق دراسة واسعة عميقة الجذور فقد اطلعت في (دار الوثائق البريطانية) على مقدار عنايتهم بكل صغيرة وكبيرة في بلادنا، فقد سجلوا صادراتنا ووارداتنا والأمراض المنتشرة بيننا، وأهمَّ هوايات الناس، واتجاهات كل إنسان الفكرية والأدبية، وحياة الشرق الاقتصادية والعاطفية وأشياء لا أقدر أن أذكرها في هذه المقالة..!!

أ.د. يوسف عز الدين

عضو مجمع اللغة العربية - بالقاهرة -

وكان الإسلام أحد أركان هذه الدراسات الجادة وأثره في الحياة العامة، وما مستقبل العرب وما رغباتهم وحاجاتهم، وهل يفكرون بالوحدة، وما الخطوات التي تبدد رغبة العرب في تقاربهم؟ بخطط مدروسة انتدب لها علماء النفس والاجتماع والاقتصاد.

دراسات الاستشراق جزء من حضارة الغرب ، تخدم مصالحهم، وهناك معاهد ولجان ومؤسسات خصصت لدراسة الشرق بصورة عامة والوطن العربي بصورة خاصة، فيها سجلات دقيقة على كل حركاتنا وسكناتنا. فهم

يشترون كل ما يطبع في العالم العربي، حتى الصور الشعبية عن أبي زيد الهلالي وعنترة بن شداد، لدراسة الأساطير والخرافات وما يفكر فيه كل المجتمع.

فهل خصصنا مثل هذه المؤسسات واللجان لدراسة حضارة الغرب وفهمنا الأسس الاقتصادية والمالية التي توجه سياسته، وعرفنا جذور هذه الأسس لنواكب حضارته وتجاربه في خططه؟.

هل درسنا بدايات المخترعات والاكتشافات التي قام بها الغرب وكيف تطورت ووصلتنا؟ فقد خصص الغرب من يدرس الطبيعة الشرقية والدين الإسلامي في الشرق ونشرت مذكراتهم بعد أن دخل بعضهم الدين الإسلامي، لا رغبة فيه وإنما لفهم الفكر الإسلامي. وأصبح أحد هؤلاء طالب علم في الحرم المكي الشريف ونشر له كتاب وترجم إلى العربية. فقد أرسلت الحكومة الهولندية كريستان هور خمرونيه الى مكة المكرمة لدراسة حالة المسلمين وأثر الحج عليهم وانتظم في حلقة تدريس الشيخ زيني دحلان وأعلن إسلامه، ولكن الحكومة العثمانية عرفت بأنه جاسوس بعد ستة أشهر، وله مراسلات مع الشيخ دحلان وقد كتب كتاباً بعنوان «الحياة في مكة» نشر وترجم جزء منه، وقد تحدث عنه الأستاذ المعروف الدكتور قاسم السامرائي بتفصيل واف.

لا شك بأن الاستشراق قام على خدمة الغرب للتعرف على الحياة الشرقية وحياة المسلمين وجاء هؤلاء بصور متعددة كالسياحة وتتبع الآثار، ولبس بعضهم رداء العلم لتسهيل مهمة الاستيلاء على خبرات البلاد والاستفادة من المواد الأولية الرخيصة وبيع المنتجات التي تكدست من جراء اختراع المكائن وانتشار البطالة في بلادهم.. وكان أهم دافع هو الاقتصاد ومحاربة الدين الإسلامي الذي كان يقف حائلا دون التغلغل الفكري، والتبشير بين أبناء الشرق.

بعض المنصفين من المستشرقين:

ومع كل هذه الدوافع الاستعمارية فقد تحرر بعض هؤلاء من ربقة السياسة وكتبوا عن الإسلام ما أملته عليهم وقائع التقدم الحضاري الإسلامي. فقد قال كوستاف لوبون: «ما عرف العالم فاتحاً أرحم من العرب». وكتب بعضهم عن الحضارة الإسلامية وأثرها في تطوير حضارة الغرب في العلوم والفنون والآداب. وألقيتُ أكثر من محاضرة عن «أثر الأدب العربي في حنايا الأدب الغربي» فهل قرأه المتعلمون والمثقفون؟ وقد طبعتها في الرياض ـ دار الصافي وباعتها بسعر رخيص.

ومن الذين أنصفوا العرب والإسلام: آربري، فقد ترجم معاني القرآن الكريم إلى اللغة الانكليزية، ولم يقل بأنها ترجمة وإنما قال « شرح القرآن» وله دراسات كثيرة حبذا لو ترجمت إلى العربية. **كما كتب الفردكيوم «تراث الإسلام»** مع جماعة من المستشرقين، وترجم السيرة النبوية إلى اللغة الانكليزية. ومنهم جاك برك ورزيتانو والمستشرقة الذكية التي نشأت في مصر **الدكتورة كليليا سارنكي تشركو.** ومن اللواتي بذلن جهداً واضحاً الأستاذة الدكتورة أوديت بتي في جامعة السوربون الجديدة ، فقد كتبت كثيرا عن الأدب العربي، وترجمت لعمر بن أبي ربيعة وأبي فراس وطه حسين. وتعمل على تعريف الإسلام والإبداعات الثقافية في الأدب العربي. وهي مستمرة في جهودها الكبيرة. وعسى أن أفرد لها دراسة لأنها تستحق كل تقدير ، ولا يمكن أن ننسى الأستاذ **بوزورث وسيكرد هونكه والسير هملتن كب فقد قدموا للأدب العربي دراسات ممتازة.**

وأخيراً: **الاستشراق أحد نتائج الحضارة الغربية الرأسمالية التي تريد أن تستفيد من ثروات الشرق لخدمة شعوبها والمحافظة على مستوى الرفاهية، فلا نعجب إن رصدت حركاتنا بكل الوسائل القديمة والحديثة وسجلت التطورات التي تحدث في اليابان والصين وحضارتهم، وترصد دولها؛** ففرنسة تدرس ما في بريطانية كما تدرس الأمور الشرقية، وألمانية تنظر للغرب نظرة خاصة بعد توحيدها. وأمريكا تراقب العالم وترقبها أوربا.. كل ذلك في سبيل الاقتصاد والمال والتجارة.

اتجاه جديد:

وأخيراً لا بُدَّ من نظرة فاحصة لكل مستشرق ودراسة جذوره وثقافته ودوافعه وبخاصة المعاصر منهم، فقد تخلص كثير منهم من السيطرة الرسمية وأخذوا يعملون في صمت في سبيل بحوثهم وابتعدوا عن التيار المعادي للإسلام ودرسوا الدين الإسلامي بحياد وتعاطف وبدأوا يفهمون الدين الإسلامي فهماً صحيحاً وينصفونه.

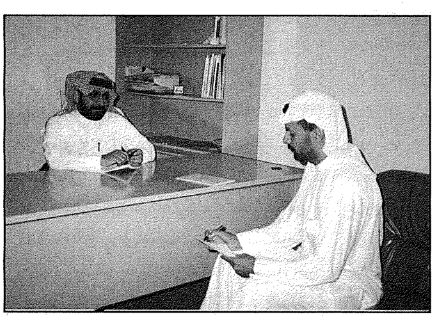
وأخيراً: **ليس الاستشراق كلُّه سيِّئاً وليس كلُّه حسناً. ولكن علينا دراسة التيارات وتشجيع المحايد والمتعاطف والمخلص، ولا نقف أمامهم باستفزاز وعصبية، وإنما احتواء هؤلاء بالطيب من كل شيء، لأن ردَّ الفعل سيكون أكثر استفزازاً.**

وصدق الله العظيم: {ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم}.

«الأستاذ خالد أحمد اليوسف المسعود سكرتير وأمين سر «نادي القصة السعودي» مسئول تحرير مجلة «الواحات المشمسة» واحد من المهتمين بالحركة القصصية بخاصة والأدبية بعامة في المملكة العربية السعودية.. وبحكم موقعه في نادي القصة، فقد كان لنا معه هذا الحوار، وصولا إلى ما تناهت إليه حركة القصة في تيارها المتنامي عبر العقود السابقة».

نادي القصة السعودي :

طموح .. وابداع



المحاور مع الاستاذ خالد اليوسف

***** المنهل:***

نشأة النادي وأهدافه ومهامه؟.. لعلها البداية التي نود التعرف عليها..؟

* بداية أنا سعيد جداً لهذه الفرصة من (مجلة المنهل) المجلة الأم ومنحهم نادي القصة السعودي هذه الصفحات للتعريف به أمام القاريء العربي، فهذا النادي لم يكن ليبرز لولا حرص صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد لإبراز أدبنا الأصيل المتجدد والمتقدم، وقد بدأ نشاطه مع أواخر التسعينيات الهجرية وكان النشر بداية عمله حيث أخرج الجزء الأول من الواحات المشمسة وكان خاصاً بالقصص الفائزة بالمسابقة الأولى ثم واصل نشاطه المتنوع والمتعدد، وللنادي أهداف ومهام أساسية تتغيًا الأخذ بيد القصة القصيرة والرواية وكتابها وكاتباتها .. ومن هذه الأهداف:

- إصدار ونشر المجاميع القصصية والأعمال الروائية والدراسات النقدية المتميزة والمتمكنة من نتاجها.

- الأخذ بأيدي الناشئة والهواة من خلال المسابقة الدائمة لكتابة القصة القصيرة.

- إصدار الملف المتخصص بالقصة القصيرة والرواية (الواحات المشمسة) لإبراز هذا العطاء المتقدم في بلادنا نصاً ودراسة.

- تكاتف الجهود لخدمة دارسي هذا الإبداع ومساعدتهم من خلال المكتبة المتخصصة ومركز المعلومات الفريد في مجاله وحصره.

- ربط الكتّاب وجمعهم في شعار وانتماء وطني واحد ومنحهم بطاقة العضوية الدائمة تكريماً لقدراتهم المتميزة.

- يقوم النادي بعملية التواصل مع الجهات المماثلة في الخليج العربي والوطن العربي عامة لنقل الصوت القصصي الى هذه الأنحاء، كذلك النقاد العرب الذين لهم تواصل مع النادي ومع الإبداع السعودي.

- إقامة الأمسيات القصصية والمحاضرات والندوات التي تدرس القصة القصيرة والرواية.

*** المنهل:**

ما البرامج والاستعدادات التي وضعها نادي القصة السعودي كقسم فعال في الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سبيل احتضان الأدباء الشباب خصوصاً من كتاب القصة القصيرة؟

* خطة النادي مستديمة لا ترتبط بعام أو فترة زمنية وتنتهي، ولهذا نحن نحاول كل عام الاعلان عن بدء استقبال النصوص القصصية الجديدة للمشاركة في مسابقة القصة، كذلك لازلنا نشيد البناء ونرفعه عالياً ليكون مركز المعلومات القصصي متكاملا ومرجعاً مهماً في كل صغيرة وكبيرة ليس في القصة القصيرة والرواية المحلية ولكن على مستوى الخليج العربي والوطن العربي، وقد بلغ ما يحويه أكثر من مائة وعشرين حافظة وملفاً لأكثر من مائة وأربعين كاتباً وكاتبة في القصة القصيرة والرواية، وقدمنا خدماتنا للباحثين والدارسين في الجامعات السعودية ، ثم جائزة سمو الأمير فيصل بن فهد لأفضل عمل قصصي وكتاب في القصة القصيرة مازالت قائمة ولم يُعلن عنها بعد.

*** المنهل:**

الملف الأدبي «الواحات المشمسة» ملف مفعم بعالم القصة ونقدها والدراسات التي وُضعت لأجلها، ما هي قصة ظهور هذه المجلة كقفزة نوعية في جدية الإهتمام من قبل المسؤولين عن كافة جوانب «الأدب العربي» في السعودية ومنها القصة القصيرة؟

حوار: **عقيل بن ناجي المسكين** - الرياض -

* هذه المجلة، هي إحدى الطموحات الكبيرة للجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ممثلة بنادي القصة السعودي، وفي الحقيقة لا يزال هذا الطموح صغيراً وسيكبر بإذن الله، وهو ملف متخصص كانت بدايته كتاباً خاصاً بأعمال الفائزين بمسابقة القصة عام ١٣٩٩هـ ثم في عام ١٤٠٩هـ أمر الاستاذ محمد بن أحمد

الشـــدي بتطوير هذا الملف وإصـــداره على شكل ملف متخصص فكان الجزء الثاني، ثم تطور أكـثـر ووضع له الشكل والتـصـمـيم الخارجي والداخلي الثابت ليأتي الجزء الثالث بالشكل المرضي، وقـريـبـاً ـ إن شـاء الله ـ يصدر الجزء الرابع وفيه تبرز كثير من الآمال والطموحات خدمة للقصة القصيرة والرواية في المملكة العربية السعودية.

**** المنهل:**

وماذا عن المسابقات في القصة القصيرة التي يعلن عنها النادي وما هي شروطها، وما مدى أهميتها في اكتشاف المواهب التي تستحق الاهتمام والتشجيع عن طريق هذه المسابقات وما هي وسائل التشجيع التي تبذل لهم؟

* للناشئة والمبتدئين والهواة حق عظيم وخاصة في هذا المجال الذي كرسنا جهودنا له ولهذا عقدت أربع مسابقات كانت نتائجها مبهرة حيث كشفت وسلطت الضوء على أسماء تستحق هذا الاهتمام لتمكنها وتفوق قدراتها الكتابية الإبداعية وقد شقت دربها فيما بعد وأصبحت من الأقلام البارزة في القصة القصيرة على مستوى المملكة، ونحن لا نشترط شروطاً صعبة أبداً، وأهم الشروط هي:

ـ نضج الكتابة ، ووضوحها ، وجديتها ، وعدم الاشتراك بالنص المشارك به في أي مسابقة أخرى، الأحقية للنادي والملكية له بعد وصول هذا المتسابق الى درجات الفوز، وأهم هذه الشروط كونه سعودياً، ثم بعد ذلك نشجع الفائزين في احتفال يتناسب مع هذه المناسبة لتوزيع شهادات التقدير والمكافآت للخمسة الفائزين مع تقديم أمسية خاصة بهم لقراءة إحدى قصصهم غير الفائزة ثم نشر الفائزة في ملف الواحات المشمسة.

**** المنهل:**

ما هي الخطة المتبعة لدى نادي القصة في طباعة إنتاجات الشباب المستحقة للطبع والنشر كانتاج أدبي وصل الى مرحلة الإبداع والقبول من قبل المتلقي الواعي؟

* نادي القصة يسعده دوماً إصدار الأعمال القوية المتميزة لكتابنا الذين لم يسبق لهم أن تقدموا للنادي والأولى كذلك للذين لم يصدر لهم النادي اعمالا ونحن كالجهات الرسمية الأخرى نبعث بالعمل إلى فاحصين لإجازته فإن وافقوا نشرناه وطبعناه وإن كانت لهم ملاحظات أعيد لصاحبه، وقد وصلت سلسلة المجاميع القصصية لاثنتين وعشرين مجموعة والرواية عمل واحد.

**** المنهل:**

الدولة لم تأل جهداً في خدمة الشباب واتجاهاتهم في هذه الحياة، إلى أي حد كان التوجه في خدمة الأدب القصصي؟.

* القصة القصيرة هي احدى فروع الأدب الحديث ولم تبرز إلا في الآونة الأخيرة من القرن العشرين وبخاصة هنا في المملكة العربية السعودية، ومنذ عشر سنوات تقريباً بدأ طلاب الجامعات الاطلاع عليها وقراءتها مع بدايات التسعينيات الهجرية ١٣٩٠هـ، ونحن الآن في أوائل ١٤١٧هـ أجد ان القصة القصيرة قفزت عالياً وأصبح لها قراؤها ومتابعوها واقتناء الأعمال الجديدة لمن لهم

رغبة في القراءات الأدبية، أما أن أقارن بين الأدب والرغبات الأخرى لدى شبابنا فبالتأكيد لكل عصر رجاله وصناعه والصحون الفضائية سيطرت على العقول الكبيرة والصغيرة لقوة الدهشة والانتقال بالخيال الى عوالم أرحب ما بين الفن والرياضة.

**** المنهل:**

في عالم القصة اتجاهات تجديدية متعددة سايرت المد الحداثي في النص الأدبي بشتى أشكاله ومن هذه الاتجاهات القصة الرمزية المغرقة في الغموض ما هو موقفك الشخصي منها من خلال تجربتك القصصية؟ وهل لها جدوى أدبية في ساحة الأدب؟

* الأدب الرمزي ليس حديثاً بل قديماً وله جذوره في أدبنا العربي، أما الإغراق في الرمز لدرجة الغموض فإنه يحوِّل العمل الأدبي إلى فوضى ومضيعة للوقت.

وفي الحقيقة إن الرمز جميل جداً عند صدق التعبير وصعوبة الإيضاح والإفصاح بل وأجمل عندما يكون الوضوح عادياً لا يظهر جمال النص أو القضية أو الفكرة المراد طرحها من خلال النص، وكثير من المواقف تستدعي هذا ولهذا وردت فكرة القراءات المتعددة وأصبحت واقعاً لدى النقاد.

**** المنهل:**

ما هي أهم ملامح التجديد في القصة السعودية خاصة من حيث الاسلوب والمواضيع التي تطرحها؟ وما مدى تقبل المتلقي السعودي لهذا التجديد؟

* تبدو لي من الوهلة الاولى أن الإجابة على هذا السؤال تتطلب بحثاً طويلا وقد تطول رسالة علمية وهذا ما أتمناه!!

إن الكتابة القصصية مرت بأساليب عديدة وكل مرحلة كتابية لها طابعها وطرائقها في الطرح والتناول حيث إن المرحلة تملي واقعها بلغتها الخاصة لهذا حين تقرأ قصة كتبت مع بداية ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م ستجد أنها تختلف عن قصة كتبت بعد ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م والدراسات التطبيقية أفضل بكثير من النظريات والرأي الفردي - وأنا أثق برأيي - ذي الخلفية القرائية من غير تطبيق! ولذا أتوقع من الدراسات الجامعية الخروج بنتائج جيدة وهذا الحديث يأتي كذلك على الموضوعات التي تتناولها القصة القصيرة وكثيراً ما دعوت في مقالاتي واللقاءات التي أكون طرفاً فيها الى أن تدرس القصة لدينا من الناحية الموضوعية.

**** المنهل:**

«القصة القصيدة» كما أُطلق عليها من قبل بعض النقاد والتي لا ينقصها إلا وضعها في قالب موزون لتصبح قصيدة حديثة، هل لهذا النوع من القصص مكانة في الساحة الأدبية السعودية؟

* القصة القصيدة موجودة من خلال الجمل الشاعرية والمقاطع المتناثرة في ثنايا القصة وذلك عائد لكون الذاكرة العربية شاعرة بالفطرة وفي داخل كل منا شاعر خاص به تنطلق شاعريته عند الموقف أو اللحظة التعبيرية في ساعة الكتابة، وهي طبيعية - أقصد كتابة القصة القصيرة - لا يتقصدها الكاتب ولا يجبر نفسه على إجادتها أو اتقان اللغة الشاعرية من خلالها لأن السياق العام

للقصة يستدعيها وهذه الصنعة من جماليات القصة العربية.

**** المنهل:**

المجتمع السعودي له ارتباط وثيق بالبيئة من حوله كالصحراء الواسعة وشواطىء الخليج العربي والبحر الأحمر والمزارع والبساتين مع ما بها من مظاهر الريف والمناطق الجبلية المغطاة بطبقة شاسعة من الغابات والأشجار ، ما مدى استفادة القاص السعودي من هذا الجانب في إبراز عامل المكان بإبداعه القصصي؟ وما أمثلة هذا العامل الفعَّال في انتاجاتك القصصية؟

* الإنسان ابن بيئته وأرضه وتراثه وعاداته وتقاليده ومخزونه التراثي على اختلاف في القدرات والمفاهيم والاستطاعه التضمينية داخل النص أو الاستيحاء لمعالجة جماليات النص، وكل قاص لدينا استطاع بمفهومه وقوته في الكتابة أن يمر على خلفيته التراثية زماناً ومكاناً - والحمد لله - أن وطننا الواسع لا حصر للعادات أو المظاهر التراثية وقاصينا من أرجاء الوطن استطاع كل واحد منهم نقل صورة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة لهذه الجماليات حسب ما يتطلبه القص والحكاية والحدث، وأعتقد أنه يبرز أكثر لدى كتاب الرواية مستقبلا - اما أنا فمن ضمن هؤلاء ومجاميعي الثلاث وقصصي الاخرى تزخر بصور وحكايات ومواقف استفادت من الوطن لأني جزء من هذا الوطن.

**** المنهل:**

القلم النسائي له حضور فعال في الساحة الأدبية والثقافية والفكرية بالمملكة ، فما دور الكاتبة السعودية في مجال القصة القصيرة ونقدها، وأشهر الكاتبات، ومن من الكاتبات تعاونَّ مع النادي وطبع لهن؟.

* بالتأكيد للمرأة دور كبير في حركتنا ولا ينكر هذا إلا جاهل أو مغالط للوقائع المنتجة من قبل المرأة حتى أصبحت في صف الرجل في أشياء كثيرة، وهنا من خلال السؤال السالف أجدها مناسبة كي أثبت حق أخواتي القاصات حيث انهنّ بدأن مع الكتاب الجادين ونشرن في التسعينيات الهجرية عدداً من النصوص القصصية من خلال الصحف والمجلات ولم تظهر الأعمال المجموعة بشكل واضح الا في نهاية التسعينيات وخلال العقد الماضي ١٤٠٠هـ/ ١٤١٠هـ ازدهرت بوضوح، وللباحث والقارىء أقدم له كتابي الراصد : الببليوجرافيا الخاصة بالقصة القصيرة والرواية في المملكة خلال عشر سنوات ١٤٠٠هـ/ ١٤١٠هـ الجزء الأول، والثاني إن شاء الله في الطريق ليغطي الفترة التالية ثم إني حصرت ذلك في ببليوجرافيا خاصة بأدب المرأة وقد نشرت في العدد الرابع من «قوافل» الملف الذى يصدره نادي الرياض الأدبي.

أما أشهر الكاتبات فهذه صيغة لا أريد الدخول فيها لأنهن كلهن شهيرات وعددهن كثير جداً، وكل القاصات متعاونات مع النادي إلا اللاتي فقدن مصداقية حمل الرسالة الأدبية وبقين هائمات وراء الشهرة الزائفة في الصحافة المطبلة.

**** المنهل:**

من برأيك يقف على هرم القصة القصيرة

في المملكة باعتباره مبدعاً يستحق الوقوف أمام أعماله القصصية لتميزها وتوفر معايير الإبداع القصصي فيها؟

* من الصعب جداً تحديد الهرمية في الإبداع لأن الكمال في الابداع صيغة عليا يصعب توفرها، وانما - حسب رأيي - التباين هو ما يفرق بين كاتب وآخر، أقصد بذلك أن العمل الكتابي لشخص واحد لا تجتمع فيه كل المتطلبات الابداعية لهذا قد يبرز قاص في الإبداع اللغوي وقد يبرز آخر في الناحية البنائية للقصة وآخر في الطرح الموضوعي وآخر في التضمين واستخدام الموروثات والأساطير بالشكل المثير للقاريء، وكل هؤلاء لدينا، ثم - وهذا هو المهم - هل كل ما يكتبه قاص معين ناجح ومميز يحالفه النجاح دوماً ؟؟؟ فربما تفوق في قصة واحدة وأخفق في أخرى.

***** المنهل:***

هناك احتدام أدبي نقدي حول موضوع القصة القصيرة من حيث عدم جدواها في خدمة المتلقي وإفادته وقد لجأ اليها الكتاب لسهولتها وكثرة المواضيع التي يمكن تناولها بهذا الاسلوب القصصي القصير، وإنما هي لقطات عابرة من الأحداث الجارية يوميا في ساحة المجتمع ونقلها يعتبر اسلوبا صحفيا ليس إلا .. وبعضهم يقول إنها قد استنفدت جميع أغراضها وحان لها الرحيل، ما هو رأيك في هذه الآراء؟

* هذه الآراء جانبت الحقيقة والصدق ويبدو أنها لا تعرف شيئاً عن القصة القصيرة بل وليس لها ادراك نقدي، وإنما اطلاق الكلام للإثارة فقط!!

القصة القصيرة فن راق وكتابة أدبية ممتعة تساير الحياة وتعالجها وتكشف عن كل صغيرة وكبيرة تخدم المجتمع وتثري العقول والأذواق وترضي كل المشارب والاعمار وتتداخل مع كل العلوم والفنون والطرق والأساليب، وكل هذه تأتي بحسب قدرات القاص أو القاصة، لكن أن يقال أنها سهلة أو كتابة صحفية أو ... أو .. كل هذه تأويلات غير منطقية ، والدراسات الأدبية الصحيحة أثبتت هذا حيث أوضحت لكل القراء قدرات القاص على مسايرة تقلبات الحياة وصروفها بل واشادت بما فعله القاص من معالجات وتوقعات لكثير من المشاكل الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية.

***** المنهل:***

نعود الى نادي القصة السعودي، ما هي الطموحات التي يتطلع اليها النادي ويسعى لتحقيقها للارتقاء بجانب مهم من جوانب الأدب السعودي ألا وهو جانب القصة؟

* طموحاتنا لا حدود لها وأبرزها تكاتف الكتاب والكاتبات مع النادي في كل ما يرفع قصتنا القصيرة والرواية، اصدار أفضل المجاميع القصصية والأعمال الروائية، اصدار ترجمات لقصصنا القصيرة ومحاولة اصدارها خارج الوطن لنقل صورة رائعة من ادبنا الناجح، الارتباط بصداقات قوية مع الأندية المماثلة في الوطن العربي، اقامة ملتقى للقصة القصيرة على مستوى المملكة لمعالجة الأخطاء ودراسة الأعمال المتفوقة وتكريم الرواد البارزين.

من المناقشة ينبثق النور:

مع الدكتور عبد المحسن القحطاني في كتيبه بين معيارية العروض وإيقاعية الشعر (٢-٥)

عود على بدء:

لقد استطاعت المفردات اللغوية التي استخدمها الدكتور القحطاني في بحثه للتعبير عن نفسه أن تصرفنا عن المضي في مناقشة هدفه من البحث، ومعرفة الخطوات التي حددها كمنهج له يسير على ضوئها للوصول إلى النتائج التي رسمها.

لقد أشار الدكتور في مستهل بحثه إلى الهدف من قيامه باعداد هذا البحث وهو مناقشة النصوص الشعرية سواء أكان النص بيتا أو بيتين أو مقطوعة أو قصيدة من القصائد والمقطوعات التي ترددت في بعض الكتب التي تُعنى بالأدب أنها مضطربة في الوزن. كما حدد الدكتور عدد هذه القصائد والمقطوعات بعدد أصابع اليد الواحدة، فقال في الصفحة الحادية عشرة «وهي بمقارنتها - أي القصائد المضطربة الوزن - أو النصوص الشعرية المضطربة الوزن - مع الشعر العربي مقارنة كمية لا تتجاوز خمسا بين مقطوعة وقصيدة».

غير أن الباحث ذكر أنه استطاع أن يعثر على ثلاثة عشر نصا يمكن أن تدرج تحت مسمى «نصوص مضطربة» وقال الدكتور في نهاية الصفحة الحادية عشرة: «فإنَّ تلك النصوص تحتاج إلى وقفات متأنية، قبل أن تكون السلطة الحقيقية للقوانين العروضية - التي أوجدها الاستقراء والاستنتاج - وهل تلك القوانين فيصل فيما قيل وما سيقال عن مثل هذه النصوص في المستقبل».



بقلم: **أحمد سالم باعطب**
- جدة -

ويظهر لي أن الدكتور يسير في الطريق الصحيح فالنصوص الشعرية يجب ألا تكون القوانين العروضية هي الفيصل في قبولها أو رفضها لأننا إذا رضينا بذلك فكأننا رضينا أن يَحْجُر العروضيون على عقولنا ومشاعرنا إذا صح أن الشعر هو نبض المشاعر.

إن على العروضيين أن يضعوا القواعد العامة، ويتركوا الخوض في التفاصيل، وأن يتركوا للشاعر حرية اختيار عدد التفعيلات في البيت الواحد على أن يظل ملتزما بانسياب

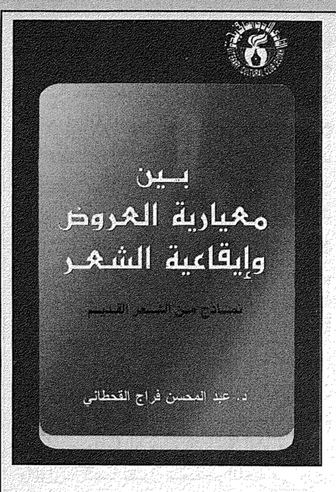
نغمات تلك التفعيلات متناسقة إلى أذن المتلقي ، ولا تجد اللسان نتوءات في قراءتها.

وعلم العروض وعلم القوافي علمان كسائر العلوم قابلان للتطور والتغيير، كاللغة تماما فاللغة التي تحدث بها أجدادنا العرب في عصر امريء القيس لم تعد صالحة للتحدث بها في العصر العباسي فكيف يكون الحال لو فُرض على المجتمعات العربية أن تعاود النطق بتلك المفردات، فلن يستطيع أحد العودة إلى الماضي للتحدث والكتابة بلغة احرنجم وافرنقع، وتكأكأ.

إذن فالمطالبة بتطوير علم العروض وعلم القوافي لها ما يبررها، ويجب علينا أن نواكب العصر الذي نعيش فيه، والتيسير ما كان في شيء إلا زانه.

لذلك فإن على علماء العروض أن يحاولوا تطوير هذا العلم بما يساير العصر الحاضر، ولا أعني بقولي هذا أن نتخلى عن البحور، وإنما أن يُعْطى الشاعر حرية الاختيار داخل البحر الواحد بحيث يتخذ منه مثمنا، ومسدسا، ومربعا، ومثنى، وموحدا طالما أنه متقيد بالتفعيلات.

أما أن يقول أحد العروضيين: إن بحر المديد مثمنا ولكن العرب لم تقل عليه شعرا، وإذا سألناه فمن عرَّفك إذن أنه مثمن؟ فإنَّ جوابه: الدائرة العروضية الأولى «دائرة المختلف». ويقف السائل حائرا أمام هذا الجواب، كيف تُصَدَّق الدائرة العروضية ويُكَذَّب واقع الشعر العربي؟! وإذا رجعنا لدائرة المختلف المذكورة لوجدنا بها ثلاثة بحور شعرية هي بحر الطويل وبحر المديد وبحر البسيط، وخَمْسَة أبنية مهملة



، وأحدها مجزوء وهو بحر الطويل، ولو رجع القارىء إلى الدوائر الخمس لوجد أن بها سبعة وعشرين بناء مهملا لم يعمد شاعر ما إلى استخدام أحدها لأنها مستنبطة من الخيال لا من الواقع.

الاحتجاج بالشعر على الشعر:

وتعرض الدكتور لقضية الاحتجاج بالشعر على الشعر فقال: «إن الاحتجاج كان للغة (نحواً وصرفاً) وإنَّ الحركة الموسيقية لم تدخل في دائرة قضايا الاحتجاج». وهذا كلام سليم لأن علماء اللغة ظلوا يستشهدون بالشعر على سلامة المفردات اللغوية، والتأكد من مصادرها، أما موازين الشعر وأعاريضه وضروبه، وتفعيلاته وبحوره، وزحافاته وعلله، فلم تكن معروفة في الجاهلية وصدر الاسلام، وما ظهر

علم العروض بقواعده الأولى إلا في القرن الثاني على يد الخليل بن أحمد الذي استنبط خمسة عشر بحرا مما وقع في يديه من أشعار الشعراء القدامى واختار منها ما تناسب مع الألحان التي اختارها، ووضع اسما لكل بحر يعتمد على المدى الصوتى والايقاعي له. لذلك نجد الدكتور القحطاني يقول: «بدليل أن الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى عام ١٧٠هـ، وضع بحوراً مهملة، وترك الباب مواربا لمن سيأتي من الشعراء، وأن عمل الخليل هذا استقراء واستنتاج» وَرَدَ هذا القول بالصفحة الثانية عشرة من كتابه ابتداء من السطر السابع.

لم أفهم ماذا يعني أو بالأحرى يقصد من استخدام كلمة «مواربا» في هذه الجملة «وترك الباب مواربا لمن سيأتي من الشعراء». والمواربة كما تقول معاجم اللغة هي المكر والخديعة، أما الموارية في الشعر فهي: أن يقول شاعر بيتا من الشعر مدحاً أو هجاء أو وصفا وفيه معنى يخاف أن يصل إليه أعداؤه، فإذا أحسَّ بأنهم أدركوه لجأ إلى تغيير المعنى بلفظة أو حركة وذلك مثل قول عتبان الحروري الشامي.

فمنا حصينٌ والبطينُ وقعنبُ
ومنَّا أميرُ المؤمنين شبيبُ

فجيء به إلى هشام بن عبد الملك بن مروان فقال له: أأنت القائل:

ومنَّا أميرُ المؤمنين شبيب؟ فقال عتبان مواربا أي مخادعاً: لا، وإنما قلتُ: ومنا أميرَ المؤمنين شبيبُ بنصب كلمة «أمير» على أنها منادى منصوب وحرف النداء محذوف تقديره «يا»، ليصبح معنى الشطر: ومنَّا يا أمير المؤمنين شبيبُ، وهكذا تخلص عتبان الحروري من الموقف الحرج الذى كاد أن يطيح برأسه بهذه الموارية اللطيفة بابدال الضمة فتحة فتغير المعنى وأنقذ حياته لكننى لم أدرك حتى الآن معنى «مواربا» رغم استخدام الدكتور لها ثلاث مرات المرة الأولى بالصفحة الثانية عشرة ابتداء من السطر السابع، والمرة الثانية بالصفحة السابعة والعشرين بالسطر العاشر في قوله: «إذ المعروف عن الخليل أنه ترك الباب مواربا للشعر» والمرة الثالثة بالسطر الأخير من الصفحة الثالثة والستين حيث قال : «حينما وضع الباب مواربا لقبول هذه القصيدة» . فإذا كان معناها الخديعة والمكر فأعتقد أن موقعها هنا غير مناسب، وهذه وجهة نظر خاصة قد يكون الخطأ فيها أكبر من الصواب.

ولو رجع القارىء إلى كتب العروضيين القدامى لوجد أنها تكاد تكون نسخة واحدة من حيث الاستشهاد بالأبيات الشعرية للدلالة على صحة الوزن، وتُجْمعُ تلك الكتب على أن أغلبية تلك الشواهد لا يعرف قائلها، أي إنها من نظَّامين يحققون بنظمها رغبة العروضيين أو تكون من نظم العروضيين أنفسهم.

ولن ألقي القول على كاهنه فإن لهذا العلم أربابه وأساتذته، وهم أعلم مني به، ولكن من نافلة القول أن اثبت للقارىء الأدلة على أن كثيرا من الأبيات التي استشهد بها العروضيون لصحة أوزان بحور الشعر أبيات لا يُعْرف قائلوها، وإنما تناسخها بعضهم بعضا وهذا الدليل:

استشهد بالبيت التالي على العروض المقطوعة والضرب المقطوع في مجزوء البحر البسيط والبيت هو:

ما هيَّج الشوق من أطلال
أضحت قفارا كوحي الواحي

* دون أن يعزو البيت لقائل في الكتب التالية:

العقد الفريد ـ لابن عبد ربه.
الاقناع ـ للصاحب بن عباد.
عروض الورقة ـ لابن حماد الجوهري.
الكافي ـ للخطيب التبريزي.
الجامع ـ لأبي الحسن العروضي.
القسطاس ـ لجار الله الزمخشرى.
البارع ـ لابن القطاع.
المعيار ـ لابى بكر بن السراج الشنتمري.

* وهذا بيت آخر من الأبيات التى استشهد بها العروضيون القدامى بالنقل وقد استشهدوا به على جواز العقل، وهو إسقاط الحرف الخامس المتحرك بعد تسكينه في حشو الوافر إذا كانت عروضه مقطوفة، وضربه مقطوف. والبيت هو

منازلُ لِفَرْتَنَي قفار
كأنما رسومها سطور

ولم ينسب هذا البيت لشاعر في أي من الكتب السابقة، والتغيير الوحيد الذي لحق البيت يتعلق بكلمة «فَرْتَنَي» فقد وردت في الكافي والبارع والجامع هكذا «فرتنا» وأما في عروض الورقه والقسطاس فقد وردت كما نقلتها عنهما.

ومن الأبيات التي نظمها بعض النظامين واستخدمها العروضيون شواهد لبعض أوزان البحور؛ هذا البيت الذي ينتمي إلى مجزوء بحر الهزج السالمة عروضه المحذوف ضربه:

وما ظهري لباغي
الضيم بالظهر الذلول

وقد تناولته كتب العروضيين نقلا بعضهم عن بعض مع عدم نسبته إلى شاعر معين وقد ورد هذا البيت في جميع الكتب المذكورة سابقا.

ولولا الإطالة لأوردت جميع الأشعار التي فتح العروضيون لها أبواب مؤلفاتهم لتقيم بها مكرَّمة معزَّزة دون التحقق من هوياتها، مما أوقع الكثير من أحفادهم في أن يستضيفوا هذه الأبيات تكريما لأجدادهم، ومن هؤلاء الأحفاد الأستاذ محمود مصطفى ـ رحمه الله ـ صاحب أهدى سبيل الى علمي الخليل، فقد أورد في كتابه المذكور بيتين من الأبيات التي استشهدت بها على أنها أبيات لم يعرف قائلوها، والبيتان هما:

الأول:

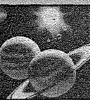
ماهيج الشوق من أطلال
أضحت قفاراً كوحي الواحي

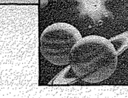
الثاني:

وما ظهري لباغي
الضيم بالظهر الذلول

* وكان من المؤمل في علماء العروض في العصر الحديث أن يتحاشوا اللجوء إلى الاستشهاد بأبيات قديمة العهد ما دام أن قواعد العلم قد وضعت، وأن التحسينات التي أدخلت عليها سابقا معروفة، وأن الأمور التي طرأت حديثا والتي ينبغي أن تؤخذ في الحسبان معلومة. فلماذا يصرُّ البعض على الاتكال على كلمات درست منذ زمن وأصبح الرجوع إليها مقصورا على الإحتجاج بها على أسبقيتها، أما أن تشق طريقها مرة أخرى إلى الاستعمال كتابة أو نطقا نثرا أو شعرا فهذا غير ممكن.

«يتبع في الحلقة القادمة»





** الريادة والسبق في مجالات العلوم والمكتشفات كان للمسلمين منها النصيب الأوفى .. هذا لما كانت أوروبا تغط في نوم عميق.. والعدول من علماء أوروبا يقولون بافادة الحضارة الغربية من الحضارة الاوروبية.

ولكن .. هل سنبقى أبداً نجتر الماضي ونعيد أحلام الاجداد في ليل لا ندري متى يأتي ضحاه؟!!

وهذه الدراسة واحدة من ريادات علماء المسلمين..

بقلم:
د. محمد سعيد البارودي
أستاذ مشارك - قسم الجغرافيا
جامعة أم القرى

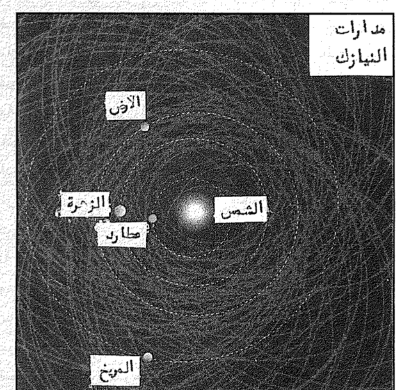
تاريخ علوم الفلك ودور العرب والمسلمين فيه (٢-٢)

تطور علوم الفلك في حضارة أوربا الحديثة:

تتطور الأسباب التي أبقت أوربا فترة طويلة من الزمن في حالة تأخر وجهل كبيرين. وربما بدأ هذا التأخر مع سقوط الحضارة اليونانية تحت ضربات الرومان الذين كانوا عسكريين أقوياء أكثر منهم علماء، وتعبر حضارتهم العسكرية على ذلك بشكل واضح. ومع سقوط الامبراطورية الرومانية وخساراتها لمعظم أراضيها أمام مد الحضارة العربية الاسلامية، زادت الأوضاع سوءا في أوربا التي أمضت قرونا من الزمان تقف فيها موقف المدافع أحيانا، والمهاجم أحيانا أخرى لاستعادة أملاك الامبراطورية الرومانية التي سلبتها اياها الخلافة الاسلامية الفتية. وخبت جميع العلوم في أوربا في العصور الوسطى الا العسكرية منها. وغطت اوربا في سبات عميق طيلة ألف سنة تعيش حياة اجتماعية مزرية ساد فيها الفقر والمرض والسرقة والقتل. وانتشرت الدويلات الاقطاعية التي ركزت على استرقاق الناس، وقامت الكنيسة بارهاقهم بضرائبها الباهظة التي زادت الأمر سوءا، فأهمل التعليم الا ما تعلق منه بالدين وتعاليم الكنيسة. وكانت الطبقات العليا في المجتمع الأوربي من أوائل من بدأ النهضة الأوربية عندما اهتموا بالفن المعماري فقلدوا التماثيل القديمة ليزينوا بها

القصور، وكان هذا بداية البحث عن التراث.

ومالت الطبقات الحاكمة الى مخطوطات اليونان بهدف الاطلاع وسد الفراغ، والتسلية بالدرجة الأولى. وكان هذا التراث قد لمّ شمله علماء الحضارة العربية الاسلامية الذين حفظوه من الضياع، ودرسوه، وترجموه، وارتكزوا عليه وعلى غيره من تراث الحضارات الأخرى. وعلى ذلك اتجهت الأنظار نحو العالم الاسلامي للاطلاع على تراث اليونان أولا وما قدمه المسلمون ثانيا، فكانت الترجمات العديدة للكتب العربية التي كانت الأساس والقاعدة لما قدمته الحضارة الأوربية الحديثة من أفكار تذكرنا بنفس الطريقة التي نهجها العلماء في الحضارة العربية الاسلامية.



وثمة أسباب أخرى لعبت دورا كبيرا في الاندفاع نحو التوجه للحضارة الاسلامية، فقد كانت الوظيفة الاجتماعية للقساوسة كأوصياء على التقويم وتنظيم الوقت أن دفعهم ذلك الى تدريس علم الفلك في مناهج التعليم المسيحي.

ولهذا الغرض توجه عدد من الرهبان الى زيارة الجامعات العربية الأندلسية أمثال جريجوري راهب كريمونا وأديلارد راهب باث، ورايموندو أسقف طليطلة، وجنيدسلافي أسقف شغوبيه وأحد كبار كنيسة طليطلة وغيرهم. وقد أخذ هؤلاء على عاتقهم بعد ذلك ترجمة أمهات الكتب العربية في الفلك.

ولم يتوقف اهتمام الأسبان بالعلوم العربية عند هذا الحد بل تعداه الى استقدام ما يمكن أن نسميه أساتذة زائرين أو متعاقدين (حسب المصطلحات في الوقت الحاضر) من الجامعات الأندلسية للتدريس في جامعات الغرب المسيحي ليس في طليطلة فحسب وانما في عدد من الجامعات الأخرى. ورغم أن معظم هؤلاء كانوا من اليهود الا أنه كان لبعض المسلمين دور بارز في ذلك. وفي عهد متأخر ساهم عرب الأندلس من الفلكيين والجغرافيين في تدريبات عملية لملاحي هنري الملاح ولي عهد البرتغال في مرصده ومدرسته الملاحية التي بناها في عام ١٤٢٠م وشملت هذه التدريبات الآلات الملاحية والرصدية اضافة الى رسم الخرائط[١]. وقد لعبت كل هذه الأعمال

والاهتمامات دورا بارزا في الحضارة الأوربية سواء أكان ذلك في نهاية العهد المدرسي، أم في عصر النهضة الأوربية. وبناء على ذلك يمكن تقسيم تطور علوم الفلك في حضارة أوربا الى فترتين متميزتين:

أ ـ مرحلة الترجمة والتأليف في العهد المدرسي:

بات من المسلمات في تاريخ العلوم وانتقال الحضارات أن كلا من الأندلس وصقلية، والحملات الصليبية قد لعبت دورا رئيسيا في نقل مصنفات العلوم المختلفة للحضارة العربية الاسلامية الى أوربا.

ويبدو أن سقوط طليطلة في الأندلس على يد الفونو السادس ١٠٨٥م قد كان البداية الحقيقية لسيطرة الغرب على مكتبات كاملة من المخطوطات العربية، ولم تلبث أن أصبحت طليطلة في أقل من ٤٠ عاما مركزا ثقافيا تشع علومه الى باقي دول أوربا. فقد تولى ريموند وأسقف طليطلة رعاية عدد من المترجمين (عرفوا فيما بعد بمدرسة المترجمين الطليطليين) قاموا بترجمة أهم المؤلفات العربية في الرياضيات والفلك والطب.. الخ، واشتهر منهم اليهودي الأصل يوحنا بن داود وجنديسلافي من كبراء كنيسة طليطلة[٢]. وفيما يلى سنعرض لأهم من ساهم في ترجمة علوم الفلك.

(١) ـ أديلارد الباثي: Adelard of Bath **(القرن ١١ ـ ١٢م):**

اشتهر أديلارد بفلسفته وحبه لعلوم الفلك، وهو انكليزي الأصل من الرهبان البذكتيين، الا أنه سافر الى المشرق العربي ١١١٠ ـ ١١١٤م، وزار بلدان البحر المتوسط، كما مكث لبعض الوقت في الأندلس. وفي تجواله على البلاد الاسلامية أعجب بما أنتجته الحضارة العربية الاسلامية وقد ترجم كتاب اقليدس من العربية الى اللاتينية، كما ترجم زيج الخوارزمي في عام ١١٢٦م حسب الجداول المعدلة التي عملها مسلمة المجريطي[٣].

ولم يلبث أديلارد أن اتجه للتأليف بعد ذلك، وصنف كتابا في عمل الاصطرلاب، وكتابا أطلق عليه «المسائل الطبيعية Ques-tiones Naturalesâ» وقد حاول في كتابه الأخير أن يوضح المنهج الذي تعلمه من العرب والقائم على الدليل والبرهان. ويعتبر كتابه «مشكلات عسيرة» موسوعة للفكر العربي.

(٢) ـ أفلاطون التيفولي: Plato of Tivali **(القرن ١٢م):**

انتقل من موطنه ايطاليا الى الأندلس، واشتهر بترجمته لزيج البتاني في عام ١١٤٠م[٤] وقد ذاع صيت البتاني في أوربا منذ ذلك التاريخ وعرفت طليطلة وبقية بلدان أوربا أهم ما قدمته الحضارة العربية الاسلامية في علوم الفلك وقد اكتسب مؤلفه شهرة كبيرة في أوربا لهذا السبب. وقد شبه البتاني ببطليموس حيث إن كلا منهما قد جمع المعارف الفلكية السائدة في عصره ضمن مؤلفاته.

(٣) ـ هيرمان الدماتي: Hermann of Dalmatia **(القرن ١٢م):**

اشتهر بترجماته من العربية الى اللاتينية. فقد ترجم كتاب «المدخل الى علم

أحكام النجوم» في حوالي ١١٤٠م[٥] وأطلع الغرب منذ وقت مبكر على نظريات أبي معشر المتعلقة بالأدوار الكونية Cosmic Cycles ورغم أن بقية كتب أبي معشر المرتبطة بالتنجيم لم تلق ترحيبا كبيرا بعد ترجمتها، الا أن كتبه الفلكية الأخرى قد اكسبته شهرة واسعة في أوربا.

(٤) ـ جيرارد الكريموني Gerard of Cremona (١١١٤ ـ ١١٨٧م):

ولد في ايطاليا، وانتقل الى الأندلس، ويعد من أشهر المترجمين من العربية الى اللاتينية. فهو أول من ترجم المجسطي من العربية الى اللاتينية في عام ١١٧٥م كما ترجم في نفس الفترة الرسالة الشهيرة للفرغاني «كتاب الحركات السماوية وجوامع علم النجوم» وقد ترجمت هذه الرسالة أكثر من مرة في نفس الفترة وعن طريق الفرغاني تعرفت أوربا على الزيج المأموني الذي ضمن الفرغاني أجزاء منه في رسالته. وترجم كتاب الفرغاني في القرن الثالث عشر أيضا الى لغات أوربية عديدة، كما طبع وترجم مرة أخرى في ١٤٩٣م وأيضا في ١٦٦٤م.

وقد لعبت ترجمة جيرارد الكريموني لجداول طليطلة للزرقالي في بداية القرن الثاني عشر دورا كبيرا في أوربا. فهي معروفة في أكثر من ١٥ خمسة عشر مخطوطة، وقد نسجت عنها جداول مرسيليا التي تعتبر أول جداول فلكية في غرب أوربا، وترجع الى عام ١١٤٠م، وتحمل اسم ريموند. وقد أخذت هذه الجداول ومقدمتها من قوانين الزرقالي، وقد عدلت الجداول لتلائم مرسيليا[٦].

كما ترجم جيرارد الى اللغة اللاتينية رسالة الزرقالي في الاصطرلاب المسماة «صفيحة الزرقالي Arzachelis Saphaes ثم ترجمت بعد ذلك الى لغات عديدة كالعبرية والقشتالية والايطالية. وكان لها تأثير لا نظير له على كافة العلم الأوربي[٧]. كما ترجم جيرارد الكريموني كتابات أبناء موسى بن شاكر، وكتب جابر بن الأفلح الاشبيلي وأهمها كتابيه «الفلك» و«الهيئة» (توجد نسخة منها مخطوطة بالاسكوريال).

وتوجد ترجمات بعضها مفردة لعدد من المصنفات العربية في الفلك، والتي يرجح أنها ستنال شهرة أكثر في المستقبل كترجمة «ميشيل سكوت» الاسكتلندي المتوفي ١٢٣٦م لكتاب «الهيئة» للبطروجي، كما ترجم للعبرية في نفس الفترة. ويرى البعض أن كبلر قد استوحى كشفه لأفلاك الكواكب من نظرية البطروجي في حركة الكواكب ودورانها حول الشمس[٨].

واذا ما تركنا القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين نرى أن هناك اهتماما بمصنفات الفلك العربية استمر حتى فترة متأخرة من القرن التاسع عشر. فقد ترجم الزيج الايلخاني عن طريق المستشرق والفلكي الانكليزي جون غريفز (١٦٤٨ ـ ١٦٥٠م). كما ترجم زيج أولوغ بيك مع دراسات عنه عن طريق غريفز (١٦٤٨ ـ ١٦٥٠م) ، وترجم المقدمة سيدهو ١٨٤٧، كما ترجم سيدهو الى الفرنسية كتاب المراكشي «جامع المباديء» والغايات الى علم الميقات» (١٨٣٤ ـ ١٨٣٥م) كما ترجمت أجزاء ونشرت من الزيج الحاكمي لابن يونس

عن طريق كوسان دني برسيسفال (١٨٠٣ ـ ١٨٠٤)، ولا يغطي العرض السابق لبعض أعمال الترجمة الا نذرا يسيرا من المخطوطات العربية في مجال الفلك ولا يزال العديد من هذه المخطوطات اما مفقودة أو مخزونة في المكتبات الأوربية دون دراسة حتى الآن، وربما سيكشف المستقبل القريب عن أن عددا من الأفكار الفلكية التي ادعاها فلكيون أوربيون لأنفسهم ليست في حقيقتها الا أفكارا عربية واسلامية الأصل ترعرعت في حضارة مزدهرة لأكثر من ألف عام. ومما لا يمكن طمسه أو ادعاؤه لأحد من مفكري الحضارة الأوربية هو تلك الأسماء العربية لعدد كبير من الأجرام السماوية والتي لا تزال تستخدم في جميع لغات العالم.

آخر النهر	Acer nar
أقمار	Acmar
العقرب	Acrab
العذاري	Adara
الدبران	Aldebaran
الجدي	Algedi
الغول	Algol
الغراب	Algorab
الجنب	Algenib
القائد	El Kaid
الكأس	Alkes
المري	Al mury
النصل	Al nasl
الطرف	Alterf

الطائر	Altair
الفرس	Al Pheraiz
الفرد	Alpherd
الفكة	Al Phecca
أوج	Auge
السماك	Azimeck
ابط الجوزاء	Bet el geuse
بنات نعش	Benetnash
قيطس	cetus
ظهر (الأسد)	Duhr
الدلفين	Dephine
الدب	Dubhe
الراعي	El rai
أنف (الفرس)	Enif
فم الحوت	Fam el haut
جناح	Ginah
حمل	Hamal
قوس	Kaus
مركب	Markeb
منقار	Menkar
منطقة (الجبل)	Mintaka
مرفق	Mirfak
رجل (قدم)	Rigel
صدر (الدجاجة)	Sadr
سيف (الجبار)	Saif
شوله	Shaula
سبيكة	Spica
سهيل	Suhail
ثعبان	Thuban
عنق الحية	Unuk el hay
النسر الواقع	Vega - wega
الزبان الجنوبي	zeben El genubi

ب - مرحلة الابداع والنبوغ في أوربا الحديثة:

مما لا شك فيه أن العلوم في أوربا قد تأثرت بالحضارة العربية الاسلامية التي سيطرت لقرون عدة على شتى العلوم الانسانية وعلى رأسها علم الفلك كما سبقت الاشارة اليه، وتشهد ترجمة المخطوطات العربية في علوم الفلك الى شتى اللغات الأوربية على مدى الاهتمام الذي أبداه الأوربيون تجاهها.

ومن ثم عكف علماء أوربا على دراسة هذه المخطوطات، اضافة الى المخطوطات اليونانية القديمة، التي كانت البداية الأولى للمراجع العربية في هذا المجال. وما أن حل القرن السادس عشر الميلادي حتى بدأت تتحرر عقول بعض علماء أوربا من سيطرة الكنيسة بل وتتمرد على معتقداتها التى سادت منذ عهد بطليموس. وكان من أهم الرواد الذين شاركوا في ثورة علوم الفلك، ويرجع لهم الفضل فيما وصلت اليه علوم الفلك من تطور في الحضارة الأوربية الحديثة كل من كوبرنيق وتيكوبراهي وجاليليو وكبلر ونيوتن ويود وهرشل ولابلاس. وفيما يلي سنعرض أهم ما قدمه هؤلاء من مساهمات كبرى في علوم الفلك:

١ - نيقولا كوبرنيق Necoles Copernicus (١٤٧٣ - ١٥٤٣):

يمكن اعتبار كوبرنيق بحق مؤسسا لعلم الفلك الحديث، فقد أحيا نظرية مركزية الشمس والتي تقول بدوران الكواكب حول الشمس بما فيها الأرض كما فسر حركة النجوم اليومية من الشرق الى الغرب بدوران الأرض حول محورها بعكس الاتجاه. وحول مدارات الكواكب بقى كوبرنيق متأثرا بمن سبقوه في صياغة نموذجه للمجموعة الشمسية باعتقاده أن الدائرة هي الشكل المثالي لهذه المدارات، ومن ثم ضمن نموذجه أفلاك تدوير لتفسير تدير المسافة بين الشمس وتوابعها كما فعل بطليموس ذلك من قبل. ولم ينشر كوبرنيق كتابه الذي سماه «مدارات الأفلاك السماوية» في بادىء الأمر خوفا من الكنيسة، حيث تتمسك التعاليم الدينية بثبوت الأرض. وخوفا من السخرية أيضا لأنه يعلم أن نظريته بحاجة الى مزيد من التمحيص وبالفعل فقد تأخر نشره ١٣ عاما حتى صدر في ١٥٤٣ وهو نفس العام الذي توفي فيه بعد أن حكمت عليه الكنيسة بالموت حرقا.

٢ - تيكو براهي Tycho Brahe (١٥٤٦ - ١٦٠١م):

نشأ تيكو براهي في بلاط ملك الدانمرك كأحد الفلكيين العظام في عصره وحظي بدعم سخي منه فأقام له مرصدا حاول عن طريقه تفحص نظرية كوبرنيق عن المجموعة الشمسية وكانت النتيجة أن خرج بنظرية مخالفة له، وتتضمن نظريته الجديدة أن الأرض ثابتة في مركز الكون وأن الشمس والقمر والنجوم تدور حولها، بينما تدور الكواكب المعروفة في ذلك الوقت حول الشمس.

ويبدو أن أكثر ما قدمه تايكو رصده لكوكب المريخ لمدة عشرين عاما بواسطة منظار اخترعه بنفسه (بدون عدسة) واستطاع تيكو أن يرصد نجما جديدا في

عام ١٥٧٢ (يرجح أن يكون هذا النجم سوبر نوفا) كما رصد في عام ١٥٧٧ مذنبا عظيما. انتقل الى براغ في عام ١٥٩٧ في رعاية امبراطور ألمانيا رودلف الثاني ولم يقم طويلا فقد مات بعدها بأربع سنوات تاركا إرصادات دقيقة ساعدت مساعدة كبيرة كبلر في وضع قوانينه المشهورة عن الكواكب.

٣ـ يوحنا كبلر Johannes Kepler (١٥٧١ـ ١٦٣٠م):

برع كبلر في تحليل البيانات والمعلومات الغزيرة التي تركها له تيكو براهي وبعد مضي عدة سنوات على موت الأخير أصدر كبلر قوانينه المشهورة عن حركة ومسارات كواكب المجموعة الشمسية، واكتشف صحة نظرية كوبرنيق فيما يخص مركزية الشمس، ولكنه صحح المسارات لتصبح بيضاوية كما جاء في قانونه الأول ورصد نجما جديدا آخر من نجوم السوبر نوفا في عام ١٦٠٤ وكان ذلك سببا ـ بالاضافة الى موقفه من نظرية كوبرنيق ـ في منع تداول كتبه، الا أنه خلف أدق القوانين التي عرفت عن حركة الكواكب حتى الآن.

٤ـ جاليليو جاليلي Galileo Galilei (١٥٦٤ـ ١٦٤٢م):

يعتبر من أشهر علماء الفلك في ايطاليا وفي العالم في ذلك الوقت. فقد وضع أسس العلم التجريبي الحديث، وأثبت خطأ أرسطو عن حركة الأجسام عن طريق التجربة معلنا أن الأجسام الخفيفة والثقيلة تسقط بنفس السرعة وبعجلة ثابتة، كما أن مدة ذبذبة البندول ثابتة أيضا مهما تغيرت سعتها، وبهذا بين جاليليو أفضلية التجريب العلمي في التفكير على المنطق وحده كما كان يعمل به أرسطو. ومع توصل جاليليو الى استخدام منظار بسيط في أبحاثه الفلكية توصل الى عدد من الاكتشافات التي أذهلت علماء عصره. فقد وجد أن لكوكب الزهرة أطواراً تشبه القمر وأنها كوكب يعكس ضوء الشمس وهو ما يؤكد نظرية الشمس المركزية لكوبرنيق، فالهلال يرى عندما تكون الزهرة قريبة من الأرض ويتجه وجهيهما المضيئان الى الشمس، وتكون الزهرة كاملة اذا كانت في الطرف الآخر بعيدا عن الأرض أي خلف الشمس. كما تطلع جاليليو الى القمر وتأكد من طبيعته الأرضية، واستطاع رسم الجانب المظلم منه، وأعلن في رصده لكوكب المشترى أنه محاط بأربعة أقمار مما أكد له دوران الأرض حول الشمس. وأن الأرض ليست مركزا لكل الحركات. وأشار جاليليو الى وجود حلقتين حول زحل لم يرهما أحد قبله قط. كما وجه منظاره الى الشمس ليرى بقعا عليها تغير أماكنها باستمرار مما جعله يقول بأن الشمس أيضا تدور حول نفسها. ولم يدر أن نظريته تلك الى الشمس ستفقده بصر عينه فيما بعد. وليس هذا فقط بل أن تمسك الكنيسة بالاعتقاد السائد حينئذ والقائل بطبيعة غير متغيرة للأجرام السماوية قد أدت الى انتصار معارضيه عليه وقدم للمحاكمة أمام مجمع الكرادلة في روما، ثم سجن وأرغم على ترك آرائه.

٥ـ اسحاق نيوتن Isaac Newton (١٦٤٣ـ ١٧٢٧م):

يعتبر نيوتن في نظر الكثير من العلماء الرياضي والفيزيائي الأول بلا منازع على مر العصور. ففي الثالثة والعشرين وحتى السادسة والعشرين من عمره كانت أكثر سنواته انتاجا، فقد اكتشف الجاذبية بين الكتل، ثم وضع أسس علم التفاضل والتكامل واستخدمه في أبحاثه وتفسيراته، وكان من نتيجة اهتمامات نيوتن بالضوء أن اكتشف ألوان الطيف السبعة التي يتكون منها الضوء الأبيض وذلك باستخدام موشور زجاجي، ولما كان منظار جاليليو هو الوحيد السائد في ذلك الوقت ولم يسعفه في أبحاثه، فقد اضطر الى التفكير في اختراع تلسكوب مختلف أكثر وضوحا وتم له ذلك عندما استبدل العدسة في منظار جاليليو بمرآة عاكسة وبذلك اخترع أول تلسكوب عاكس.

ولقد نشر نيوتن كتابه الشهير «الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية» في عام ١٦٨٧ بعد أن أهمله عشرين عاما بعد تأليفه معتقدا أنه لا يحتوى على أشياء خارقة. رغم أنه قد بين فيه أن الجاذبية هي المسئولة عن بقاء الكواكب والأقمار في مداراتها دون أن تسقط وأنها تتجاذب بقوة تتناسب وكتلة كل منها، وتقل هذه الجاذبية كلما بعدت عن بعضها البعض كما تناول كتابه المذكور علم الديناميكا ووضع ثلاثة قوانين للحركة لا تزال تشكل الأساس لهذا العلم حتى الوقت الحاضر، كما شمل الكتاب حركة الكواكب وتوابعها، وحركة المذنبات وظاهرتي المد والجزر، وفلطحة الأرض عند القطبين، وانبعاجها عند خط الاستواء، وسبب تقدم الاعتدالين.

أما نظرية نيوتن عن ماهية الضوء المتمثلة بجسيمات الضوء، فقد سادت حتى القرن التاسع عشر عندما تبين أن الضوء ذو طبيعة موجيه. وهكذا فقد ولت الأفكار البطلمية الى غير رجعة، وأصبح بالامكان النظر الى الشمس على أنها مركز للكون. كما اختفت فكرة الكرة البلورية التى تتعلق فيها النجوم، وحل محلها حرية الحركة لجميع الأجرام السماوية.

٦ـ تشارلز مسيو Charles Messier (١٧٣٠ـ١٨١٧م):

برع تشارلز في رصد المذنبات حتى أطلق عليه «صائد المذنبات» وقد جدول تشارلز أكثر من ١٠٠ سديم تضمنت أيضا بعض العناصر النجمية، ولا يزال علماء الفلك حتى الوقت الحاضر يستخدمون الرمز السابق والرموز الأخرى المرتبة في جدول تشارلز مسيو بأرقامها كما وردت.

٧ـ وليم هرشل Wiliam Herschel (١٧٣٨ـ١٨٢٢م):

بدأ هرشل موسيقارا ثم اهتم بصناعة المناظير ليشبع هوايته عنده بالنظر الى المجموعة الشمسية والى السماء وتم له ذلك. فقد استطاع بمنظاره رؤية قطبي المريخ الجليديين واستدل منها على تدير الفصول على الكوكب. ولكن أهم ما قام به هرشل هو اكتشافه لكوكب أورانوس عندما كان يرصد النجوم في ١٣ آذار (مارس) ١٧٨١، مما أكسبه شهرة عالمية، وكان ذلك دافعا له للاستمرار في إرصاده ليس في المجموعة الشمسية فحسب بل في مجرة درب التبانة والمجرات الأخرى، فاكتشف القمرين

السادس والسابع لكوكب زحل والقمرين الكبيرين لأورانوس. وفي مجال النجوم اكتشف من دوران النجوم المزدوجة حول بعضها ترابطهما بجاذبية مشتركة ومنفصلة عن المجموعة الشمسية، واستدل بها على وجود مراكز أخرى للجاذبية خارج المجموعة الشمسية، وقد رصد ٨٠٠ نجم تضمنتها جداوله وقد أعطى اهتماما كبيرا لرصد السدم، ويعتبر بحق أول من أشار الى نموذج السدم الى ٢٥٠٠ كان من بينها العديد من المجموعات النجمية. وقد شملت أبحاثه العديد من الموضوعات كتطور النجوم والكواكب وتكون المجرات، ويكون بهذا أول من تجرأ على استكشاف مناطق بعيدة من الكون تقع داخل وخارج المجرة. ويكون بذلك أول من أعطى للمجرة صورة واضحة المعالم.

٨ ـ يوهان بود Bode (١٧٤٧ ـ ١٨٢٦م):

عمل بود مديرا لمرصد برلين في عام ١٧٨٦ وكان من أبرز ما اشتهر به وضعه لقانون أبعاد الكواكب عن الشمس الذي عرف باسمه[٩]، وقد شملت أرصاده ١٧٢٤٠ نجما وسديما بزيادة ١٢٠٠٠ عمن سبقه من الفلكيين. وكان لقانونه السالف الفضل في اكتشاف الكويكبات فيما بعد.

٩ ـ بيير سيمون لابلاس Pierre Simon Laplace (١٧٤٩ ـ ١٨٢٧م)

يعتبر من أوائل الفلكيين الذين حاولوا تفسير نشأة المجموعة الشمسية بنظرية متكاملة. فقد ألف كتابا عن «ميكانيكا الأجرام السماوية» ذكر فيه أن المجموعة الشمسية قد نشأت من تعرض سديم غازي للدوران حول نفسه كما فسر بناء على جاذبية نيوتن حركة المذنبات وحركة أقمار المشتري وزحل وقمر الأرض. ولا تزال نظريته حتى الآن احدى النظريات المقترحة لنشأة المجموعة الشمسية.

(٦) تطور علوم الفلك في القرن العشرين:

بقيت علوم الفلك قرابة مئة عام (أي طوال القرن التاسع عشر) دون اضافات ملحوظة أو اكتشافات ملفتة رغم ما شهدته هذه الفترة من تطور في المناظير الفلكية، وأجهزة الرصد. وظلت الآراء السائدة حول الكون تدور في فلك ما قدمه علماء القرن الثامن عشر من ثروة فلكية. ومع اشراقة القرن العشرين بزغت ثورة جديدة في علوم الفلك على أيدي نخبة من علماء الرياضيات والفيزياء الذين سخروا علومهم لخدمة وتطور معرفتنا الجديدة عن الكون. ومن أشهر هؤلاء ألبرت أنيشتاين وهارلو شابلي وادوين هابل وجورج جامو.

فقد اكتسب ألبرت آينشتاين Albert Einstein (١٨٧٩ ـ ١٩٥٥) شهرة عالمية في أبحاثه القيمة عن الضوء ونظريتيه النسبية الخاصة (١٩٠٥) والنسبية العامة (١٩١٦). فكان أول من افترض وجود الضوء على هيئة «فوتونات» صغيرة تنطلق على دفعات، وبهذا فسر ظاهرة «الكهرو ـ ضوئية» بنظرية الكم[١٠]، وفي نظريته النسبية الخاصة وضح آينشتاين العلاقة بن الكتلة والطاقة، والعلاقة بين التجاذب وعزم القصور. أما في النسبية العامة فقد حدد

العلاقة بين الجاذبية وبين انحناء الفراغ ذي البعد الزمني الرابع.

واستطاع آينشتاين بما قدم من أفكار تبديل صورة الكون اللا محدود التي حاول من سبقه تخيلها الى كون محدود غير محدد. وانتهت اللانهاية عنده للكون الى نهاية مجهولة تفوق حدودها كل امكانات التكنولوجيا التى وصل اليها الانسان حاليا والتي سيصل اليها في المستقبل.

كما غير هارلو شابلي Harlow Shaply (١٨٨٥ - ١٩٥٠م) الأفكار السائدة عن الموقع المتميز للشمس والأرض في المجرة، عندما اكتشف أن المركز الحقيقي للمجرة واقع في مجموعة الرامي وأن موقع الشمس عند طرف المجرة وتدور كبقية نجوم مجرتنا الأخرى حول نواة المجرة دورة واحدة كل ٢٠٠ مليون سنة. كما قال بدراسات مستفيضة عن المتغيرات القيفاوية والحشود الكرية الا أن أهم مؤلفاته كتاب «المجرات» الذي نشره في عام ١٩٤٣.

أما ادورين هابل Edwin Hubble (١٨٨٩ - ١٩٥٣م) فقد أطلع العالم في عام ١٩٢٩ على طريقته الخاصة عن حركة المجرات وانزياحها نحو اللون الأحمر مما اعتبره دليلا على تباعد هذه المجرات ومن ثم تحدد الكون[١١] كما اكتشف ثلاث مجرات عملاقة تقع فيما وراء مجرتنا درب التبانة.

ولم تتوقف العقول عن البحث في كيفية نشأة الكون، فوضعت النظريات العديدة من قبل العلماء محاولة تفسير هذه النشأة. وكان من أهمهم جورج جاموف George Gamow (١٩٠٤ - ١٩٦٨م) الذي اهتم في معظم بحوثه عن الطبيعة النووية. ووضع نظرية في انحلال الذرات ذات النشاط الاشعاعي (١٩٢٨). كما ألف عددا من الكتب أهمها ميلاد الشمس وموتها (١٩٤٠)، وتاريخ حياة الأرض (١٩٤١)، ونشوة الكون (١٩٥٢). وفي كتابه الأخير جاء بنظريته المشهورة «الانفجار العظيم The Big Bang التي حاول بها تفسير بداية نشأة الكون. ولا يزال يعلو شأن هذه النظرية يوما بعد يوم.

كما أشار Frde Hoyle في كتابه عن طبيعة الكون (١٩٥١) الى وجهة نظر مخالفة في نظرية أطلق عليها «الكون الثابت» Steady - Stste Theory ويرى فيها أن الكون كان كما نعرفه اليوم منذ الأزل وسيظل على حاله كذلك الى الأبد[١٢].

الهوامش:

(١) لانسلوث هوجين، العلم للمواطن، ترجمة عطية عاشور وسيد رمضان هداره، سلسلة الألف كتاب، كتاب رقم ١٨، الجزء الأول صفحة ١٩٣.

(٢) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة دكتور مؤنس صفحة ٢٣٦ - ٢٣٧.

(٣) نفيس احمد، الفكر الجغرافي في التراث الاسلامي، ترجمة فتحي عثمان، الكويت، ١٩٧٨، صفحة ٢٤٤.

(٤) كراتشوفسكي، أ. تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم جامعة الدول العربية، صفحة ١٠٦.

(٥) كراتشوفسكي، مرجع سبق ذكره صفحة ٧٧.

(٦) نفيس أحمد، مرجع سبق ذكره، صفحة ٢٣٦.

(٧) كراتشوفسكي، مرجع سبق ذكره، صفحة ١١١.

(٨) بالنثيا، مرجع سبق ذكره، صفحة ٣٣٣ - ٣٣٥.

(٩) انظر القانون (القاعدة) فى الفصل الرابع.

(١٠) انظر الفصل الثالث.

(١١) انظر شرح النظرية في الفصل السادس.

(١٢) انظر شرح النظرية في الفصل السابع.

مبدأ المشروعي



بقلم :
د. عمار بوضياف ـ الجزائر ـ

سبق القول[١] أن الشريعة الاسلامية أنزلت القضاء المنزلة اللائقة به وجعلت منه ساحة للعدل ورفع الظلم وتطبيق شرع الله وصون محارمه وحفظ حقوق عباده.

ولا شك أن رسالة مقدسة كهذه يناط بالقاضي أمر تنفيذها تحقيقا للسياسة الشرعية لأمر يفرض أن يقف الجميع امام القضاء سواء، دون أدنى أفضلية في الاجراءات بالنظر للمعتقد أو اللون أو الجنس أو الأصل أو اللسان. كما يفرض أن يسري حكم القاضي تجاه من صدر ضده وينفذ أيا كان الموضوع قال جل شأنه: {فَلا وَرَبِّكَ لا يؤمنون حتى يحَكِّمُوك فيما شَجَرَ[٢] بينهم ثم لا يَجدُوا في أنفُسهم حرجا مما قضيت ويُسَلِّمُوا تسليما}[٣].

وتزخر صفحات تاريخ القضاء الاسلامي خاصة في عهده الأول بأحداث كثيرة أثبتت سيادة وسمو سلطة القضاء على الحكام والمحكومين سواء. فأمام ساحة القضاء وقف الخليفة وهو القاضي الأعلى ومقلد القضاة جميعا، ووقف الوزراء والأمراء وقادة الجيوش وغيرهم من ذوي القرار.

واذا كانت النظم الوضعية اليوم تتباهى بمبدأ المشروعية أو خضوع الدولة للقانون، فإن مبدأ كهذا عرف أساسه ووجوده وتطبيقه في النظام الاسلامي والأمثلة اكثر من أن تحصر في مقال أو مؤلف واحد. ولا عجب في ذلك فالاسلام شريعة العدل والعدالة.

ونجد أنفسنا ونحن نتحدث عن سلطة القاضي في اخضاع الراعي والرعية لحكمه نذكر تلك الحادثة التي وقعت في زمن عمر بن عبد العزيز وسُمعت في الشرق والغرب وجُسِّدَ فيها مبدأ سيادة الشريعة وسلطان القضاء أحسن تجسيد، ورغم شهرتها نسوقها بهدف تبيان مكانة القاضي وسلطته في النظام الاسلامي.

لما تولى الخليفة عمر بن عبد العزيز الخلافة جاءه وفد من أهالي سمرقند وشكا اليه قائده قتيبة بن مسلم الباهلي بأنه دخل بلدهم سمرقند مع جيشه قبل أن يوجه لهم الانذار بحسب ما توجبه قواعد الحرب في الاسلام. فكتب عمر الى واليه في العراق أن يختار لهم قاضيا فاختار جُميع بن حاضر الباجي فسمع شكواهم وحاكمهم مع القائد قتيبة وقضى بخروج المسلمين من مدينة سمرقند وأن يعود أهل سمرقند الى حصونهم[٤].

ـــــة أو خضوع الدولة للقانون

ما أجل هذا القرار من جانب الخليفة فلم تبهره فرحة ضَمّ إقليم جديد إليه، ولم ينسه حكمه وسلطانه مبادىء الشريعة وأحكامها. ولا عجب أن يصدر هذا التصرف عن رجل جسد العدالة في عهده أحسن تجسيد وحفظ الحقوق وصان الشرع. ولا غرابة أن يصدر هذا القرار عن خليفة قال لأحد أعوانه ذات يوم حين سأله عن تحصين المدينة قال: «حصِّنها بالعدل ونقِّ طريقها من الظلم»[٥]. ما كان على الخليفة إلا أن يلجأ للقضاء للبت في هذه المظلمة وإنصاف أهلها وهو ما حصل فعلا. وهو بتصرفه هذا جَسَّد مبدأ المشروعية أو ما يطلق عليه في النظم الوضعية «مبدأ خضوع الدولة للقانون». ولم يحتج الخليفة بما احتج به كثير من الحكام في مختلف الانظمة الوضعية بمبدأ سيادة الدولة وعدم خضوعها في مسائل معينة للرقابة والمساءلة والحساب، بل أمر بكل تواضع واليه بأن يختار قاضيا للنظر في النزاع، فعل هذا وهو يدرك أن الاحكام والقواعد موجهة للناس كافة دون استثناء أو تمييز أو اعفاء. فعل هذا وهو يعلم قوله تعالى: {يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنَّ أكرمكم عند الله اتقاكم}[٦]. وقوله: {إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما}[٧]، وقوله جل شأنه: {فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق}[٨]، وقوله: {ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون}[٩].

اصدر قراره هذا مقتديا بالرسول {صلى الله عليه وسلم} حينما طَبَّق مبدأ المشروعية نصا وروحا في حادثة المرأة المخزومية وقال: «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[١٠]. ثم ما أجل هذا الصنع من جانب القاضي فقد فصل في النزاع واضعا نُصْبَ عَيْنَيْه قوله تعالى: {يا داود إنا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تَتَّبِع الهوى فَيُضلك عن سبيل الله إنَّ الذين يُضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسُوا يوم الحساب}[١١]. حسم الدعوى وهو يعلم ان الله تبارك وتعالى مدح سيدنا سليمان عليه السلام حين أصاب في حُكمه وعذر سيدنا داود عليه السلام حين أخطأ فهي إشارة الى مدح القاضي الذي يجتهد في قضائه فيصيب ورفع الاثم عمن يجتهد فيخطيء». قال تعالى: {وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غَنَمُ القوم وكنَّا لُحكمهم شاهدين * ففهمناها سُليمان وكُلا أتينا حكما وعلما}[١٢].

نظر القاضي في نزاع اهل سمرقند ضد القائد قتيبة بكامل الحيدة ومنتهى الموضوعية. فَصَلَ فيه وهو يذكر قوله {صلى الله عليه وسلم}: «لا حسد الا في اثنين رجل أتاه الله مالا فسلطه على هلكته بالحق وآخر آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها»[١٣]، وقوله {صلى الله عليه وسلم}: «إن أحب الناس الى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا إمام عادل وأبغض الناس الى الله وابعدهم منه مجلسا امام جائر»[١٤]، وقوله {صلى الله عليه وسلم}: «إن المقسطين عند

الله على منابر من نور على يمين الرحمن الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم»[١٥].

ولا عجب في ذلك طالما كان اساس تصرف القاضي حديث الرسول {صلى الله عليه وسلم} لمعاذ حين ولاه القضاء قال: بم تقضي يا معاذ؟ قال: بكتاب الله قال: فإن لم تجد؟ قال: فبسُنة رسوله. قال: فإن لم تجد؟ قال: اجتهد رأيي. قال {صلى الله عليه وسلم} الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضي الله»[١٦].

ولا غرابة في هذا الحكم طالما عمل فيه القاضي بوصية الخليفة عمر بن الخطاب لقاضيه أبي موسى الاشعري حين قال: «أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أدلى اليك الخصم فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له آس بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا يخاف ضعيف من جورك»[١٧]. لقد توافر في القاضي المذكور أسمى معاني الفضيلة وأرقى قواعد الاخلاق وأرفع مراتب النزاهة. لقد جسد بتصرفه هذا الحيدة في أرقى صورها فنظر فى النزاع بما توجبه قواعد العدالة دون أن يدخل في الاعتبار صفة الاطراف أو خصوصية الموضوع أو درجة النفع. ولم تفرحه هو الآخر نشوة الانتصار بل حكم عقله ودينه واتبع القواعد الشرعية التي تفرض عليه مراعاة حقوق الغير أيا كانت أجناسهم ومعتقداتهم ولغاتهم وأصلهم..

لقد جسد هذا القاضي كل المواصفات التي ذكرها الامام علي لواليه الاشتر النخعي حين ولاه مصر قال: «ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الامور ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى فى الزلة ولا يحصر من الفيء الى الحق اذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بأدنى فهم دون اقصاه واقفهم في الشبهات وآخذهم بالحجج وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم وأصرهم على تكشف الامور وأحزمهم عند اتضاح الحكم»[١٨].

ثم ما أجل هذا التصرف من جانب القائد المسلم قتيبة فلم يغتر بمنصبه ولم يستشهد بفتوحاته ولم يستند إلى قاعدة «أن الحرب خدعة» بل خضع لحكم القاضي وهو يعلم أن التمرد على القضاء يعني التمرد على الخلافة قال تعالى: {فلا وربِّك لا يؤمنون حتى يُحكِّمُوكَ فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما}».

وهكذا حين خرق القائد اجراءا جوهريا فى قواعد الحرب الا وهو الانذار[١٩] وجد القاضي ليرده عن فعله ويرشده للصواب.

واذا كان تصرف القائد قد نتج عنه نفعا بالنسبة للدولة الاسلامية فضُم اليها اقليم جديد، إلا أن مثل هذا العمل لم يبهر القاضي طالما لم يراع القائد اصول الحرب وقواعدها.

إن في مثل هذه الحادثة أبرز معاني رعاية حقوق الانسان وأسمى مباديء العلاقات الدولية كما أن فيها تجسيداً لمبدأ المشروعية أو خضوع الدولة للقانون. فهل شهدت المجتمعات الحالية والنظم المعاصرة وهي من تجمع بينها وثيقة دولية لحقوق الانسان تجسيداً لمبدأ المشروعية كهذا التجسيد.

وإذا كانت قوة الدولة تكمن في قوة قضائها فقد جسَّد القاضي المذكور بقراره هذا القوة احسن تجسيد وأبطل الزعم القائل أن مبدأ المشروعية عرف تأخرا من حيث الميلاد.

ويحق لنا بعد معرفة ابعاد هذه الحادثة وآثارها، وبعد المقابلة بين الشريعة والقانون أن نصل الى نتيجة مفادها أن القاضي في النظام الاسلامي اذا كان يملك سلطة فى اخضاع الراعي والرعية لحكمه أيا كان الفعل ووجه الخطأ وأياً كانت المصلحة والفائدة المترتبة عنه وأيا كان

نفوذ الفاعل وسلطانه ومكانته، فإن قاضي النظم الوضعية اذا كان بدوره يملك في مواضع وحالات الغاء قرارات الهيئات التنفيذية أو وقفها أو الحكم بالتعويض عند ثبوت المسؤولية، فإنه في مواضع وحالات أخرى لا يملك سلطة الالغاء أو مساءلة السلطة التنفيذية في أمور معينة هذه الاخيرة التي جرى الفقه والقضاء على تسميتها بأعمال السيادة.

ولقد عرف الفقه أعمال السيادة بأنها: «طائفة من اعمال السلطة التنفيذية تتمتع بحصانة ضد رقابة القضاء بجميع صورها او مظاهرها فلا تكون محلا لالغاء أو تعويض أو وقف أو تنفيذ أو فحص مشروعيته»[٢٠]، ورغم أنه لا يوجد نص قانوني يحدد اعمال السيادة الا أن كثيرا من الفقهاء اتفقوا على أن ذلك يعني الاعمال التي تباشرها الحكومة بمقتضى سلطتها السياسية العليا وتتناول علاقاتها بالسلطات العامة الاخرى في الداخل والخارج تنمية اقتصاد الدولة والمحافظة على مصالحها فى الداخل والخارج كالقرارات المتعلقة بالاتفاقيات والمعاهدات الدولية والتمثيل السياسي لدى الدول الاجنبية والحرب والسلم وضم الاراضي للدول والتنازل عنها وحل المجلس التشريعي ودعوته للانعقاد[٢١].

وهنا يبدو الفرق شاسعا بين النظام الاسلامي والنظام الوضعي فالأول يعتبر القرار القاضي بضم اقليم للدولة الاسلامية يخضع كغيره من الاعمال لرقابة القضاء ويملك القاضي سلطة ابطاله إن كان فيه مخالفة لاحكام الشريعة وهو ما حصل فعلا مع قتيبة بن مسلم في الحادثة المذكورة بينما تعتبر الانظمة الوضعية القرارات الخاصة بالحرب وضم الاراضي من قبيل اعمال السيادة التي تتمتع بحصانة ضد رقابة القضاء وليس للقاضي سلطة عليها إن إلغاء أو وقفا أو تعويضا.

ولقد دفع عدم خضوع الادارة لرقابة القضاء بشأن اعمال السيادة بعض فقهاء القانون العام الى القول بأن نظرية اعمال السيادة نقطة سوداء في جبين المشروعية أو غصبا لهذا المبدأ[٢٢].

وتفتح نظرية السيادة مجالا واسعا أمام الانظمة الوضعية للتهرب من رقابة القضاء خاصة وأن الفقه لحد اليوم لم يتفق على معيار جامع مانع يحدد طبيعة الاعمال التي يمكن أن يضفي عليها طابع السيادة[٢٣]، وهنا يتجلى لنا مرّة أخرى سمو الشريعة عن القانون.

الهوامش:

(١) انظر مقالنا بين الامامة والقضاء المنشور بمجلة المنهل العدد ٥٣٧ نوفمبر وديسمبر ١٩٩٥، ص ١٧.

(٢) فيما شجر بينهم معناه فيما بينهم من اختلاف تقول شجر يشجر تشجيرا أو شجورا وشاجره في الامر مشاجرة وشجارا وكل ذلك لتداخل كلام بعضهم في بعض كتداخل الشجر بالتفافه.
أبو جعفر ابن محمد بن الحسن الطوسي، تفسير التبيان، الجزء الثالث، ص ٢٤٥.

(٣) سورة النساء الآية ٦٥.

(٤) محمد شهير ارسلان، القضاء والقضاة، بيروت، دار الارشاد، ١٩٦٩، ص ٣٧.

(٥) انور العمروسي، التشريع والقضاء في الاسلام، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ص ٥٣.

(٦) سورة الحجرات الآية ١٣.

(٧) سورة النساء الآية ١٠٤.

(٨) سورة المائدة الآية ٥٠.

(٩) سورة الجاثية الآية ١٧.

(١٠) رواه مسلم.

(١١) سورة ص الآية ٢٥.

(١٢) سورة الانبياء الآية ٧٨.

(١٣) رواه البخاري.

(١٤) رواه البخاري.

(١٥) سنن النسائي ، شرح الحافظ جلال الدين السيوطي، بيروت، دار احياء التراث العربي، ص ٢٢١.

(١٦) سنن ابي داود ص ٤١٢. اشار اليه ابن سعد في الطبقات الكبرى، ج٢، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، ص ٣٤٧.

(١٧) وكيع محمد خلف بن حيان، اخبار القضاة، صححه عبد العزيز مصطفى المراغي، ج١، ط١، القاهرة، مطبعة الاستقامة، ص ٧١.

(١٨) الدكتور جبر محمود الفضيلات، القضاء في صدر الاسلام، الجزائر، شركة الشهاب، ١٩٨٧، ص ٢٥٧.

(١٩) لمعرفة هذه القواعد انظر: د. صبحي محمصاني، القانون والعلاقات الدولية في الاسلام، بيروت، دار العلم، ١٩٧٢، صر ٢٠٤.

(٢٠) د/ سعيد الحكيم، الرقابة على اعمال الادارة في الشريعة الاسلامية والنظم الوضعية، القاهرة، دار الفكر ١٩٨٧، ص ٤٣.

(٢١) اشار لهذا الحصر تقرير الامانة العامة لمجلس وزراء العدل العرب، المجلة العربية للفقه والقضاء، السنة الثانية، العدد الثاني، اكتوبر ١٩٨٥، ص ٢٧٣.

(٢٢) د. سعد الحكيم، المرجع نفسه ، ص ٤٤.

(٢٣) د. سعيد الحكيم، المرجع نفسه، ص ٤٤.



٩٧

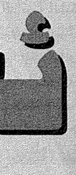
في البلدان والعمران ..
في التقاليد والأعراف
في تقاطع وجوه الناس
السائح يستقريء الملامح ويرسم اللوحة



جبال فيفا السياحية

مشاهدات من فيتنام





من ربوع بلادي .. جبال فـ



امسك قلمي .. اكتب لكم وتشاركني الكتابة الورود والخضره والجمال .. اكتب لكم عن جزء غال من بلادي المملكة العربية السعودية - انها جبال فيفا الشاهقة التي امتدت لها يد العطاء من حكومة خادم الحرمين الشريفين ومن جميع المسئولين .. اكتب لكم لتشاركوني رحلتى من خلال الصور المعبرة عن تلك البقعة الخضراء.

فيفا الموقع:

تقع جبال فيفا في اقصى الجنوب الغربي من بلادنا الغالية المملكة العربية السعودية . وترتبط إداريا بمنطقة غالية على نفوسنا إنها منطقة «جازان» التى تبعد عنها حوالى (١٣٠) كم تقريبا وترتفع جبال فيفا عن سطح البحر الأحمر ما يقارب (٨) آلاف قدم وتسكنها قبائل تزيد عن (٢٠) قبيله منتشرة في مساكنها في قمم الجبال الشاهقة والوعرة وفي السفوح الخضراء ويقدر عددهم بحوالي (٤٠) الف نسمة.

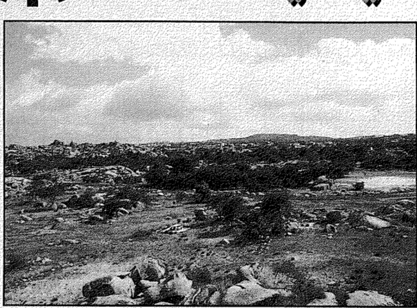


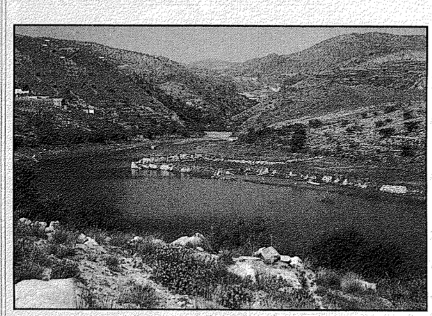
مميزات فيفا:

مميزاتها عديدة منها جمال الطبيعة الساحرة والغابات الخضراء ومدرجاتها الدائرية الشكل ومنازلها الاسطوانية القديمة المبنية من الحجر والطين، لذلك كل من ينظر اليها يجدها وكأنما صممت على أحدث الطرق الهندسية.. فقد نسقها المولى القدير وحباها جمالا طبيعياً.. وسبحان الله الذي خلق فأبدع.

* ومما يزيد جبال فيفا جمالا هو جوها اللطيف على مدار العام .. نظراً لارتفاعها عن سطح البحر واستمرار هطول الأمطار عليها طوال العام ويقال إن أقل درجة حرارة سجلت في معظم الاعوام لم تقل عن (٩) درجات واعلى درجة (٢٦) مما جعلها تنفرد بجوها اللطيف على مدار العام وهذه ميزة تنفرد بها عن غيرها من المناطق الأخرى.

فيفا السياحية





فيفا والتطور:

يوجد في فيفا معظم المرافق الحكومية ومن أهمها «هيئة تطوير وتعمير المنطقة بفيفا.. ويرأس مجلسها سمو الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية ويوجد بفيفا من خلال مشاهدتي .. بلدية ومركز للامارة ومحكمة شرعية ومكتب للدعوة والإرشاد ومركز لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. ومكتب للهاتف ومكتب آخر للبريد ومركز للشرطة ومستشفى عام .. وعدد من مراكز الرعاية الأولية. وفي مجال التعليم بها العديد من المدارس الإبتدائية والمتوسطة والثانوية للبنين والبنات وتزيد عن (٦٠) مدرسة.. وبها مندوبية لتعليم البنات ومكتب للتوجيه التربوى ومعهد للمعلمات .. ومعهد علمى للبنين تابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية.

كذلك من المشاريع التنموية في فيفا مشروع كبير للكهرباء .. أمر به خادم الحرمين الشريفين يحفظه الله.. خاصة وان صعوبة المنطقة تثير الاعجاب .. فقد اشار العديد من السكان استخدام الطائرات العمودية في انزال وتركيب الاعمدة الكهربائية والمحولات في تلك الجبال الشاهقة .. وهناك انجازات وعطاءات كثيرة منها ايصال المياه الصالحة للشرب الى اهالى فيفا وذلك بواسطة (الوايتات) الكبيرة لسقياء المواطنين.. حتى الأنتهاء من مشروع ايصال المياه.. لجبال فيفا.

* فيفا منطقة الضباب فهو يعشقها وكأن بينهما عناقاً ومحبة وهذه دعوة صادقة لرجال الاعلام لزيارة جبال فيفا ومشاهدة حدائقها المعلقة التى تُعَدّ من عجائب المصايف في بلادنا، فيفا الخضراء هي نجمة من أغلى نجوم الجنوب يجب أن نعطيها حقها ونصيبها.. ليعرفها الجميع.

محمد الشهري ـ جدة ـ

**** السياحة، قراءة ذكية للشعوب ، عاداتهم ، أعرافهم ، تقاليدهم ، في المسكن والملبس والمأكل. . في السلوك والمعاملات . . في الجماعات والافراد. في أديانهم وعقائدهم وطقوسهم . . كل ذلك يعطي صورة حقيقية عن طبائع البشر ومعطيات حياتهم.**

هذه حلقات متتالية للأستاذ العبودي، مشاهدات وقراءات وتأملات في شعب فيتنام.

مشاهدات في





من بانكوك إلى هوشي منه:

وجدنا الطائرة الفيتنامية التابعة لخطوط فيتنام الجوية قد دخل فيها الركاب ثم اقلعت في الساعة الرابعة وهو الموعد المحدد لإقلاعها من دون تأخير.

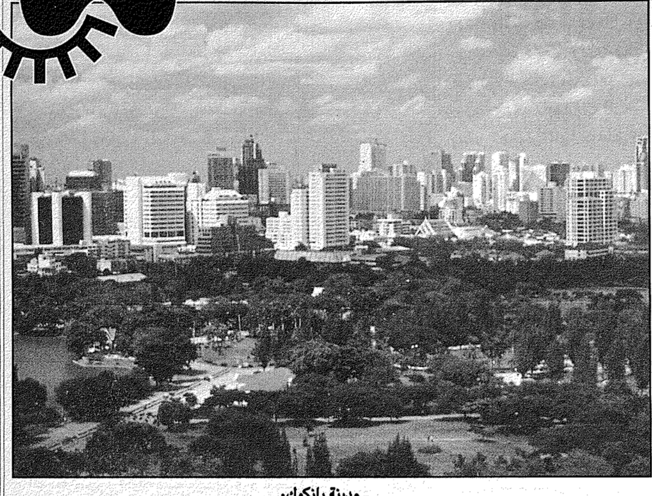
ولا شك أن الأمر له علاقة بدقة العمل ونظامه من واقع المعايشة الطويلة لحرب بل حروب ضروس خاضها الشعب الفيتنامي بإمكاناته الضئيلة، وانتصر فيها، مما ولَّد عنده حب النظام والدقة، في تنفيذ الأوامر.

وطارت الطائرة مباشرة فوق مدينة بانكوك الممتدة، التي قد تُسارع - وإذا رأيت نهرها وما يتفرع منه من قنوات وما يخلفه من برك لتربية الأسماك ومستنقعات لزراعة الأرز فتسميها مدينة المياه.

والواقع أن الأمر ليس بعيداً من ذلك فقد كنت قرأت قبل سنوات قليلة أن بانكوك تغوص في الأرض كل عام بمعدل يسير من السنتيمترات. وذلك لكون أرضها مشبعة بالرطوبة، وقد كثرت فيها الأبنية الضخمة الثقيلة . . قالوا: ولذلك تغوص المنازل الثقيلة في أرضها بمقدار ضئيل غير محسوس لكنه موجود.

وكانت بانكوك في الأصل وربما إلى ما قبل أربعين سنة أشبه بالمدينة الصغيرة، أغلب منازلها من الخشب وهو الأصلح لأرض مثل أرضها. ثم شملها التطور الذي أصبح الآن جارفاً بحيث يمكنك أن ترى الأبنية الضخمة العالية في كل اتجاه، والأهم من ذلك أنك ترى الرافعات القوية تعمل في بناء المزيد من الأبنية الضخمة التي يصل بعضها إلى ٣٠ طابقاً في اتجاهات كثيرة من المدينة.

هذا وقد أوغلت الطائرة فوق ريف تايلند



- مدينة بانكوك.

ولكنها كانت توغل ارتفاعاً في الجو حتى انماعت الأشياء على الأرض في ارتفاعها كما تنماع الشخوص في أحلام المنام.

واتجهت الاتجاه الصحيح إلى مدينة (هوشي منه) التي شغلت العالم بأخبارها إبان ما يسمى بحرب فيتنام التي قامت بها الولايات المتحدة وحلفاؤها الأغنياء الأقوياء وأعملت جميع ما لديها من الأسلحة الفتاكة وغير الفتاكة في أرض فيتنام وعلى رؤوس شعبها ولكنها خرجت في النهاية مذمومة مدحورة أمام تصميم شعب فيتنام الفقير الضعيف في أسلحته ومعداته، وكانت تسمي آنذاك (سايقون) وكانت عاصمة لجمهورية فيتنام الجنوبية المتحالفة مع أمريكا وحلفائها فلما سقطت أمريكا وأعوانها وهربوا معاً إلى الخارج وجد الفيتناميون بلادهم جنوبها وشمالها في دولة واحدة هي دولة فيتنام وأسموا هذه العاصمة الجنوبية التي كانت تسمى (سايقون) على اسم زعيمهم الوطني (هوشي منه).

لم نجد في جيوب المقاعد في الطائرة أية جرائد أو مجلات أو منشورات، وهذه عادة عرفتها من طائرات الشيوعيين في كل بلادهم أو البلاد التي كانت بلادهم عندما زرتها وعلى رأسها بلاد الاتحاد السوفيتي.

كما أن مكبر الصوت في الطائرة لم يعلن أية معلومات مما يتعلق بالرحلة، والأماكن التي تطير فوقها الطائرة.

وتخدم الطائرة مضيفتان فيتناميتان لهما المظهر العام المعروف في أهل جنوب آسيا الشرقي ابتداء من بورما وفيتنام وانتهاء بنهاية حدود اندونيسيا الواقعة قرب القارة الأسترالية ولكن مع فروق يلاحظها المتتبع لمثل هذه الأمور.

كانت الضيافة جميلة وسخية مثل الجمال المتمثل في هاتين المضيفتين وهو جمال خاص بهذه المنطقة لا يسميه جمالا إلا من عاشوا فيها أو الفوا النظر الى وجوه أهلها، كانت الضيافة علبة جميلة من اللدائن الصافية التي تبدو كالزجاج الصافي ولكن كان من جمال مظهرها ما كدره مخبرها وهو أن الطبق الرئيسي فيها كان فخذ دجاجة تحته شريحة من لحم الخنزير، ولحم الدجاج في هذه المنطقة البوذية محرم لكونه ذبح بأيدي قوم ليسوا من أهل الكتاب، فإذا خالطه الخنزير زاده تحريماً على تحريم ولذلك لم نقرب شيئاً مما فيه إلا قطعة صغيرة مغلفة من الحلوى.

ثم وزعت المضيفتان قطعة مغلفة من (الشوكولاته) عليها كتابة بالعربية تبين انهم قد استوردوها من غرب ماليزيا. وكان الماليزيون قد أعدوها للتصدير للبلدان العربية وغيرها، كما وزعوا أكياساً صغيرة تحتوي على حبات من الكروشو المملح معبأة أيضاً في ماليزيا. وقد كتبوا اسمها عليها بالإنكليزية (حاجي) من الحج.

ثم جاؤوا بالشراب الخفيف وأكثره معلب، وبعده فاكهة من اليوسفي وهو المندرين لكل راكب ثمرة واحدة وكان مسك الختام فنجاناً من الشاي، وكل ذلك نظيف وبأدب جمّ.

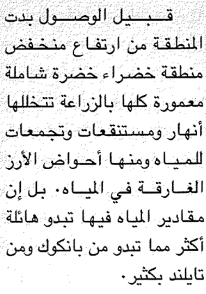
قلت: إن الرحلة لم يكن فيها اعلان عن أي شيء يتعلق بها، ولذلك عندما وصلنا إلى ساحل بحري ذي شعب وخلجان داخلة في البر وألسنة من الأرض في البحر، وهو مغمور بمياه نهرية تراها مسرعة في ذهابها إلى البحر أو يخيل إليك في بعض الأحيان أنها كالمستنقعات أو المياه الراكدة. ولا ندرى أهي حدود تايلند الجنوبية الشرقية أم هي من حدود ماليزيا الغربية الشمالية.

أما ركاب الطائرة فإن أكثرهم من ذوي المظهر الآسيوي الجنوبي الشرقي، وفيهم عدد قليل من ذوي المظهر الأوروبي، وعربيان هما أنا ورفيقي الشيخ علي عيسى وهو مصري عاش منذ ربع قرن في تايلند واكتسب الجنسية التايلندية، ويحمل الآن جواز سفر تايلندي ويجيد اللغة التايلندية قراءة وكتابة ويتكلم بها كما يتكلم بها أهلها.

وقد اخترته لصحبتي في دول الهند الصينية لهذا السبب ولخبرته الطويلة في العمل الإسلامي في هذه المنطقة، وإن كان مثلي لم تسبق له زيارة لهذه البلاد وإنما نزورها معاً لأول مرة.

وقبل الوصول عندما بدأت الطائرة التدني وهي تتدلى من الجو بدت الأرض معمورة خضراء بل سوداء من شدة الخضرة يشقها نهر ذو شعب بعضها تراها أشبه بالنهر المستقل إذ لا تدرك لها ارتباطاً بالنهر الكبير من الطائرة.

وزعوا على الركاب استمارات الدخول وهي طويلة مفصلة إلا أنه نفعني أن جوازي السياسي لا يطلب عرفاً من حامله أن يكتب إقرارات جمركية.



في مطار هوشي منه:

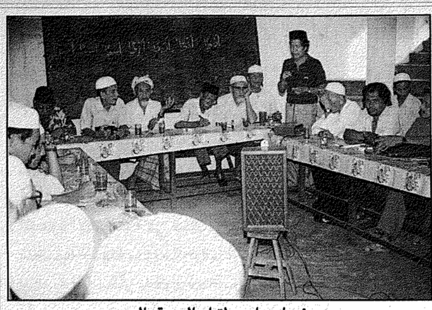
قبيل الوصول بدت المنطقة من ارتفاع منخفض منطقة خضراء خضرة شاملة معمورة كلها بالزراعة تتخللها أنهار ومستنقعات وتجمعات للمياه ومنها أحواض الأرز الغارقة في المياه. بل إن مقادير المياه فيها تبدو هائلة أكثر مما تبدو من بانكوك ومن تايلند بكثير.

وهبطت الطائرة في الخامسة والثلث من قبل المغرب بعد طيران من بانكوك استمر ساعة وثلثاً، ورغم غرابة المنطقة وهذا الجو الندي بل البالغ الرطوبة والخضرة الذي ينافي الجو في بلادنا لم أستطع التغلب على الشعور بالإعجاب ببطولة الأبطال من الرجال في فيتنام الذين وحدوا بلادهم رغم تحدي العالم الغني القوي لهم وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية أقوى قوة عسكرية واقتصادية في العالم.

ولا يحد من الإعجاب بفعلهم كونهم شيوعيين لأن الشيوعية ذاهبة زائلة لكونها نظاماً لا إنسانياً، أما الوحدة الوطنية فإنها ثابتة مستمرة.

رأينا مدارج المطار طويلة ممتدة، لأن مدينة (هوشي منه) كانت قبل توحيدها مع فيتنام الشمالية عالمية مزدهرة اقتصادياً وسياحياً مثلها في ذلك مثل (بانكوك). وكانت الأعشاب والنباتات البرية التي تحيط بمدارج المطار كثيفة إلى درجة رأيتهم يكافحونها بالحش والقص ولكن ذلك لم يفعل فيها شيئاً.

وقد رأيت في مطارها ما أكد في نفسي ما



- فصل دراسي لتعلم العربية والدين.

سمعته أخيراً من اتجاه حكومة فيتنام الى الانفتاح الاقتصادي تبعاً لزوال الشيوعية من كثير من البلدان وانفتاح العالم بعضه على بعض وذلك يتمثل في وجود طائرات ضخمة لشركات عالمية منها الفرنسية والاسترالية.

وبدت أبنية المطار قديمة غير بهيجة ولا مجددة الطلاء.. دخلنا إلى قاعة الوصول مشياً على الأقدام من الطائرة فوجدناها قاعة للوصول وتسلم الأمتعة ومقر الجمرك. ولم يفتشوا أمتعتنا وإنما اكتفوا بإدخال الحقائب الكبيرة داخل فاحص كهربائي، أما الصغيرة فلم يدخلوها في الفاحص ولم يفتحوها ولم يفتشوها وذلك بسبب الجواز السياسي.

وجدنا العاملات في المطار في القاعة من النساء أكثر من الرجال بعضهن عليهن لباسهن الوطني المميز الذي يتألف من سروال أبيض طويل يضرب إلى الكعبين فوقه قميص طويل كالفستان (المكسي)، وفوقه صدري أو قميص يكون غالباً طويل الكمين فهو ساتر كلياً، بل هو أكثر ستراً من لباس كثيرات من النساء

المسلمات العاملات في المطارات في البلدان الإسلامية.

وكانت النساء العاملات في المطار على غاية من اللطف وحسن التصرف في التعامل مع الركاب القادمين، فمثلا لم يصل صندوق لي من الورق المقوى فيه سجاجيد صلاة وهدايا أعددتها لأئمة المساجد والعاملين في حقل الدعوة الإسلامية في فيتنام فكانت اجراءات تسجيله سهلة سريعة. وقد أرسلوا مبرقة تلكسية إلى مطار بانكوك فجاء بعد يومين وتبين أنه لم يشحن من هناك.

وإلي جانب حسن المعاملة فإن الصباحة في الوجوه هي الظاهرة مع وجود التقاسيم التي لم تألفها عيوننا، ولا تعدها أذواقنا جميلة من تقاسيم خاصة بمنطقة جنوب آسيا الشرقي، وذلك عكس ما عليه الحال في تايلند، حيث يكون الجمال أو حتى مجرد أن يكون وجه المرأة معتاداً للعربي هو النادر وعكسه هو الشائع. وإلى جانب المظهر يشعر المرء من معاملتهم في المطار أنهم على غاية من الذكاء وسرعة الفهم.

مدينة هوشي منه:

ركبنا سيارة أجرة (تاكسي) كما يسمونها مع أنها حافلة صغيرة تحمل إثنى عشر راكباً، ونقدنا أجرتها لمكتب في المطار تديره امرأة مهذبة(١٥) دولاراً أمريكياً.. ومما يسجل لها أنني أعطيتها عشرين دولاراً أمريكياً فأعطتني خمسة دولارات أمريكية نقداً فذكرت الهند التي كنت فيها قبل أقل من شهر فكان أهلها حتى في الفنادق والمصارف لا يعطونك أي مبلغ يبقى لك عندهم بالعملة الأمريكية وإنما يعطونك إياه بعملتهم التي هي الروبية وبالسعر الرسمي الذي يقل بحوالي الثلث عن السوق الحرة.

وسألناها عن فندق مناسب في وسط المدينة فذكرت لنا فندق (ركس) وقالت: إنه جيد وفي وسط المدينة وسعره خمسون دولاراً لليلة الواحدة في غرفة خاصة.

انطلقت الحافلة الصغيرة التي أسموها (تاكسي) وهي جيدة نظيفة مع شوارع خيَّم عليها الظلام فلم نتبين شيئاً من معالم الطريق حتى وصلنا إلى فندق ركس في قلب المدينة.

فأنزلنا الفندق بسرعة في غرفتين جيدتين واسعتين في كل واحدة سريران وتلفاز وثلاجة وحمام خاص غاية في النظافة، بل إن جميع ما في الغرفة هو في مستوى فنادق الدرجة الأولى ذات النجوم الخمس مع أن الفندق أخبرنا أن أجرة الغرفة (٤٩) دولاراً وليس خمسين، وزاد من لطفه ما واجهناه في كل فنادقهم وهو أنهم لا يطلبون من النزيل أن يملأ بطاقة التسجيل في الفندق بنفسه، بل يطلبون منه بلطف أن يريهم جواز سفره فيسجلون بعض المعلومات منه ثم يعيدونه حالا للنزيل ولا يطلبون منه أن يدفع شيئاً من المال مقدماً، بل لا يسألونه حتى عن طريقة الدفع أهي نقداً أم بالبطاقة.

وفي الغرفة زوج من الأحذية من قش ناعم لاستعماله داخل الغرفة عوضاً عن نعال السبت (الشبشب) وفرشاة كبيرة لتنظيف الملابس من الغبار ونحوه مع أن الرطوبة هي شاملة والخوف من تأثير الرطوبة أكثر من الخوف من تأثير الغبار وفيها مصابيح كهربائية تفتح بإدارة مفتاحها باليد وكأنها مصابيح الزيت القديمة. وللغرفة شرفة خاصة واسعة ذات واجهة مستورة بستائر قماشية مضاعفة، سهلة الإنزلاق.

أما موظفو الفندق فإنهم من رجال ونساء على غاية من التهذيب يبادرونك بالابتسام

وينحنون أمامك كما يفعل أهل الملايو وأندونيسيا ويبدون أكثر ذكاء وأسرع فهماً من التايلنديين.

نظرة أولى:

غادرنا الفندق بُعَيْدَ الاطمئنان على الغرف والصلاة جمعاً في تمشية ليلية لإلقاء نظرة عاجلة على ما حول الفندق، وأهم ذلك ميدان مجمل مشجر فيه مقاعد حجرية قليلة يسمونه حديقة ركس ، وفي ركن منه تمثال لرجل فيتنامي ملتح بلحية تشبه لحية (هوشي منه) وهو يضع يده على اطفال فيتناميين.

كثير من القوم كانوا في الميدان أو حوله يقضون وقتاً، ومن الغريب أن بعضهم قد اتخذوا من ظهور دراجاتهم النارية مقاعد إذ عدد المقاعد الحجرية فيه قليل، وقد احتلها أناس قبلهم.

وجلسنا على أحد المقاعد بعد انتظار طويل من أن يفرغ مكان للجلوس فكانت جلسة ممتعة لأنها في بلاد غريبة عنا قلباً وقالباً أو قل: إنها بعيدة في المكان والزمان وهي أبعد من ذلك في الديانة والتقاليد.

وهناك شيء غريب في هذه الجلسة في هذا الميدان الذي يعتبر مقراً أو ممراً للأجانب من أوربيين وأمريكيين ومن يكونون في مظهرهم كالأستراليين، وهو أن يبادرك طفل صغير ذكي نظيف الثوب والبدن فيسلم عليك ببراءة ويقترب منك ويحتك بك. فتحس وأنت غريب برغبة في أن يبقى حولك ويكون عمره في الغالب بين الخامسة والسابعة، وفي الأخير بعد أن يحس بطبعه أو بتربيته أنك قد أنست به يمد يده اليك، وتأتي أمه أو الموكلة به فتفهمك أنه بحاجة إلى أن تنفحه قليلا من النقود.

وكنت خشيت في أول الأمر أن الأمر فيه انتشال نقود من الجيب أو مخادعة عن شيء من هذا القبيل، ولكن تبين لي أخيراً أنه لاستدرار العطف.

ثم تأتي بنيات أكبر سناً ويكنَّ في الغالب في سن التاسعة إلى الثالثة عشرة، ومع الواحدة منهن أوراق نقدية قديمة أو دفاتر صغيرة أو معهن نقود معدنية كذلك أو صور زهور وتذكارات زهيدة الثمن يعرضنها عليك بعد أن يتلطفن فيبتسمن وقد يسلمن عليك فتشتري من واحدة ما تريده بقيمة دولار أو نصف دولار فتأتي الأخريات ويقفن ويلحفن في عرض بضائعهن فهذا مما يكدر الجلسة أحياناً، وإن كان يجملها أحياناً أخرى إذا كنت خالي الذهن أو تبحث عما تسمعه أو تعرفه في هذه البلاد مثلنا.

وهنا بُنيَّةٌ أخرى في غاية الذكاء على صغرها وتتكلم الإنكليزية بطلاقة فتعرض عليك أن تترجم بينك وبين هؤلاء الباعة الصغار، ثم تأتي مسرعة ببضاعة تعرضها عليك مثلهم، وذلك من حوانيت قريبة فيها مثل هذه البضاعة التي يشتريها السياح.

وأول نظرة فيهم تجعلك تحكم بأنهم أذكياء، يحبون التعارف مؤدبون لولا الإلحاح في السؤال أو البيع من بعضهم. ولا شك أن مرجع ذلك إلى الفقر المدقع وانحطاط مستوى المعيشة، نتيجة للحكم الشيوعي المتعصب للشيوعية المطبق في بلادهم.

كما أن لغتهم غريبة على السمع فيها شبه من ناحية اللفظ باللغة التايلندية، ولكن ليس لها صلة قوية بها رغم قربها منها، وقد أخبرني رفيقي الشيخ علي عيسى الذي يجيد اللغة التايلندية كما قدمت بذلك وأنه لم يفهم من

لغتهم كلمة واحدة وقد حاول وأنا أسمع أن يجعلهم يفهمون أي شيء من التايلندية فلم يستطع.

شعب فريد:

إنهم شعب فريد ذو لغة فريدة حتى إن اللغة الصينية المجاورة لبلادهم التي هي لغة عريقة كانت لغة الثقافة لعدة أمم مجاورة للصين كالكوريين واليابانيين الذين كانوا يكتبون لغتهم بالحروف الصينية، إلى وقت قريب ولا تزال تلك الحروف معروفة عندهم ليست لها علاقة باللغة الفيتنامية. ومخارجها غريبة إذ يخرجونها بمخارج هادئة وبأصوات غير مرتفعة رغم ما عرف عن هذا الشعب من الشدة والقوة في الحرب.

وكثيراً ما كنت بعد ذلك أكاد أضحك وأنا أستمع إليهم يتحدثون بلغتهم هذه التي تشبه مواء السنانير المتقطع أي غير المتصل - وربما تكون لنا عودة إلى الحديث عن هذه الأمور فيما بعد - .

وفي هذا الليل في هذا المكان الذي يكثر فيه الأجانب يتبادر إلى الذهن الحديث عن جنود الليل، والجواب: إن مظاهر ذلك تكاد تكون معدومة وإن كانت موجودة على قلة، ففي أحيان قليلة عرفناها هذه الليلة وبعدها يقترب سائق ركشا ويسمونها (شكلوه) فيهمس في أذنك عما إذا كنت تريد شيئاً.

ولكن ذلك أقل من البلدان الأخرى، وهو أمر لا يذكر بالنسبة إلى ما عليه الحال في تايلند. والأمن مستتب فيما رأيناه وفيما قيل لنا بعد ذلك والرخص بالغ والأهم عندنا هذا الترتيب والنظام الموجود رغم استرخائه وذهابه من البلدان الشيوعية الأخرى.

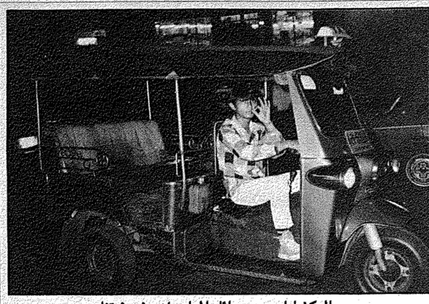
ركشا فيتنامية:

وجدنا في ميدان منتزه (ركس) الواقع أمام فندقنا فندق ركس مكتباً سياحياً مراقباً من الحكومة قد كتب على لافتته أنه يصرف الدولار الأمريكي بثلاثة عشر ألفاً ومائتي دونغ) و(الدونغ) هو العملة الوطنية لهم وهو من العملات الوطنية الهابطة حتى إنني أحمل معي نسخة من تقرير كتبه مندوب البنك الإسلامي للتنمية بعد زيارته لفيتنام في عام ١٤٠٢هـ، ١٩٨٣م، ذكر فيه أن الدولار الأمريكي يساوي (٩) دونغات وها نحن الآن نرى السعر الرسمي للحكومة يجعله بـ ١٣٢٠٠ دونغاً.

صرفنا بعض الدولارات ثم ركبنا دراجتين من دراجات الركشا التي يجرها الآدمي. و(الركشا) عندهم كالموجودة في الهند تقريباً وهي دراجة هوائية لا محرك فيها لها ثلاث عجلات إحداها الإمامية وفوقها سائقها الذي يسيرها بتحريكها برجليه واثنتان خلفيتان فوقهما مقعد مريح لشخص واحد يجلس مطمئناً وسائق الدراجة الراكب أمامه يسيرها به. وقد جعلوا للعربة مظلة تقي الراكب من الشمس ومن المطر وذلك لكثرة المطر ولكن لا يكون فيها شيء منها يقي السائق ذلك. ركبنا دراجتين بأجرة قدرها وبيانها - كما يقولون - خمسة آلاف دونغاً للاثنين ويساوي ذلك أكثر قليلا من ثلث دولار وأقل كثيراً من نصف دولار.

وعندما ركبنا والسائقان يجاهدان كل واحد منهما بجر حمله الذي هو نحن قلنا: {سبحان الذي سَخَّر لنا هذا وما كُنا له مقرنين}. ومن الطريف أنهم من باب المجاملة وسهولة معاملتهم للأجانب، وجرياً على عادة

لـهـم في ذلـك مـن دون شـك جعلوا يسيرون بنا متجاورين فكنت أتحـدث مع رفـيـقي الشـيخ علي عـيـسى ونحن راكبان كل واحد على دراجة في وسط الشارع يساعدهم على ذلك كون شوارع المدينة واسعة ذات أرصفة تبعد المارة عن مضايقة الدراجات وتبعد الدراجات عن مضايقة المارة.



ـ الركشا إحدى وسائل المواصلات في فيتنام.

ولاحظنا أن دراجة الركشا عندهم مخصصة لراكب واحد وان كان يحدث أن يركب فيها إثنان أو ثلاثة من الأطفال، أو امرأتان يتزاحمان فيها، بخلاف دراجة الركشا المماثلة لها الموجودة في الهند وبنغلاديش ولا توجد في باكستان فإنها تحمل ثلاثة.

ومن الملاحظ أن دراجات الركشا هذه لا توجد إلا في بلدان فقيرة معينة في القارة الهندية وفي جنوب شرق آسيا، ولا توجد في بعضها كتايلند رغم الحاجة إليها فإنها ممنوعة عندهم، وإنما استعاضوا عنها بما أسموها (موتور ـ ركشا) وهي دراجة نارية في الأصل ذات ثلاثة عجلات قد جعل فيها صندوق ذو شكل مثلث رأسه الأمامي فيه السائق والخلفي فيه مقعد عريض يتسع لثلاثة ركاب فتسير ولها قعقعة بل فرقعة تسهم في الضوضاء والجلبة التي تحفل بها عاصمة (سيام): بانكوك.

سار الرجلان بنا ونحن نتحدث محمولين في الشارع ونتأمل شوارع هذه المدينة الواسعة، وميادينها المتعددة التي ليس فيها تجديد ولكن ليس فيها تخريب فكلها عامر صالح.

ورأيت بعض اللافتات القديمة فيها التي لا يزال فيها اسمها القديم (سايقون) باقياً، ومن ذلك مكتب للسياحة كتب عليه (سايقون توريزم) وعدة لافتات أخرى فيها الاسم القديم للمدينة وليس الجديد (هوشي منه)، والجو في هذا الصباح لا بأس به، وكان حاراً عندما قدمنا أمس وحرارته من أجل رطوبة فيه وليست من أجل درجة حرارة مرتفعة.

شخصية إسلامية ولكن:

كنا نحمل معنا عنوان شخص مسلم اسمه (عثمان بن عمر) كان قد كتب للرابطة كتاباً يطلب فيه المساعدة على بناء مسجد في فيتنام اسمه مسجد الخيرية. فأريناه سائقي (الركشا) وهم يقرأون الحروف اللاتينية لأن لغتهم تكتب بها.

فوصلا ميداناً جيداً عليه بناء ممتاز من عهد الفرنسيين.

ثم سارا مع شارع رئيسي واسع ولا تفاهم معهما مطلقاً لأنهما لا يعرفان غير لغتهما الفيتنامية ومع ذلك لم يكفا عن الحديث فيما بينهما وفيما يوجهان من حديث لنا لا

نفهم منه شيئاً. حتى وقفا في الشارع العام عند مدخل شارع فرعي ضيق فأشارا أن انزلا، ونزلنا بالفعل فرأينا العنوان حانوتاً جيداً فيه رجل مشرق الوجه، والإشراق في وجوه الفيتناميين قليل بسبب رطوبة الجو، وثقل الهواء. ومعه ثلاثة رجال كلهم مسلمون ظاهر ذلك من مظاهرهم إذ هم بالملايويين أو الأندونيسيين أشبه منهم بسائر الفيتناميين.

فرحنا بذلك وسلمنا عليهم وألقينا بالتحية ولكننا لم نجد صدى لكلامنا إذ لم يفهموا منه إلا السلام وحتى السلام لم يردوه لأنه ضاع في زحام الكلام فعجزت أفهامهم عن استيعابه.

وحاولنا الكلام وحاولوا الفهم ولكن المحاولات كلها كانت فاشلة إذ لا يحسنون لغة نحسنها، وأخبرناهم بالإشارة أننا من مكة المكرمة، فبان التأثر على وجوههم فأسرعوا بإحضار مشروب عصير فاكهة محلية يسمونه (روما) لم نعرفه كما لم نعرف لغتهم.

وجاءت أسرة صاحب الحانوت الأخ عثمان بن عمر وهي والدته وزوجته وهما مسنتان وصهر له مع زوجته والتفوا حولنا، ولكن كانت الكلمات الممزوجة بالدهشة تموت على الشفاه إذ لا لغة تجمعنا. فطلبنا منهم طلباً فهموه بعد إلحاح، وهو أن يستدعوا الأخ عبد الحليم سليمان الذي كان رئيساً للمسلمين منذ سنوات عسى أن نجده يعرف شيئاً من العربية يكفي للتفاهم، كما سألناهم عما إذا كانوا يعرفون احداً من المسلمين يتكلم الإنكليزية.

فذهب منهم اثنان وبقينا مع الآخرين نتبادل النظرات وابتسامات الحيرة على الشفاه، ثم ذهبت أتمشى حول محلهم من السوق معلقاً مصورتي في يدي فرأيت بضائعهم التي تصنع في بلادهم رخيصة جداً، ومن ذلك قبعة جميلة من القماش عريضة الجوانب بسبعة آلاف (دونغ) ويساوي ذلك نصف دولار.

ولم يمكن معرفة مقدار الثمن مع البائع إلا بكتابته على ورقة واطلاعنا عليه، إذ الأرقام هنا هي الأرقام العربية التي نسميها الإفرنجية.

واستمر تدفق الدراجات أو لنقل فيضان الدراجات في الشارع الرئيسي حتى فاقت كثرتها ما هو موجود في شوارع المدن الصينية المعروفة بكثرة دراجاتها. ودراجات الركشا لا يدانيها في الكثرة مدان حتى في مدن الهند وبنغلادش المشهورة بكثرة ركشها - جمع ركشا إن صح التعبير.

وعجبت لكثرة الأطفال في الشوارع، ولا شك في أن لضيق البيوت دخلا في كثرة رؤية الأطفال في الشوارع - وربما كان هذا تعويضاً عما أفنته الحرب من أهل فيتنام وهو تعويض لم يقصده احد من الناس وانما هو من الله تعالى من دون أن يخطط له مخطط. كما لاحظت كثرة الشحاذين الذين يقصدون الأجانب خاصة بالسؤال والاستجداء، ولا أراهم يلحون على المواطنين بالسؤال.

الإرداف على الدراجة النارية:

عاد الرجلان اللذان ذهبا يبحثان عن أحد المسلمين الذي يمكن أن يتفاهم معنا فقدما دراجتيهما الناريتين وأشار كل واحد منهما إلى واحد منا أن اركب خلفي على الدراجة، وركبت وأنا مشفق من أن لا أحسن الثبات على ظهر هذه الدراجة النارية لا سيما أن الدراجات كانت كثيرة كثرة عظيمة في هذه الساعة من النهار التي تعدت العاشرة.

وهذه من المرات القليلة التي ركبت فيها

الدراجة النارية، ومما أذكره من ذلك ركوبي في (سرنقر) عاصمة كشمير، وفي مدينة (ببنشر) عاصمة ولاية أريسا في الهند، وكل ذلك لم يكن باختياري لأنني أقول لمن يطلب مني أن أركب الدراجة إنني أفضل أن أستأجر سيارة أجرة فأنا استطيع ذلك، وهنا لا توجد سيارات للأجرة سائرة في الشوارع، إنما تطلب من مكاتب سياحية قليلة لا نعرفها.

وجاء الفرج :

وجاء الفرج عندما وقفت بنا الدراجتان أمام جامع ضخم ثري المظهر ذي منارات أربع شامخة وعدة قباب تطيف به أفنية واسعة جميلة حتى يصح أن يكون معلماً مهيباً عديم النظير من معالم المدينة، وهو مطلي بطلاء أبيض قشيب يمثل الصفاء والنقاء، واسمه (جامع المسجد للمسلمين) هكذا تقول هذه العبارة غير الفصيحة لهذا المسجد العظيم. وكتبوا تاريخ بنائه بالعربية عام ١٣٥٢هـ، وتحته معنى ذلك بالإنكليزية.

عندما رأينا المسجد قلنا في أنفسنا: لقد جاء الفرج فلابد من أن نجد إماماً يعرف قدراً من العربية أو يعرف من يعرف ذلك. وكان الفرج على هيئة أخ مسلم مسن يلبس ثوباً تحته سروال يتدلى طرفاه حتى يكاد يصل إلى الكعبين وفوق رأسه عمامة صغيرة، وعلى صدره صدري «حجازي» فسلم وأحفى السلام، وهو في مظهره يشبه الجاويين إلا أنه ذكر أنه من تشامبا وإن كان قال: إن اللغة تختلف فإن كثيراً من الباحثين يؤكدون العلاقة بين أهل تشامبا وبين الجاويين وبادرناه بالسؤال عما إذا كان يعرف العربية؟ فأجاب: نعم.

وقد تبين انه يعرف العربية بالفعل ولكن كان عهده قد بعد بأهلها وأذناه قد استغربتا عن سماع ألفاظها، فكان لابد له من أن ينصت جيداً للكلام بالعربية ولو كان الصوت مرتفعاً، ويفضل أن يكلمه المتكلم منا بتؤدة وتمهل وألا يسرد الجمل متلاحقة. كما أنه يفضل الكلمات والجمل العربية القديمة أو بعبارة أصح يفضل أن يتجنب المصطلحات الحديثة في اللغة مثل كلمة (طبعاً) وكلمة (الظروف) بمعنى الأحوال.

وعرفنا ذلك من طبعه فكان مفيداً لنا جداً - جزاه الله خيراً - سألناه أين تعلم العربية؟ فأجاب: إنه درسها في فيتنام على الشيخ عمر علي مفتي المسلمين في فيتنام سابقاً، وأنه رحل إلى مكة المكرمة عام ١٣٦٩هـ وبقي فيها مدة قصيرة، وأنه هو إمام هذا المسجد الذي هو أكبر المساجد في هذه المدينة.

المساجد في هوشي منه:

جرى بحث معه بحضور الإخوة المسلمين الذين جاؤوا معنا وأخوة لنا آخرين وجدناهم في هذا المسجد حتى الآن، لأن اليوم هو الجمعة، فكانت نتيجته أن أكبر المساجد في (هوشي منه) هو هذا المسجد العظيم ويعرف عند الناس بالمسجد الهندي، لأن الذين بنوه هم إخواننا المسلمون من أهل الهند وكانوا تجاراً أغنياء في هذه المدينة ولكنهم رحلوا عنها وتركوها عندما استولت الشيوعية على البلاد، وذكروا انهم كانت لهم املاك من الأبنية (العمارات) والحوانيت والمحلات التجارية وغير ذلك من العقارات.

وذكروا أنه يوجد في مدينة (هوشي منه) ثلاثة عشر مسجداً، سبعة منها كبار وستة صغار. وذكروا أن عدد المسلمين يزيد لأن الفيتناميين من غير المسلمين يدخلون في الإسلام وإن كان ذلك على نطاق ضيق لقلة

امكانات المسلمين وضعف وضعهم الاجتماعي.

كما توجد مساجد خارج المدينة منها مسجد لأخوة مسلمين فيتناميين يقع في بلدة (تانغ بو) وتبعد حوالي ٤٠ كيلو متراً عن المدينة.

والتنويه بأن المسجد للفيتناميين أمر مهم لكون الأغلبية الساحقة من المسلمين هم من قبيلة تشامبا أو لنقل من منطقة تشامبا التي تقع في الحدود ما بين فيتنام وكمبوديا - وأما المسلمون من الفيتناميين الأصلاء فإن عددهم قليل. وذكر ان عدد المسلمين حسبما يظنون يبلغ ما بين ٤٠ ألفاً إلى ٥٠ ألفاً في فيتنام كلها منهم سبعة آلاف في مدينة (هوشي منه) وحدها من مجموع سكان المدينة البالغ أربعة ملايين ونصفاً من مجموع سكان دولة فيتنام الذي يعد ٦٨ مليونا من البشر.

وأكثر المسلمين يقطنون في منطقة الحدود ما بين كمبوديا وفيتنام، تلك المنطقة التي كانت فيها سلطنة إسلامية قوية عريقة قضى عليها الفيتناميون في القرن الخامس عشر الميلادي كما تقدم ذكره، وتبعد منطقة الحدود بحوالي ٢٥٠ كيلو متراً من هوشي منه هذه (سايقون سابقاً).

المطعم الاسلامي:

نوّهوا بالمرافق التابعة للمسجد التي تقع في محيطه ملحقة به مما جعله أشبه بالمركز الإسلامي. فذكروا منها المدرسة الإسلامية ومقر الجمعية الإسلامية المشرفة على المسجد، وبيت الإمام وغيره من العاملين في المسجد، والمطعم الحلال. وهنا قلنا لهم: ألا يوجد مطعم يقدم اللحم الحلال للمسلمين؟ فأجابوا بالنفي، وأكدوا أنه هو المطعم الوحيد للمسلمين في المدينة.

ومعرفة (المطعم الحلال) أمر مهم لنا لأن أهل هذه المدينة ليسوا من أهل الكتاب الذين يحل طعامهم وإنما هم من البوذيين. وجدنا المطعم في قسم خلفي من أبنية ملحقة بالمسجد يجمعها فناؤه إلا أن المسجد مرفوع يصعد إليه بدرج عال. والمطعم يشغل حجرات عدة وقسماً من الفناء مظللا بأشجار ضخمة وارفة الظلال حتى كأنه منها في سقف، ولذلك رأيناهم نثروا الموائد تحت الأشجار نثراً، إلى جانب الموائد الموجودة داخل الغرف، طلبنا الطعام والساعة تقارب الحادية عشرة والنصف لأن الصلاة في الواحدة، ونحن لم نأكل طعاماً في هذا الصباح.

فكان من طعامه الإربيان الذي هو (الروبيان) بلغتنا العامية والجمبري بلغة المصريين، ومعه السمك والأرز الأبيض الساذج الذي لم يخالطه مخالط من إدام أو ابزار أو غيرهما. كما جاؤوا بالكاري وهو مرق غليظ لا يكون كثيراً في الصحن، ولكن تكون معه بعض الخضروات القليلة، وأما الشراب فإنه الكوكا كولا والسفن أب وقد طلبناه لعدم ثقتنا بنظافة مائهم الذي يشربونه من الأنابيب.

وكان ثمن ذلك كله ٤٥ ألف دونغ، والدولار الواحد يساوي ١٣٥٠٠ دونغا فهو إذاً بحوالي ثلاثة دولارات وثلثاً، عرفنا أن حوالي نصف هذا المبلغ كان ثمناً للكوكاكولا والسفن أب لأنهما مستوردتان من خارج البلاد وثمنهما لذلك غال بخلاف بقية الطعام التي هي كلها من بلادهم فإن ثمنها رخيص جداً.

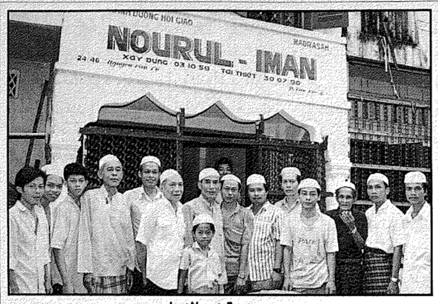
وأما الطعام فإنه لذيذ وقد طهي بطريقة مزجت فيها الطريقة الهندية بالطريقة الوطنية فقد كان خالياً من الدسم الكثير، وهذا من مميزات الطعام الفيتنامي إلا أنه كثير الفلفل

وهذا من مميزات الطعام الهندي، ولا شك في أن هذا الطعام لو كان في محل واضح على شارع تجاري عام، وكانت نظافة القائمين على المطعم وكذلك أثاثه على المستوى المطلوب لكان عليه إقبال عظيم.

ومع ذلك رأينا عدداً من الآكلين لا بأس به في هذه الساعة المبكرة، وفيما رأيناه من أمره بعد ذلك إذ كنا نتردد عليه لا يكلفنا الوصول إليه من فندقنا إلا أجرة ركشا تبلغ ربع دولار أمريكي، وفي نهاية الغداء هذا اليوم أردفنا الأخوان صاحبا الدراجتين إلى فندقنا فندق اركس.

جمعة فيتنام:

توجهنا من الفندق إلى (جامع المسجد للمسلمين) كما اسموه لأداء صلاة الجمعة فوصلناه قبيل الواحدة فوجدنا الشيخ محمد يوسف إمام المسجد واقفاً أمام المكبر يعظ الناس بلغة القوم وهي لغة تشامبا واللغة الفيتنامية. وهما لغتان مختلفتان فالأولى لغة المسلمين والثانية لغة سائر المواطنين، ثم أذن المؤذن فأخذ عصا غليظة مستقيمة طويلة جدا كان أعلاها يرتفع عن رأسه، وصلّى المؤذن على النبي {صلى الله عليه وسلم} من مكبر الصوت ثم أذن الأذان مثل أذاننا تماماً فنهض القوم لأداء السنة، نهض المؤذن ثانية فأذن الأذان الثاني، فصعد الإمام محمد يوسف المنبر ومعه العصا الغليظة، التي كان المؤذن قد أمسك بها وهو يؤذن وصعد على المنبر الذي هو من الرخام وليس له حافتان يستند الإمام



مدرسة نور الايمان

بيده، أو كلتيهما عليها.

لذلك أمسك العصا الغليظة الطويلة بصدره وأمسك كتاباً مجلداً بيديه كلتيهما، فخطب منه خطبتين عربيتين مسجوعتين لا أظن أن في المسجد من يفهمها غيري وغير رفيقي الشيخ علي عيسي.

وبعد الخطبة دخل في الصلاة دون أذكار قبلها وبعد الإقامة، فقرأ في الصلاة وأطال قراءة متقنة مجودة خاشعة، وبعد أن إنتهى من الصلاة دخل هو والجماعة في تسبيح وتهليل بصوت منخفض منفرد، وأدوا السنة أربع ركعات بعد الصلاة.

وبعد ذلك دعا دعاء مطولا باللغة العربية ثم بدأ القوم يصلون على النبي {صلى الله عليه وسلم} بصفة جماعية منغمة وبصوت عال ارتج له المسجد الذي كان قد امتلأ أو كاد بالمصلين، وقد قدرت عدد المصلين بـ ١٠٧ وذلك كله من غير تهيؤ سابق ولا إعلان عن قدومنا.

وهذا العدد هو من الرجال وأما النساء فقد حضرت منهن طائفة صلين في رواق

منفصل عن المسجد من جهة الجنوب ولكن من يكون فيه يرى الإمام أو من خلفه ففيه باب ونوافذ كبيرة مفتوحة، والنوافذ الواسعة في هذه البلاد الحارة الرطبة أمر له أهميته.

وألقيت فيهم بعد الصلاة كلمة بالعربية كان الشيخ محمد يوسف يترجمها لهم وكنت أتعمد أن أستعمل في كلامي الكلمات والجمل العربية القديمة التي يفهمها، وقد تضمنت الكلمة التعرف بالغرض من وصولنا إلى هذه البلاد وهو الاتصال بالإخوة المسلمين والإطلاع على حالة مساجدهم من أجل التعاون في المستقبل معهم على البر والتقوى. ومن ذلك التعاون على إصلاح ما يحتاج إلى إصلاح من مساجدهم وترميم ما يحتاج إلى ترميم منها، كما أن من أهم أهداف رابطة العالم الإسلامي التي نعمل فيها توفير المعرفة بأحوال المسلمين من أجل التواصل والتآلف اللذين لابد لهما من معرفة حقيقية بأحوال المسلمين، وإن المسلمين في هذه البلاد رغم البعد الجغرافي لهم مثل الأخوة المسلمين في داخل بلادنا السعودية وفي البلدان القريبة لأنهم سواء لدينا في المنزلة لا نميز أحداً منهم عن أحد إلا بمقدار ما يقدمه من عمل للدين الإسلامي الحنيف.

وقدمت لهم نصحي لما ينبغي أن يكون عليه المسلم من التخلق بالأخلاق الإسلامية الرفيعة التي بينت لهم طرفاً منها، ومن التميز على غيره من غير المسلمين بكونه يجب أن يكون خيراً للجميع، وإذا لم يستطع أن يقدم لغيره خيراً فإنه يجب عليه أن يكف أذاه عن الناس وأن يساعد ولو بلسانه على ذلك لأن الرسول {صلى الله عليه وسلم} يقول: المسلم مَنْ سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده.

ودعوت الله تعالى بأن يقدر الاجتماع بهم مرة ثانية في مكة المكرمة والمدينة المنورة حيث نلقاهم زواراً ومعتمرين هناك. فتأثروا من ذلك وكاد بعضهم يبكي وسألوني بعض الأسئلة المتعلقة بما ذكرته.

أوقاف المسجد الجامع:

كان بين الحاضرين خازن جمعية المسجد، وما أقل ما يخزنه الآن من مال في ظل هذا النظام الشيوعي الذي أفقر البلاد والعباد، فسألته عن المواد التي يحتاج إليها المسجد للحاجات المتكررة مثل الكهرباء والماء والصيانة فذكر والقوم يسمعون أن ذلك من تبرعات المسلمين القليلة التي نجمعها خاصة يوم الجمعة.

وقال: لقد كان المسجد لا يحتاج إلى ذلك لكثرة الأوقاف التي كانت موقوفة عليه وكان عددها (٥٤) بيتاً موقوفة على المسجد، وكرر إمام المسجد ذلك وأن عدد البيوت التي كانت موقوفة على المسجد كان (٥٤) بيتاً، وقالوا جميعاً: إنها خرجت من أيدينا الآن فقد أسكنت فيها الحكومة أناساً من غير المسلمين زعمت أنهم يحتاجونها للسكن.

قالوا: والشيء الذي نخشاه أن لا تعاد إلينا إذا ما حسنت حالة الاقتصاد بعد الانفتاح الاقتصادي الذي بدأت الحكومة به في الوقت الحاضر.

وكان مما قالوه يؤكدون به التغيير الذي طرأ على فكر الحكومة من ناحية الاقتصاد أن التجارة الداخلية الآن حرة من ناحية أن التاجر يستطيع أن يشتري ما يجده من السلع ويبيعها كما يشاء إذا لم تكن من السلع الأساسية التي حددت الدولة أسعارها للشعب:

الجزية :

وقال الشيخ محمد يوسف بعربيته القديمة:

الآن حرية في التجارة، لكن (الجزية) كبيرة، ولما استفسرت منه عن الجزية هذه تبين أنه يريد بها الضرائب التي تفرضها الحكومة على التجار فهي تترك لهم الحرية في التجارة ولكنها تتقاضى ضرائب عالية على دخولهم، غير أن الشيخ لم يعرف كلمة (ضريبة) لأنها من الكلمات العربية المستحدثة، التي لم تكن مستعملة قبل انقطاع الاتصال ما بين بلاده وبين البلدان العربية.

وقد ذكرتني هذه اللفظة (الجزية) بعض ما يشنع به اعداء الإسلام على النظام الإسلامي من فرضه الجزية على أهل الذمة زاعمين أن ذلك ظلم لا يليق. ونسوا أو تناسوا أن الحكومات الحالية تفرض ضرائب متنوعة على مواطنيها وعلى غيرهم كثيراً ما تفوق ما يفرضه الإسلام من جزية، لأن الجزية في الإسلام لا تكون إلا على المكتسب القادر على ذلك.

ولا نزال الآن نرى اليهود الذين يحتلون فلسطين يفرضون على سكانها العرب من مسلمين وغير مسلمين ضرائب احتلال وغيرها من أنواع الضرائب تفوق أضعاف ما يفرض من المسلمين على أهل الذمة، ولم نجد منكراً لفعل اليهود ذلك - لا من أهل المسيحية ولا من أهل العقائد المدنية الحرة. فكيف يختصون الجزية التي يفرضها الإسلام بالاستنكار مع أنها في مقابل الحماية وتوفير الأمن للمواطنين غير المسلمين في بلاد الإسلام، ولا يستنكرون الضرائب الباهظة التي يفرضها غير المسلمين على من يسيطرون عليهم من المسلمين؟

مدرسة نور الايمان:

تقع هذه المدرسة في بناء ملحق بالمسجد من بين عدة أبنية كما قدمت. وقد كتبوا تاريخ إنشائها في عام ١٩٦٨م، كما كتبوا عليها بالإنكليزية وفتحت هذه المدرسة العربية بيد المستر (فون فان بنغ) مساعد محافظ (سايقون) في ١٩٦٨/٦/٩م، وذكروا لنا أن عدد طلابها خمسون وأنهم يدرسون في مساء كل يوم إلا يوم الجمعة والأحد فإنهما يوما عطلة لهم. كما ذكروا أن لها معلمين وجدنا أحدهما أختاً مسلمة بل بنتاً مسلمة، اسمها رفيعة ذكروا أنها جاءت تدرّس في المدرسة نيابة عن والدها لأنه مريض. ويعلمون فيها مبادىء قراءة القرآن الكريم وما عبروا عنه (بفرض عين) الذي يريدون به أركان الإسلام وقواعده الرئيسية التي لا يعذر المسلم بجهلها.

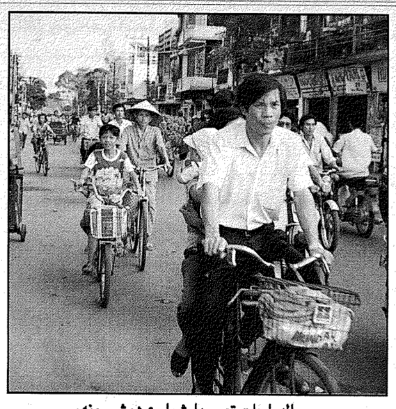
وفي المدرسة سبورتان لفصلين، على إحدى السبورتين بحروف عربية البسملة ودرس في لغة تشامبا التي تكتب بالحروف العربية، وكذلك على السبورة الأخرى كتابة بالحروف العربية ولكن بلغة تشامبا أيضاً.

ومقاعد المدرسة لا بأس بها، ولكنهم يشكون من قلة الإمكان لتطويرها، فسألتهم عن نفقات المدرسة من أين يحصلون عليها فأجابوا بترجمة من الشيخ محمد يوسف بأنه صندوق خيرات أي تبرعات.

مقر الجمعية الاسلامية:

وهي جمعية خاصة بتسيير أمور المسجد الجامع الكبير هذا والمدرسة، ويقع مقرها في الطابق الأرضي، جلسنا في قاعة واسعة منه، فيها خزائن مليئة بالكتب والمصاحف أكثرها من المصاحف المطبوعة في الهند ومنها مصحف كبير الحجم طبع في الهند، طبع حجر نادر، مما يعطي انطباعاً عن القائمين على هذه الجمعية وأنهم كلهم من أهل الهند.

وهكذا أخبرونا بحضور الأخوة المسلمين من أهل فيتنام، فذكروا أن القائمين على أمر المسجد في هذه الجمعية هم من أهل الهند الذين بقوا في فيتنام، بخلاف أكثر المسلمين الهنود فإنهم غادروها بعد أن استولى عليها الشيوعيون حتى إنه لم يبق من المسلمين الهنود الآن إلا عدد يقدر ما بين ٢٥٠ و٣٠٠ نسمة في مدينة هوشي منه (سايقون) كلها، فرئيس الجمعية وأمين الصندوق فيها كلهم من أهل الهند.



ـ الدراجات تعج بها شوارع هوشي منه.

وفي القاعة الواسعة التي هي مقر الجمعية صورة لعربي يقود بعيره متجها الى مسجد مرسوم في الصورة، وهذا أمر له معنى عظيم ينبغي أن نفهمه نحن العرب، فنساعد إخوتنا في الإسلام الذين يحرصون على إبراز تراثنا ومظاهر الدين الإسلامي الذي شرفنا الله تعالى بحمله على كل الأمم.

لا شك أن الدين الإسلامي دين أمة واعية عارفة بما يجب أن تعمله تجاه دينها وثقافتها الأصيلة أو هكذا ينبغي أن تكون الأمة الإسلامية حتى تسارع إلى نشره وتعميمه في الخافقين.

وبهذه المناسبة سألنا هؤلاء الأخوة عما إذا كانوا يذكرون أن أحداً وصل إليهم من البلدان العربية وتبرع لهم بمال؟ فأجابوا بأنهم قد رأوا بعض العرب وخاصة بعض بحارة السفن التي تأتي إلى بلادهم لنقل الأرز أو لغير ذلك، يأتون واحداً أو اثنين من أجل أن يؤدوا الصلاة، وبخاصة إذا كان ذلك يوم الجمعة، قالوا: وأما التبرعات فإنهم لا يذكرون شيئاً من ذلك.

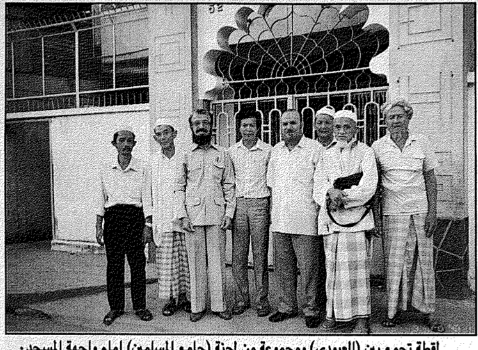
وليس بين جمعية المسجد أحد من العرب، وذلك أن العرب الذين كانوا موجودين في هذه البلاد قبل أن يستولي عليها الشيوعيون كانوا تجاراً فرحلوا وتركوها وأغلبهم من أهل اليمن فعاد بعضهم إلى اليمن وبعضهم ذهب إلى أماكن أخرى، ومن هؤلاء شخصان قابلتهم في (نيوكلدونيا) في جنوب المحيط الهادىء.

قالوا: ولم يبق الآن في مدينة (هوشي منه) إلا خمسة أو ستة من أبناء العرب المولودين في هذه البلاد. وطبيعي أن نقول: إنه لا توجد في (هوشي منه) سفارات لدول إسلامية، لأن السفارات كلها في العاصمة (هانوي).

الى جامع المسلمين:

قلنا: إن حالة المساجد في البلدان الشيوعية وبخاصة إذا كانت بلدان أقليات مسلمة هي مهمة جداً، لأنها تُوضح حالة المسلمين، وبيان قدرتهم على العمل لدينهم

الإســـلامي الحنيف داخل نظام ذلك البلد. ولذلك حـــرصنا على زيارة المساجد كلها في (هوشي منه) كما كنا نحـرص على ذلك في بلدان شيوعية أخرى، ولنـا فـي ذلـك هـدف آخـــر، وهـو تـقـديم مساعدات مالية رمزية عاجلة للإخوة المسلمين القــائمين على تلك المساجد، وان نعرف ما



ـ لقطة تجمع بين (العبودي) ومجموعة من لجنة (جامع المسلمين) امام واجهة المسجد.

تحتــاج إليـه في المستـقبل حـتى نقـدم لهـا مساعدات مالية مجزية في المستقبل على ضوء مشاهداتنا هذه إن شاء الله تعالى.

لذلك ذهبنا مع بعض الأخوة ومنهم الشيخ محمد يوسف إمام الجامع الكبير الذي ذكرته لأنه الشـخص الوحـيد الذي عـرفناه بمعـرفـة العربية على كبر سنه وعدم سرعته في التحدث بالعربية.

ركبنا سـيـارة لشخص من سـائر الناس يرتزق بهـا، وهي ليـست سـيـارة أجـرة لأن سيـارات الأجرة المعروفـة عندنا وفي الأقطار الأخرى غير الشيوعية ليست موجودة في هذه البـلاد إلا عند مكاتب سـيـاحـيـة حكومـيـة يؤجرونها بعقد يوقعونه مع المستـأجر كما سيأتي.

وســائق الـسـيـارة غـيـر مـسلم فـانطلق بسـيـارته في شـواع (هوشى منه) (سـايقـون سابقاً) الواسعة المليئة بالدراجات على اختلاف أنواعـهـا من (ركشـاوية) إلى دراجـات هوائيـة مـعتادة وهي الأقل، إلى الدراجات الأكثر وهي نارية تزمجر محركاتها وتختلط أصواتها حتى تؤلف صوتا أجش غير منسجم ولا متناسق، بل هو غاية من الإزعاج.

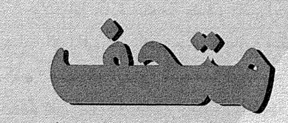
ولاحظت عادة متبعة عندهم كثيراً، وهي عـادة الإرداف على الدراجـات الناريـة فـتـرى كثيراً منهم قد أردفوا شخصاً أو اشخاصاً معهم على الدراجة بمعنى أركبوهم خلفهم، وفي حالات كثيرة يكون هؤلاء المردفون ـ بفتح الدال ـ أكثر من واحد وبخاصة من أفراد الأسرة الذين يركبون معاً على دراجة نارية واحدة.، وفي حـالات أخـرى عـديدة كنت أرى امـرأتين تركبان الدراجة إحداهما خلف الأخرى.

ومن الملاحظ في شـوارع (هوشي منه) ان أشجار الشارع تكون بالغة الارتفاع، وهذا بلا شك يدل على أن العناية بتشجير هذه الشوارع قديمة، لأنها لابد أن تكون قد غرست منذ عهد بعيد.

«للرحلة بقية»

متحف البرادو المحطة السياحية الأولى في مدريد

د. غازي حاتم - سوريا -



- مدخل فيلازكيز.



كانت الساعة الثامنة والنصف صباحاً، ونحن في فصل الربيع، عندما وصلت سيارتنا في أستراد البرادو - مدريد - الذي تنتشر على جانبيه وما بين الاتجاهين الأشجار الكبيرة والأخاذة تقدمنا الى الأمام فاذا بطابور من المولعين بالفن العائد لفترة ما بين القرنين الثاني عشر والثامن عشر، ينتظرون بفارغ الصبر حتى تشير عقارب الساعة التي تمشي ببطء كبير على التاسعة ويسمح لهم بالدخول ومشاهدة الروائع المعلقة في متحف البرادو الشهير والتي رسمت من قبل روّاد الفن الاسباني أمثال فيلازكيز وغويا وموريو وغيرهم.

موقع المتحف:

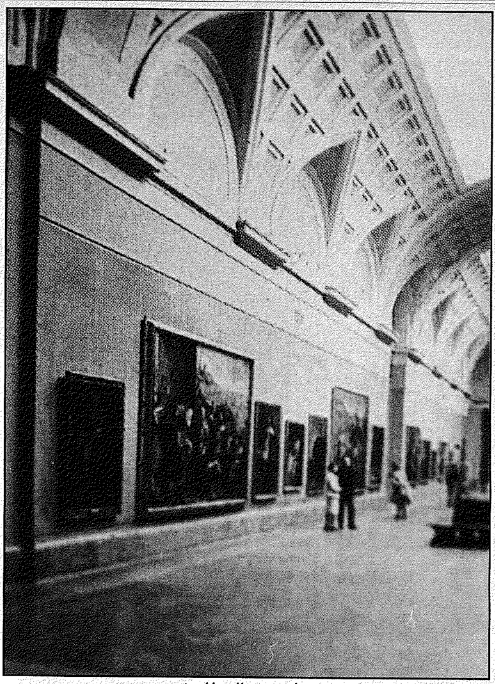
بني متحف البرادو في احدى المناطق السكنية المركزية الأكثر روعة في مدريد حيث تختلط الطبيعة

ـ متحف البرادو



ـ لوحة عاملات النسيج للفنان فيلازكيز.

مع الفن المعماري، تسمى هذه المنطقة، باسيو ديل البرادو، وتقع بين ثلاثة مناطق مشهورة في مدريد هي: الريتيرو وريكوليتوس وأتوتشا. في هذه الأخيرة يوجد المتحف الوطني أو متحف الملكة صوفيا - ملكة اسبانيا الحالية - الذي يحتوي على لوحات هامة من ابداع فناني القرن الحالي أمثال بيكاسو وميرو، الخ ...



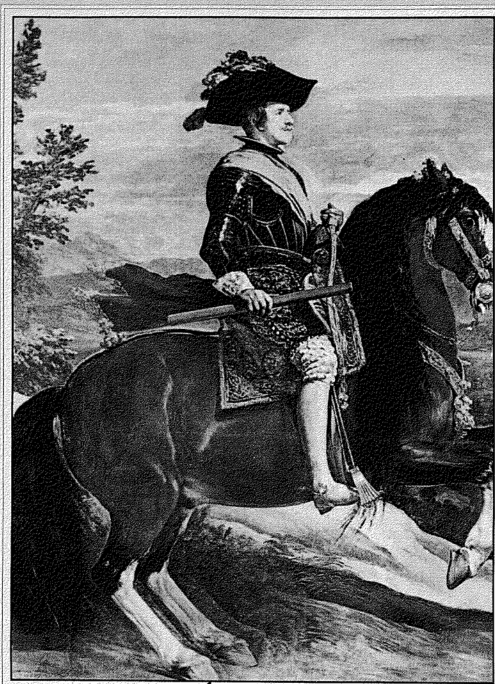
- إحدى صالات المتحف.

بوابات المتحف:

يعتبر بناء المتحف من النمط الكلاسيكي الحديث ويتألف من طبقتين وفيه ثلاثة أجنحة ذات أحجام كبيرة موصولة ببعضها بممرات طويلة، لكل جناح مدخل خارجي سمي باسم أحد الرسامين الثلاثة الأكثر شهرة في اسبانيا : بوابة فيلازكيز أو البوابة الرئيسة للمتحف وتقع في الجهة الغربية من المتحف. أما البوابة الشمالية فلها مدخلان في الطابقين العلوي والسفلي وتحمل اسم الرسام غويا وتوجد ساحة صغيرة قريبة من هذه البوابة، أما البوابة الجنوبية فتقع قرب حديقة النبات وتسمى بوابة موريو وتوجد أيضاً ساحة جميلة واقعة بالقرب من هذه البوابة.

تسمية المتحف:

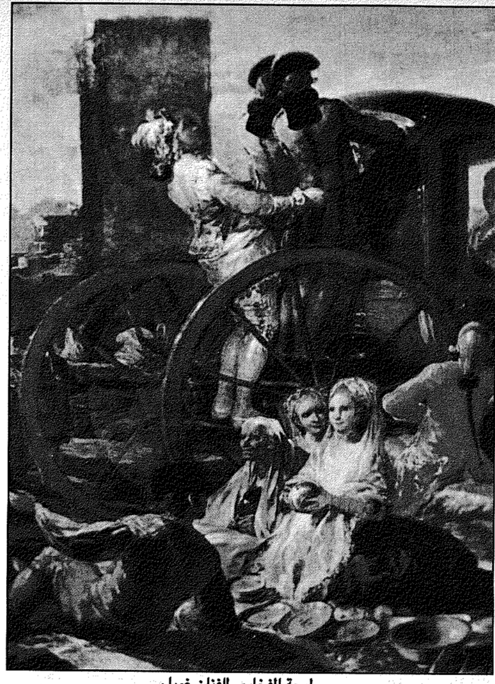
تمت البداية في انشاء متحف البرادو من قبل المهندس المعماري الكلاسيكي الحديث/ خوان دي فيلا نيوفا/ في عام ١٧٨٥م وكان المشروع محضراً لانجاز متحف العلوم الطبيعية، حيث كان يشكل جزء من المخطط الحضاري الأكثر اكتمالا والذي كان قد وضع فكرته الملك كارلوس الثالث في منطقة من مدريد كانت مسماة «البرادو دي خيرونيموس» ومن هنا أتى اسم متحف البرادو، كذلك اسم المشى الذي أمامه «باسيو ديل البرادو».



ـ فيلبي الرابع ممتطياً جواده.

نافورات المتحف:

وقد أراد الملك كارلوس الثالث تحديث المنطقة التي يتواجد فيها متحف البرادو فكلف المهندس ـ فيلانويفا ـ بأن يقوم بانجاز نافورات وأبنية أثرية وكانت الفكرة بأن يشمل كل بناء، حقلا للمعرفة العلمية ومرصداً فلكياً في أعلى منطقة الريتيرو وحديقة نباتات قرب المتحف ومقراً لمركز التاريخ الطبيعي الذي سمي لاحقا باسم متحف الرسم وقد وضعت هذه النافورات أمام الواجهة الرئيسة.



- لوحة الفخاري للفنان غويا.

تدشين المتحف:

أما اقتراح انشاء المتحف فهو عائد للملكة ايزابيل دي براغانزا، الزوجة الثانية للملك فيرناندو السابع. وقد أنجز المتحف نحتاً للملكة موجود في بوابة غويا. أما تدشين البرادو كمتحف فقد تم في عام ١٨١٩م من قبل فرناندو السابع باسم المتحف الملكي، وذلك لأن الرسومات التي كانت موجودة، كانت تشكل جزء من مجموعة ملكية.

جولة في المتحف:

إن جولة في قاعات المتحف الكبيرة المزدانة بعدد كبير من اللوحات التي تعتبر من أجمل روائع الفن العالمي، لا يمكن أن تنتهي بعدة ساعات واذا كان الزائر يريد الاطلاع على كل اللوحات فمن الضروري أن يرافقه أحد المرشدين الذين درسوا اللوحات بشكل جيد ولديهم تفاصيلهم الكاملة، وإنه لمن الصعب إعطاء لمحة موجزة عن غالبية اللوحات التي تزيد عن ألفي لوحة، ولكن خير ما نبدأ عنه بالحديث، هي اللوحات الرائعة لديغو فيلازكيز، أستاذ الأساتذة والواقعي المبدع ورسام البلاط - ابن مدينة اشبيليا الأندلسية ١٥٩٩م حيث تعتبر لوحاته هي

الأكثر عدداً والأفضل في المتحف، من لوحاته الهامة هي: لا رنديسيون دي بريدا، لاس منيناس، فيلبي الرابع، الخ ... وأفضلها/ لاس هيلانديراس/ أو عاملات النسيج التي تعتبر من ذروة أعماله الفنية.

أما لوحات الفنان الشهير أيضاً، غويا - مواليد سرغسطة ١٧٤٦ - فمنها الزيتي ومنها المرسومة وتُظهر تخيلاته العجيبة وموهبته الفنية البارزة، من لوحاته المعروفة: لوس ديساسترس، لوس كابريتشوس، عائلة كارلوس الرابع، ماريا لويسا، لا تيرانا وأهمها «الكاتشريرو» أو الفخاري علما بأن هذا الفنان قد فرض نفسه كرسام عبقري منذ دخل في مصانع السجاد الملكية، ورسم لها، وكان أيضا رسام بلاط الملك كارلوس الرابع.

أما لوحات الفنان موريّو - مواليد اشبيلية ١٦١٧م - فتتميز بالانسانية والرقة وتُركز على المواضيع العائلية والدينية أهمها: العائلة المقدسة وكونسيبسيون، الخ..

ان من يزور متحف البرادو ويتاح له أن يتمتع بلوحاته الرائعة التي أنجزها نخبة من الرسامين الاسبان المشهورين من خلال القاء النظرات بأم عينيه، دون الحاجة الى شروح وتفاصيل، يجعله يتحمس أكثر لرؤية رسوم وفنون رسامين آخرين اسبان أمثال الغريكو، زيرباران.. وأجانب أمثال تيزيانو وروبنس، الخ..

الانطباع عن الزيارة:

وفي ختام الزيارة، غادرنا المتحف ونحن نحمل ذكريات طيبة ومشاعر ودٍّ تجاه العاملين والمرشدين علي هذا المتحف الكبير والكثير القاعات والذين كانو كرماء معنا بما قدموه لنا من معلومات تاريخية وفنية وصحبونا طوال ساعتين من التجوال هذا بالاضافة الى حسن اختيار التعليمات اللازمة للمحافظة على هذا الارث الفني الكبير والنظام والهدوء. أما فيما يتعلق بالانطباع عن الفنانين وعظمتهم وما ينسكب على ريشهم من وحي ليعبروا عنه بألوان بديعة وجذابة، فكان كبيراً لما أثروا فينا من تفتح للمعارف وتعلم الاصرار على العمل الجاد والتخيل العميق والملاحظة الدقيقة ليس فقط في المجال الفني وانما في كافة المجالات، العلمية والأدبية والاجتماعية.

إن ما يراه الزائر لهذا المتحف الكبير، الكثير القاعات، حيث لكل فنان قاعة أو أكثر تعرض فيها روائعه الفنية الساحرة والغالية الثمن، تغطي الجدار أحياناً تجعله حائرا أمام عظمة هؤلاء الفنانين النوابغ وتحثه على تكرار هذه الزيارة والكشف عن مضمون اللوحات التي لم يتح له الوقت للغوص فيها وتبيان مغذاها. وهذا وبالتالي يجعل من المتحف موضع جذب واهتمام السائح وكونه المحطة السياحية الأهم والأمتع في مدريد.

** ليس في تاريخ الحضارات الإنسانية كلها، أن الحضارات تتميز بصدام دائم. وليس في تاريخ الحضارات كلها، أن الحضارات كان يحكمها حوار فقط، ولكن من الثابت أن الإسلام قدَّم الحوار على الصدام، ومن الثابت أن الغرب المسيحى قدم الصدام على الحوار.

فالرسول [صلى الله عليه وسلم] حينما بدأ ينشر دعوته عالميًا.. بدأ بدبلوماسية الرسائل التي كانت تمثل قمة الحوار. وفي المقابل فإن الغرب حينما بدأ يدعو إلى إحلال الحضارة الغربية بدأ بسلسلة حروب صليبية مدمرة مازالت تتواصل على عالمنا العربي والإسلامي حتى يومنا هذا.

ولذلك حينما يعود الإسلام من جديد، يعود بنفس الرؤية وعلى ذات المباديء ويطرح الحوار أولا، مقابل ورقة الصدام التى يلعب بها الغرب ضد الإسلام ومسلميه في كل مكان من العالم.

قراءة جديدة.. لنظرية
صدام الحضارات

يرتكز التحليل الحضارى في فهمه لهذه العلاقة على كونها تفاعلا ما بين دائرتين حضاريتين متميزتين لكل منهما خصوصيتها التاريخية التى تشكل قسماتها الرئيسة وعناصر استمرارها.

وفى ظل هذا التفاعل استطاع الغرب عبر صعوده إلى مواقع الهيمنة وخصوصاً بدءاً من القرن الخامس عشر الميلادى أن يراكم في استخدام منهاجية «فائض القيمة التاريخي» وهي المنهاجية التي شملت كافة الموارد الطبيعية، والتى أتاحت للغرب فرض السيطرة على علاقاته

بالدوائر الحضارية الأخرى، ومنها الدائرة العربية الإسلامية.

ولم يكن ذلك الصعود وتحقيق التراكم - فى منطق الغرب - متحققا بغير قيام الغرب بموجات متلاحقة من الغزو والاحتلال والتدمير للدوائر الحضارية والمناطق الثقافية الأخرى ومن أهمها الدائرة العربية الإسلامية.

وحديثاً، امتلأت أرفف المكتبات في الغرب - وبالذات في أمريكا - بالكتب والدراسات التى تتناول دراسة المتغيرات السريعة التى تجتاح نهاية القرن العشرين، ليبنون عليها توقعاتهم للقرن الواحد والعشرين.

ولقد نشرت مجلة النيوزويك الأمريكية خبراً عن صدور أهم أربع دراسات تتناول أهم القضايا التى بدأت تعاني منها المجتمعات الإنسانية منذ سقوط الاتحاد السوفيتى في عام ١٩٩٠م.

الدراسة الأولى: تتمثل في كتاب بول كندى الذى صدر بعنوان «الاستعداد للقرن الحادى والعشرين» Preparing for the Twenty - First Century والكتاب يلمح إلى مظاهر من التفاؤل تارة، ومظاهر من التشاؤم سوف يعاني منها القرن القادم، ولكنه يرى أن العنف الذى تشهده مرحلة أواخر القرن العشرين ما هو إلا تصفيات نهائية لأدران هذا القرن، وأن القرن الواحد والعشرين مقبل على حياة أفضل وسلام أشمل، ولذلك يستبعد بول كندى أي صدام بين المجتمعات.

وبول كندى هو صاحب الكتاب المشهور «سقوط وصعود الدول العظمى» الذى لقى صدى واسعاً فى جميع الأوساط السياسية والفكرية في العالم. وكتابه هذا «الإعداد للقرن الحادى والعشرين» وجد هو الآخر احتفاءاً كبيرا فى أوساط الأندية الثقافية والسياسية فى العواصم العالمية الكبرى.

والكتاب الثانى: هو كتاب «نهاية القرن العشرين ونهاية العصر الحديث» The End of the Twentineth Century and The End of The modern Age لمؤلفه جون لوكاكس الذى يجنح في كتابه إلى التشاؤم ويثير الكثير من القضايا التى بدأت تطفو على سطح الكرة الأرضية، ومن أهمها قضايا الفقر والتصحر وتلوث البيئة التى ضربت دولا متعددة من العالم الثالث. ويقول لوكاكس أن الصدام لن يندلع بين الحضارات، ولكن سوف ينقسم العالم الى عالمين، عالم الفقراء وعالم الأغنياء. ثم يتوقع أن عالم الفقراء سوف يزحف إلى عالم الأغنياء في موجات غازية باحثة عن الطعام والسكن.

أما الكتاب الثالث: الذى مازالت

بقلم : **د. أمين ساعاتي**
خبير في العلاقات الدولية
جامعة الدول العربية - جده -

المنتديات الثقافية في الغرب تتناوله بالبحث والدراسة والتحليل فهو كتاب أوين بايبكى الذى صدر تحت عنوان تطورات التقدم The Evolution of Progress.

ويذهب هذا الكتاب اتجاها عكسياً لما ذهب إليه كتاب نهاية القرن العشرين ونهاية العصر الحديث، إذ أنه يقدر بأن التطور التكنولوجي المتقدم الذى شهده العالم في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، كفيل بعلاج الكثير من المشاكل التى يعاني منها الجنس البشرى، وأن العالم في القرن الواحد والعشرين سوف ينعم بالسلم والأمن وأن رحى الحروب والصدامات الضارية سوف تتوارى وسوف يحل محلها سلام عادل ودائم وشامل.

ولكن رغم الأصداء الواسعة التى احدثتها هذه الدراسات الثلاث فى أوساط المثقفين الغربيين .. إلا أن الدراسة التي لفتت نظر مراكز البحوث في العالم كله هذه الدراسة التى نشرها صامويل هنتنغتون Samuel P. Huntington رئيس مؤسسة جون أولين للدراسات الإستراتيجية بجامعة هارفارد فى مجلة الشئون الخارجية For-eign Affairs بعنوان صدام الحضارات The Clash of Civilizations وحذر الغرب فيها من أن الإسلام ـ فى مرحلة النظام الدولى الجديد ـ سوف يقود صداماً حضارياً عميقاً ضد الحضارة الغربية. ونبه الغرب إلى ضرورة التحسب للإسلام الصاحى الواعد القادم.

يقول هنتنغتون بأن ظاهرة الصراع والحرب فى الماضي كانت تقوم بين دول مستقلة، أما الصراعات والحروب المستقبلية فإنها ستكون بين حضارات مختلفة، وعلى حدود فاصلة ملتهبة بين تلك الحضارات. ويذكر كذلك أن الحروب فى الماضى كانت تقوم على أساس أيديولوجى أو اقتصادى، بينما الحروب والصراعات المستقبلية ستقوم على أساس ثقافى وحضارى.

ويقول كذلك بأن حروب الماضى كانت حروباً «أهلية غربية» أى بين دول غربية، أما الحروب المستقبلية فستكون حروبا بين دول تنتمى إلى حضارات مختلفة وثقافات متباينة، كما يقول هنتنغتون، إن الحضارة الناشئة في نظرتها الذاتية إلى الإنسان تتابع مسارها فى خط تصاعدي مستفيدة من كل عامل يدفعها إلى زيادة النمو والاندفاع نحو تحقيق ذاتيتها. وقد تتداخل في مسارها عناصر مستفادة من حضارة مجاورة تنتقل إليها بأشكال مختلفة، إلا أنها تأتى استجابة لحاجات تشعر بها الأمة في مرحلة معينة من تاريخها، لذا، فالحضارات كلها تكون خاضعة لمبدأ «التفاعل» الذى يبدو من خلال التاريخ الإنسانى العام حتمية قائمة يستحيل معها عزل أية حضارة عن جوارها. ويعزز هنتنغتون مقولته هذه بقوله: وما حاولت حضارة ما الانغلاق والتقوقع على ذاتها والهروب من تأثير سواها، إلا حكمت على نفسها بالموت البطيء ولئن خيل للبعض أن المحافظة على الخصوصية الذاتية تستوجب الشرنقة، فإن هذا الظن

مردود من وجوه عدة: فالذاتية تبقى مصانة عند كل أمة حين تمتلك القدرة على استيعاب ما عند الآخرين من مكتسبات حضارية من أجل تحويلها إلى ذاتيتها. ثم إن الانغلاق إذا كان مقبولا فى فترة التكوين، فإنه فى الفترات اللاحقة، يصبح دليل ضعف الثقة بالذات وبالقدرة على النمو والاستمرار.

ويمضي هنتنغتون في مقاله إلى تحديد الإطار الجغرافي لكل حضارة وقلبها وتخومها. ويرى أن هناك احتكاكا عنيفاً يحدث الآن وسيزداد فى المستقبل على طول تلك الحدود، مما يجعلها أشبه بحزام زلازل ينفجر كل فترة على شكل حروب أهلية، أو حروب بين حضارات.

ويرى بأن هناك خطا فاصلا بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية، وتمثل منطقة البوسنة بؤرة صراع حدودى بين ثلاث حضارات فى رأيه هي الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية الغربية، والحضارة الأرثوذكسية.

وهكذا يرى هنتنغتون أن معظم هذه الخطوط هى خطوط فاصلة غير مستقرة. وحين يتحدث عن حدود بلاد الإسلام يذكر أن «بلاد الإسلام لها حدود دموية».

ويمضى هنتنغتون إلى القول بأن الغرب قد أصبح الآن بعد انهيار الاتحاد السوفيتى هو القوة الوحيدة في العالم، ولذلك فإنه يستخدم مجلس الأمن والأمم المتحدة كغطاء قانونى لممارسة نفوذه وهيمنته على العالم، ويذكر هنتغتون أن هناك هيمنة اقتصادية على العالم تمارسها الولايات المتحدة بالتحالف مع ألمانيا واليابان، وهيمنة سياسية تمارسها بالمشاركة مع بريطانيا وفرنسا.

ويذكر أن هناك بعض البلدان التى تعيش حالة انفصام سياسى وحضارى. فجزء من شعبها يميل إلى حضارة معينة، والجزء الآخر يميل إلى الحضارة الغربية، وكذلك الحال مع مثقفيها.

ويضرب كمثال على ذلك المكسيك التى تعيش حالة انفصام حضارى بين الحضارة اللاتينية الأسبانية والحضارة الأمريكية، وكذلك تركيا التى تعيش وضعاً مشابها منذ العشرينيات بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الغربية. كما يضرب مثلا أيضاً بروسيا التى تعاني الآن من حالة انفصام مماثل بين جزء من شعبها ومثقفيها ممن يطالبون بتبنى قيم حضارية وثقافية روسية، مثل فلاديمير جيرونفسكى وآخرين مثل بوريس يلتسين ممن يريد أن يتبنى الحضارة الأوروبية الغربية.

وواضح من اقوال هنتنغتون أن أطروحته أكثر تعقيداً من أطروحة فوكوياما، التى أخذ عليها ناقدوها أنها نوع من الأيديولوجيا التبسيطية، ومع ذلك تنطوى أطروحة هنتنغتون كذلك على قدر من التبسيط بسبب غلبة النزعة الثقافية عليها، والاستغراق في التحليل الثقافى إلى الحد الذي يختزل تفاعلات دولية شديدة التعقيد في صورة أحادية الجانب، وعلى نحو يتجاهل الجوانب الإستراتيجية في هذه التفاعلات، وتعاني الأطروحة أيضاً من كل

ما يعيب الأعمال التى تسعى لتأكيد افتراض معين، وليس لاختباره، فيميل صاحبها إلى حشد كل ما يعينه على ذلك من حجج وشواهد، مع استبعاد ما يتعارض مع مسعاه ضمن سياق يتسم بالانتقائية.

ولكن نحن كمفكرين مسلمين نرى أن القرآن الكريم عالج مسألة التعددية الحضارية باعتبارها ظاهرة تاريخية قائمة بروح إيجابية لا تصادمية، تشجع على الانفتاح على الحضارات الأخرى والتحاور معها، بصورة بناءة تستهدف الوصول بالبناء الحضارى الإنساني إلى ذروة تكامله واتساقه من أجل توظيف كل قدراته الفعلية والممكنة في تحقيق المصلحة الإنسانية العليا.

ولم يقر القرآن الكريم مبدأ التعددية الحضارية، حينما كان الجانب المسلم ضعيفاً فى مكة المكرمة وإنما أقره والإسلام هو القوة السياسية والعسكرية الضاربة، يقول الله تعالى: {لكل جعلنا منكم شرْعَة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة، ولكن ليبلوكم فيما أتاكم، فاستبقوا الخيرات}.

وكان هذا الموقف تكريساً لطبيعة الرسالة الإسلامية من حيث كونها رسالة إنسانية عالمية، إنسانية بمعنى كونها تحقق الإنسجام والاستجابة لطبيعة الإنسان وفعله الحضارى على مر التاريخ وعالمية من حيث كونها رسالة تتجاوز الفواصل العرقية والجغرافية وصولا إلى تجسيد الخطاب الحضارى الذى يستهدف الإنسان على المستوى العالمى وبذلك يؤسس القرآن وعيا علميا للحضارة في كونها إنجازاً إنسانيا يبتغى دفع البشرية نحو العطاء والبناء وعمار الأرض.

وهذا هو الذي يفسر الموقف الذى اختاره القرآن للمجتمع الإسلامى ذلك الموقف الذى يتمشى مع سنن التاريخ، ولكن القرآن الكريم لم يترك الحوار عرضة للتصادم، بل وضع الضوابط للحوار الحضارى ذلك الذى نجد قانونه العام في قوله: {**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق * مصدقاً لما بين يديه من الكتب * ومهيمناً عليه * فاحكم بينهم بما أنزل الله * ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق**}.

إن الهيمنة الحضارية لا تعنى الانتقائية، إنما تعنى هضم وتمثيل المنتوج الحضارى القادم من بيئة حضارية أخرى، ما دام لا يخالف مرجعية القرآن الحضارية العليا. وهذا ما فهمه المسلمون الأوائل ، وعملوا به حينما خرجوا من الجزيرة العربية ليتحاوروا مع حضارات أخرى، واستطاعوا، من دون عقد أن ينفتحوا على حضارات المجتمعات الأخرى، ويدخلوا منتجاتها فى مشروعهم الحضارى القرآنى، ويستفيدوا منها فى بناء صرحهم الحضارى الإسلامى مع الحفاظ على خصوصيتهم وتميزهم.

ولذلك فإن ما يجب أن نشير إليه أن عناصر الحضارات ليست كلها متناقضة، بل هناك الكثير من القواسم الحضارية الإيجابية المشتركة التى تشكل عاملا مشتركا بين مختلف الحضارات. والتحليل

الموضوعى البناء هو الذى يميل إلى التركيز على هذه العوامل المشتركة للوصول إلى نتائج تقودنا إلى الحوار البناء الذى لابد منه فى هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ الحضارات العربية والإسلامية والحضارة الغربية، وهذه القواسم الحضارية الإيجابية هي التى تشكل السلاح الذي يجب أن يستثمر للحيلولة دون بلوغ الحضارات درجة التصادم.

وفي اعتقادي أن الرؤية الإسلامية لهذه القضية يمكن أن نستشرفها فى أن الإسلام ينظر إلى البشر أجمعين باعتبارهم وحدة واحدة متساوية في الخلق لله الخالق الواحد، وباعتبارهم، في ذات الوقت متعددين فى الروابط والجامعات.

وهذه الوحدة في الخلق مع التعددية في الروابط هما موطن الإثارة في الآية الكريمة: {يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير} فالاشتراك والوحدة في الخلق، وفي الإنسانية، يزامله التعدد والتمايز إلى شعوب وقبائل وأقوام.. بل إنَّ القرآن الكريم يتحدث عن هذه التعددية باعتبارها آية من آيات الله سبحانه، وسنة من سننه فى خلقه، فيقول: {ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين}.

ويؤكد الإسلام - من ناحية أخرى - على وحدة البشرية في دين الله الواحد أزلا وأبداً.. مع تعدد الشرائع بتعدد أمم الرسالات الدينية أزلا وأبداً. والله سبحانه وتعالى، يتحدث إلى رسوله فيقول له: {قل آمنا بالله وما أُنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون}.

ومع هذه الوحدة فى الدين كانت التعددية فى الشرائع لدى أمم الرسالات .. فاليهود {عندهم التوراة فيها حكم الله} {يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا} وكذلك حال النصارى مع الإنجيل {وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه} ثم كانت الشريعة الخاتمة {وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه، فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق} ثم تمضي الآية لتقرر أزلية وأبدية هذه السنة الإلهية في تعدد الشرائع بتعدد أمم الرسالات، فتقول: {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون}.

وكذلك الحال فى ميدان الحضارات، فعلى مر التاريخ عرفت البشرية التعددية فى الحضارات مع الالتقاء والتبادل والتفاعل فيما هو مشترك إنساني عام بين هذه الحضارات. فمع الخصوصيات الحضارية التى تتميز بها كل حضارة عن غيرها، هناك ما هو مشترك إنساني عام بينها جميعاً، وخاصة في الثقافات Cultures التى تشترك

في ثبات الموضوع ووحدة المناهج والحقائق والسنن.

فكما أن التعددية في الأمم هى سنة من سنن الله فى الخلق، كذلك التعددية في الحضارات لأن هذا التمايز الحضارى هو واحد من أهم أسباب هذه التعددية بين الأمم.. وكما أن «التعارف» الذى أمرنا الله به ليكون طابع العلاقات بين الأمم والشعوب - يقتضي العدول عن القطيعة، ورفض «الصراع» فكذلك «الاختلاف» الذى جعله الله سنة ومظهراً للتعددية، يقتضى رفض «التبعية» أو «الهيمنة» بزعم وحدة الحضارة للبشر أجمعين {لو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم}.

ولذلك فإن الإسلام يرفض أن يكون «الصدام والصراع» هو طابع العلاقة مع الغير لأن أساس العلاقة هو ما بني على التعددية التى تقتضي الإيمان بحق الغير في الوجود المتميز، ولهذه الحكمة كان «التوازن» بين الفرقاء المتميزين هو مذهب الإسلام فى العلاقة بين الطبقات والجماعات داخل الأمة الواحدة، وبين الأمة وغيرها من الأمم الأخرى.

إذا سلمنا بهذا الطرح الإسلامي الواعي، فلماذا ترهن الحضارة الغربية تعاملها مع الحضارة الإسلامية عبر سلسلة من الصدامات؟!

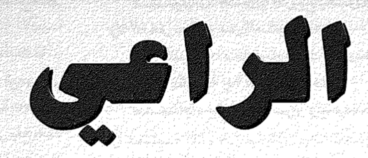
لقد شد انتباهي في كثير مما قرأت أن الغرب ينظر إلى المسلمين على أنهم منتصرون يخرجون من بين الأنقاض ولاعبون متجددون في الساحة الغربية.

إن الحضارة الغربية تبنت - للأسف - واعتمدت فلسفة «الصراع» فرأته فى قانون العلاقة فى الأحياء أو صراع البقاء في الدارونية وفي الاجتماع من خلال الصراع الطبقي، وفي الماركسية، الذى يتمثل في المسخ والنسخ والتشويه لمواريث الأمم وأديانها ومعتقداتها.

وهكذا طالما أن الغرب اختار الصدام كخيار إستراتيجى، وأن الوطن العربي باعتباره موطنا للحضارات والرسالات السماوية.. سيظل عرضة للتفجير حالما يتعرض أى جزء من أجزائه لاحتكاك الحضارات.

ولعل أهم أسباب هذا الثمن الباهظ الذى يدفعه الوطن العربي هو أنه كان حاضن الحضارات القديمة وشاهد مولد الأديان السماوية الرئيسة الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام. ولو نظرنا إلى خريطة الصراعات السياسية والطائفية والاثنية والثقافية من حولنا، لوجدنا أننا محاطون بالفعل بمحاور عدة لهذه الصراعات تتقاطع وتتداخل بالطول والعرض في الوطن العربي.

ويأتى الصراع العربي والغربى الإسرائيلى - بالطبع - في مقدمة ما هو ماثل أمامنا من صراع حضارى ثقافى دينى، ويظل هذا الصراع قائما حتى إذا تصورنا بأن العرب وإسرائيل سيصلان إلى اتفاق سلام شامل.





شعر:
محمد بن أحمد العقيلي
- جازان -

و«حوّاسُ»[*] من فتيان الحمى
قوامٌ رشيق ووجه أغر
تأطر كالغصن بين الرياض
يهزهزه الريحُ تحت المطر
يطير نشاطاً ويهوي انقضاضاً
كصقر علا الجو ثم انحدر
ويستن زهو استنان الجواد
شواظاً تطاير منه الشرر
خميص الحشا لم تطل تخمة معاه
ولا طاله شبع بالضرر
وحمامه من شعاع الشموس
ولفح الهواء وصبيب المطر
غذاه الحليب الصريح النقي
وماء قراح، وصيد عقر
حبته الطبيعة زهو الشباب
ووهج الصبا وجمال البشر
وعينان فيهن ومض الذكاء
يَشعُ سَنى، ما نجوم السحر
إذا صاولته ضواري الوحوش
يكن الضباع ويكون الهزبر
إذا بلغ الرعب بالراعيات
مقاما يقصر عنه الخطر
نظرن إليه مع منْ يحب
فاشحذن من عزمه ما فتر
فأقدم ليثاً سريع الوثوب
فجندل هذا وهذا عقر
فزغردن في نشوة وازدهت
حبيبته ازدهاء الظفر.

---

[*] اسم الراعي وهو اسم متفش في حزون المنطقة.

رجال في الذاكرة ٣١

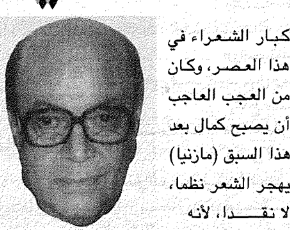
الأستاذ كمال النجمي

بدأ الأستاذ كمال النجمي حياته الأدبية شاعرا مبكرا، حيث نشر بالصحف أوليات شعره في سن الرابعة عشرة، ومازال يقرض الشعر حتى بلغ عهد الشباب، ثم انقطع فجأة عن النظم، مع أنه نال الجائزة الأولى في مسابقة الشعر بمجمع اللغة العربية عن استحقاق جدير، ومن يبلغ هذا المبلغ الفني الرائع، ثم يصمت فجأة لابد أن يترك أكثر من سؤال.

لقد كنتُ أقرأ للأستاذ أحمد حسن الزيات رحمه الله الدواوين الشعرية التى تقدمت لنيل الجائزة، إذ كانت عينه حينئذ تشكو الرمد، وكان شعر الأستاذ كمال يسبق سواه سبقا جليا، فآثره على غيره، ثم مضى إلى رفيقيه اللذين كانا يشاركانه الحكم، فلم يختلف الأمر بل كان الاتفاق مجمعا عليه، لأن سبق الشاعر كان من الوضوح بحيث لا يزاحم، ومن قصائده الرائعة بالديوان قصيدة (يقظة النيل) وقد ابتدأها شاكيا عهد الغفوة قبل الصحوة فقال:

دهى النيل ليل فاستطال هجوده
وأورت جنبيه كلالا رقوده
بساتينه باتت نواعس حوله
وأغفت بها أطياره ووروده
فلا صادحات الأيك فيه صوادح
ولا الورد لذُّ النفح ريان عوده
ولا النبت مطراف على الأرض يانع
قشيب ولا صوب الربيع يجوده
ولا النخل مزهو من العجب ناهض
على النيل سمر فارعات قدوده
ولا النيل تأتيه إذا فصل النجى
صباياه يملأن الجرار وغيده

* والقصيدة أكثر من سبعين بيتا تنحو هذا المنحى البحترى الرائع، وأقول البحتري لأن السلاسة العذبة مع رقة التصوير تشهدان للشاعر بأنه ينتمي لمدرسة البحترى التى انتمى إليها كبار الشعراء في هذا العصر، وكان من العجب العاجب أن يصبح كمال بعد هذا السبق (مازنيا) يهجر الشعر نظما، لا نقدا، لأنه يمتشق سلاح الناقد إلى هذه اللحظة محاربا ما يسمى بشعر التفعيلة، ومقالاته فى الهلال وفي مجلة المجلة وفي مجلة العالم العربي تجمع هذه النقدات الهادمة، ولعله يضمها في مؤلف خاص، لتكون صوت النذير.



كمال النجمي

(سبب الهجران):

وقد جعلت أسأل عن هجر الشاعر لفنّه، حتى علمت أن حالة نفسية قد صدمته فامتنع، إذ كان الشاعر ينشر قصائده في الصفحة الأولى بجريدة الأهرام في المكان البارز الذى ينشر فيه الجارم ومطران وعلى محمود طه والأسمر، وكان الأستاذ أنطون الجميل يراه في شبابه الباكر يشير الى مستقبل مرموق في دنيا الشعر، فيحرص على تقديم شعره في أسطع معرض، وأول ما نشره الأستاذ كمال النجمى بالأهرام قصيدة فلسطين التي مطلعها:

علت صيحة كالرعد دوّى هزيمها
تحامى صداها واتقاه غريمها
ألمت باسماع الطغاة فزلزلت
وحز قلوب المؤمنين أليمها
هفت من فلسطين إلينا فنبهت
نياما قلاها كهفها ورقيمها
تقاعس عنها حين ضيمت وليها
وأسلمها للحادثات حميمها

* والقصيدة تتجاوز الخمسين من الأبيات بهذه القوة المتماسكة، والانفعال المتوهج، ومازالت قصائد الشاعر تشرق بالصفحة الأولى بالأهرام، حتى رحل الأستاذ الجميل إلى جوار ربه، وخلف بعده من تنكر للشعر بعامة، فلم تعد الجريدة المرموقة تحتفى بهذا الفن الأول من فنون العرب، وضاق النجمي بما صادفه من نكران لم يكن في حسابه فابتأس! هذا ما كان! ولا أدرى كيف ناء تحت هذه الأزمة ، ولم يتجاوز الأهرام إلى سواها، مع أنه نال جائزة المجمع بعد رحيل الجميل، لقد كتب لى مفصحاً عن هذا السبب، حين سألته عن امتناعه المباغت! وله نظراء قد هجروا الشعر بعد سبق، كالمازني والرافعي وشكيب أرسلان، ولكل علة خافية تحتاج إلى إفصاح.

(بدء الصلة) :

كنت أقرأ ما يقع في يدى من آثار كمال النجمي، وقد كان من التواضع بحيث يرمز إلى توقيعه كثيرا دون إفصاح، وقد كتب سلسلة من الخواطر النقدية والاجتماعية بإمضاء (ابن زيدون) في جريدة يومية، وعرفت أنه الكاتب لأنه أشار إلى قصيدة كتبها والده الشاعر المظلوم - على فضله الكبير - الأستاذ محمد حسن النجمي في تحية صديقه الشاعر ابراهيم الدباغ، والقصيدة من محفوظاتي الخاصة، فأدركت حلا للُغْز (ابن زيدون) ثم عنّ لي أن يكون الشاعر الكبير الأستاذ محمد حسن النجمي موضع دراسة للماجستير بجامعة الأزهر، ولكن أين الديوان؟ لقد اهتديت إلى أن يذهب الباحث (الدكتور عبد الحميد شعبان فيما بعد) إلى الأستاذ كمال ليستعير الديوان مخطوطا، وقد رحب الابن الوفي أكمل ترحيب، وأمد الباحث بكل ما طلبه عن حياة والده وشعره، حتى استوت الدراسة تامة ناضجة! ومن أطرف ما حيرنى في هذا المجال أني قرأت للأستاذ كمال بمجلة العالم العربي في الخمسينيات دراسة مستوفاة عن والده في مقال كاشف وضيء، فعنّ لى أن يعيره للطالب الباحث كي يكون بعض المراجع التاريخية عن الشاعر المدروس، ولكن الأستاذ كمال ذكر أنه لا يعلم شيئا عن هذا المقال، ولا يتذكر أنه كتبه، وهى عجيبة جدا في رأيي، وأدعوه إلى أن يبحث عنه فلابد أن يكون مخبوءاً في مكان مهمل من الأضابير، لأنى قرأته واثقا، ولو كنت أعلم الغيب لاحتفظت بالعدد.

بقلم :
أ. د. محمد رجب البيومى
- المنصورة -

وللأستاذ كمال حياء مفرط يدفعه إلى حساسية بالغة ، فقد سمعته في حديث إذاعي امتد إلى ساعة كاملة يتحدث عن نشأته

الشعرية، وآثاره الفنية، فتكلم عمن تأثر بهم من الشعراء، ولم يذكر اسم والده الذى ترك أربعة أجزاء من عيون الشعر العربى الأصيل، وقد كتب عنه الأمير شكيب ارسلان متعجبا أن لا يدوّي اسمه فى آفاق العالم العربي كما دوت أسماء شوقى وحافظ ومحرم، ولعل من أسباب خفوت ذكره، أنه كان ملتزما أشد الالتزام، فوجه شعره إلى اليقظة الإسلامية وأبطال الكفاح والنضال، واتخذ من مجلات النضال مذياعه المتواضع! فبرز كل التبريز في هذا المجال! لقد كتبت للأستاذ النجمى بعد سماع الحديث الإذاعى أسأله: كيف أهمل ذكر والده، فكتب يقول والله إنه كان يملأ خاطره أثناء الحديث، ولم يغب لحظة عن باله، ولكنه استحيا من ناقد جرىء يقول: مالنا ولأبيه ! وأنا أقول للأستاذ كمال إنك أول من يحب أن يؤلف كتابا عن الشاعر الكبير فأنت به أدرى وأعلم، وللتاريخ حق عليك ، أما أن يلغط لاغط بما يهذر، فليس لنا أن نقيم له وزنا ما، وقد علمت أن الدكتور عبد الحميد شعبان قد هيأ ديوان الشاعر للطبع، وسيرى النور عن قريب.

(القلم الصوّال)

على أن هذا الحيي الخجول ذو قلم صوّال لا يملّ العراك، وفي أعداد الهلال المتوالية لذعات نقدية تدل على مقاومة صلبة لمن لا ينتحون منتحاه في الشعر والفن، وأذكر أنه كتب مقالا بعدد مارس سنة ١٩٨٩ من الهلال ينكر فيه شعر الرافعى والمازنى والعقاد وعبد الرحمن شكرى لأنه يجمع بين الفلسفة والشعر، فيستغلق على القراء، وقد أنكرت هذا الرأى إنكارا شديدا . وكتبت مقالا في معارضته، ولكن وجدت الأستاذ كمال يبدأ مقاله بقوله تحت عنوان (الحب شعرا والحب نثرا).

«إذا وجدت أيها الصديق القارىء تفاوتا في هذا الكلام فالسبب أنني لا أكتبه بل أمليه، ولست معتادا الإملاء فقد عشت سنين لا تحصى أكتب بيدى، وقد وضعت القطن على عيني الاثنتين، وفوق القطن الضماد، ورقدت، فقد مرضت عيني فجأة!»

قرأت هذه العبارة وما بعدها، فشاركت الأستاذ ألمه، وطويت المقال، وبعثت أحد تلاميذي لزيارته سائلا مواسيا، إذ لا أطيق لقاء مريض عزيز، ثم مَنَّ الله على الأستاذ بالشفاء، وأنا أبحث الآن عن المقال لأنشره، ولكنه اختفى متحديا، ولا أستطيع أن أكتب مقالا سبق أن حررته، لأن الثورة الأولى قد هدأت، وكانت مبعث جيشان وهدير.

(جانب الفن)

لا أقول إن جانب الفن قد استولى على كمال النجمي لأنه رأس تحرير مجلة (الكواكب) عدة سنوات، كما لا أقول إن جانب الأدب قد استولى عليه لأنه رأس تحرير مجلة الهلال عدة سنوات، فالأدب والفن قد استوليا على الأستاذ وهو يافع ناشيء، وإذا سجل ديوانه المطبوع بعض ما نظم من الشعر، فإن مؤلفاته فى عالم الفن تحتل مكانتها المرموقة، ولم يقصر حديثه الفنى على عهد واحد، بل تكلم عن الغناء العربى فى القديم والحديث تكلّم البصير العارف وحين ماتت المطربة الشهيرة (أسمهان) رثاها أبدع رثاء، وكانت قصيدته زميلة لقصيدة أخرى لعلى أحمد باكثير رثى بها أسمهان، وأذكر أني حدثت الأستاذ كمال عنها فى خطاب خاص، فأرسل يطلبها لأنه قرأها فى حينها ثم ضاعت عنه، وقد أرسلتها إليه، فكتب مقالا عن مراثى أسمهان بعدد سبتمبر سنة ١٩٨٢م من مجلة الدوحة يتضمن من الذكريات الفنية ما يدل على الكثير.

لقد تحدث الأستاذ النجمى عن الغناء فى كتب متوالية تحت عنوان الغناء المصرى، سحر الغناء العربي، أصوات وألحان عربية، ومطربون ومستمعون، كما أفاض فى مقالات الهلال عن عبد الوهاب وأم كلثوم وفيروز وفايزه أحمد وسيد درويش وغيرهم من أعلام الفن، وحديث الشاعر عن الفن، لا يشبه حديث المؤرخ الأكاديمي، لأن كثيرا ممن كتبوا فى مجال الدراسة العلمية تخلوا عن مشاعرهم، ونسوا أنهم يتحدثون عن فنانين لا عن علماء، أما كمال فقد كان فنانا فى حديثه لذلك

كانت كتبه تستوعب دون سأم، لا يكاد يبدأ القارئ الصفحة الأولى حتى ينتهي الى الصفحة الأخيرة في غير انقطاع، وما ترك الأستاذ فى مختلف الصحف من المقالات والدراسات يؤلف مجموعة أخرى من الكتب الفنية، وفى متناوله أن يخرجها للناس، لتكون تاريخا يُروى، تاريخا مؤيدا بالوقائع، لأن بعض الكاتبين فى هذا المجال يخترعون.

(حكايات الأغاني)

شغل كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني جمهرة الدارسين على تناسل العصور، وفيهم من قام بتجريده ومن قام بتهذيبه، ومن قام باختصاره، ولكل منحى فيما قصد، ولكن الأستاذ النجمى قام بنوع جديد في خدمة هذا الأثر الضخم، إذ شاء أن يضم ما تناثر من أخبار الشاعر أو المطرب فى أبواب كثيرة تمتد إلى ما فوق العشرين جزءا فى حيز واحد، بحيث يقدم صورة وافية عن المتحدث عنه فيما سماه يوميات، وقد جاءت هذه التسمية موفقة، لأنها تضم الأحداث المختلفة متسلسلة في اليومية الأولى فالثانية فالثالثة حتى التاسعة كما في يوميات اسحاق الموصلي، وبهذا النحو من التأليف صار كتاب الأغانى سمراً للعامة والخاصة بعد أن كان وقفا على الخاصة وحدهم، وهو جهد مستتر لا يدركه غير من كابد قراءة التراث في منازعه المتباعدة، وحاول أن يجعل من أمشاجها جسما ملتئما متماسكا! ولم يقف الكتاب عند أخبار المغنين والجوارى إذ اتصلت الأحداث بالخلفاء والوزراء والولاة والشعراء ولكل حدث دلالته التاريخية والنفسية والاجتماعية.

أذكر هذا لأقول، إنّ ضجة فى الصحف قامت حول كتاب الأغانى لأمد قريب، حيث شن بعض الكاتبين حملة على حفلات الطرب غير الملتزم بالجامعة! وهي حملة صادقة لها ما يبررها، ولكن بعض ذوي الأهواء كتب يهجّن هذه الحملة مستندا إلى أقوال أبى الفرج في الأغانى إستناداً شرعيا لا أدبيا، وكأن أبا الفرج صار أحمد بن حنبل أو الشافعى أو مالكا أو أبا حنيفة، فكتبت مقالا بجريدة الوفد أضع كتاب الأغاني موضعه الصحيح، فهو جملة أسماء وأحاديث وأشعار بعضها صحيح وبعضها مختلق ان لم يكن أكثرها، وإذا جاز أن يكون أحد مصادر الأدب فلا يعقل أن يكون مصدرا للأحكام الشرعية! كتبتُ هذا المقال ولا أدري لماذا توهم الأستاذ كمال أنّي أنتقص كتابه كما أخبرني بعض من حادثهم في ذلك، فالكتاب عمل أدبي جيد لا شبهة فيه، وما كتبتُ مقالى إلا نقدا لمن يحاولون أن يجعلوا أبا الفرج الأديب الراوية فقيها مشرّعا فيأتون البيوت من غير أبوابها، ولعلى أكون قد أوضحت ما أريد دون التباس.

(مع العقاد)

تحدث الأستاذ كمال النجمى فى مقالات كثيرة عن العقاد، والعقاد كالمتنبى ملأ الدنيا وشغل الناس، وللنجمى رأى فى شعره، سبق أن أشرت إليه بإيجاز، وقد قرنه مع المازنى الشاعر فى اتجاهه، وهذا ما أخالفه لأن للمازنى فى شعره رقة وسلاسة تنأى به عن صاحب الفكرة الفلسفية في الشعر، كما أن هناك فرقا بين المنطق العقلى والمنطق الوجداني، وشعر العقاد وشكرى أقرب إلى المنطق الوجداني، ولكن إحساسهما العميق يرتفع بهما عن المشاهد المألوف لدى الشعراء السطحيين، وما أريد أن أستفيض فى ذلك الآن، ولكنى أذكر أن النجمى تحدث عن غراميات العقاد فذكر أن صلته بميّ كانت من طرف واحد، وهذا ما أميل إليه، لأن الآنسة مي لم تحب من صميم فؤادها غير جبران خليل جبران على تنائى داره، كما أخبرنى الأستاذ طاهر الطناحى بذلك، ولكن الذى لم أرتح إليه فى مقال النجمي عن غراميات العقاد ذكر بعض العلاقات الخاصة التى يحسن استتارها تكريما لذكرى الراحلين، وان كان النجمى قد أدى حق المؤرخ الصادق في رأى من يميلون إلى التتبع الدقيق والاستقصاء التام.

أعلام .. وأعمال:

ابن عمر .. ضحية مؤامرة الصمت

عالمنا الاسلامي والعربي على امتداده يزخر بنماذج بشرية مثلت القوة في الاداء والعطاء من اجل الدين والوطن والأمة .. وهم باعمالهم تلك نماذج يقتدى بها .. وعطاءات مخلصة رائعة ينبغي النسج على منوالها .. وهذه الشخصيات وأمثالها ينبغي ألا تُغيَّب وراء ضبابيَّة النسيان ونكران الجميل.

هذه الاعلام ينبغي الكشف عنها.

«ابن عمر .. هذا (الأمازيغي) الجزائري العربي، المسلم» ..

أجيز لنفسي عنونة هذا الموضوع عن الأديب المفكر المصلح (باعزيز بن عمر) بهذه الصفات الأربع (أمازيغي ، جزائري ، عربي ، مسلم) انطلاقا من المحلي إلى الوطني، إلى الانتماء الاكبر للرجل، وهي عناصر لم يكن قدرها التنافر، بل تكاملت لديه - كسائر الشرفاء من طاهري القلوب والعقول - في شعوره وتفكيره وتعبيره، كواحد من أقطاب الحركة الصحفية والفكرية والإصلاحية في (الجزائر) أثناء هذا القرن في نشاطه العام، أو في صفوف (جمعية العلماء المسلمين) بعضويته فيها.



بقلم: **د. عمر بن قينة**
معهد اللغة العربية وآدابها
جامعة الجزائر المركزية

أقدّم بهذا إذن للحديث عن شخصية الشيخ (باعزيز بن عمر) رحمه الله (١٩٠٦ - ١٩٧٧م) الأديب المفكر الإصلاحي، ربما المقلّ، لكنه الجيد في تفكيره وتعبيره وأسلوبه.

اخترته اليوم - عامدا - لأمرين جوهريين:

أولا: لهذا الصمت المطبق عن رجل أعطى الوطن حبه وإخلاصه ، شملا أمته الكبرى في وطن العروبة والاسلام، ووراء هذا الصمت مؤامرة قوى العمالة في الدرجة الأولى، ركيزتها التوجه الفرانكفوني، تكرع في نبع واحد، هو

ثدي الأم الحاضنة لأيتام أو منبوذين هي (فرنسا الاستعمارية).

أما الأمر الثاني فالرجل من منطقة (القبائل) التي تحاول جاهدة قوى العمالة تلك باستماتة تامة أن تجرها إلى حمأة المسخ الحضاري تجسيدا وتتميما لما شرعت فيه فيالق (التبشير) النصراني، فتكونت للغرض فرق من (الآباء البيض) مدججة بالفكر الاستعماري الصليبي وماله وسياسته، منذ أكثر من قرن ونصف، فبقي (ابن عمر) في (المنطقة) من بين رجال أفذاذ رفضوا المؤامرة كما تنبه الى أبعادها المختلفة سواهم، ووقفوا بحزم في صف أمتهم متموقعين في خندق الفكر، سلاحهم: إيمان حي وقلم نابض، وفكر متقد، ورأي صريح واضح.

وقد كان الرجل يوقع بعض مقالاته باسم (الفتى الزواوي) ليعلن - من قلب نظيف - أن منطقة (زواوة) أي (القبائل) ينبغي ألا تنحاز لغير مجالها الحضاري (العربي - الإسلامي). وللرجل خلفية في ذلك من آثار رجال فكر وعلم وأدب سابقين خدموا العربية والإسلام، أمام هجوم الأعداء، من آخرهم: (أبو يعلى الزواوي: ١٨٦٢ - ١٩٥٢م) و(طاهر الجزائري ١٨٥٢ - ١٩٢٠م) الذي صار ثالث ثلاثة في نهضتنا العربية الإسلامية الحديثة، بعد (جمال الدين الأفغاني) و(محمد عبده) فخدم العرب والمسلمين، وعمل للتمكين للغة العربية في العلوم المعاصرة خصوصا في (سوريا) عاملا لرقي الأمة العربية، وبناء دولتها القوية التي كانت أمنيته الأولى، قبل وفاته، رافضا في الوقت نفسه الفكر الشعوبي البغيض (انظر مثلا، كتابنا: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، ص: ٨٣ - ٩١).

وهو النهج الذي لم يبتعد عنه أديبنا المفكر (باعزيز بن عمر) طموحا إلى بناء دولة عربية قوية، وسيادة دينها الإسلامي: دستور حياة وعزة ومجد.

إلى هنا في مقدمة - ربما طالت - لم أقل من هو (ابن عمر) وهي المرحلة التي تفرض عَلَيَّ إذن أن أقدم الرجل باختصار شديد، فهو (عبد العزيز بازي) الاسم الإداري في (مصالح الحالة المدنية) للسيد (باعزيز بن عمر) في قرية (آيت حمّاد) بولاية (تيزي وزو) دائرة أزفون. ولد في (١٠ - ٢ - ١٩٠٦م) درس على يد والده وفي زاوية (عبد الرحمن اليلولي) في (القبائل) كما درس على (ابن باديس) في (قسنطينة) وفي (الزيتونة) بمدينة (تونس) لفترة وجيزة (لمزيد من تفاصيل، أنظر: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، ص: ٣٢٥ - ٣٤٠) غير أن تكوينه العام في علوم العربية والدين نهض على روح عصامية، شق بها طريقه، ومكنته من الإسهام في الجهود التعليمية والإصلاحية والفكرية كمعلم في (مدرسة الشبيبة الإسلامية)

لجمعية العلماء بمدينة (الجزائر) مع (محمد العيد آل خليفة) وكعضو في الجمعية، وكاتب لامع خصوصا في «الشهاب» و«البصائر» ولقي ربه يوم (٦ ـ ٥ ـ ١٩٧٧) مدثرا بالتجاهل والتناسي كسائر أولئك الذين لا معسكر أيديولوجيا لهم خارج معسكر (الجزائر) الحضارية. فكان.. كما مات .. خندقه الوحيد (الجزائر) مثلما ايديولوجيته الوحيدة مجالها الحضاري الطبيعي بروح متفتحة: ترفض التقوقع، كما ترفض التمذهب الرخيص، وهو ما عكسته مختلف كتاباته الفكرية والصحفية.

كتب في السياسة، والإصلاح الاجتماعي، كما كتب في الأخلاق والتاريخ والأدب، بحسّ المفكر الأديب الفنان كثيرا.

وقد كتب في هذه الموضوعات عشرات المقالات المختلفة تارة باسمه الذي عرف به أدبيا (باعزيز عمر) وتارة باسم (الفتى الزواوي) فنقرأ له في السياسة مثلا «قضية الجزائر على حالها» في (البصائر سلسلة: ٢، ع:٦، ١٩٤٧) و«على هامش الانتخابات الجزائرية» في (البصائر، س:٢، ع: ٢٥٢، يناير ١٩٥٤) و«الاتحاد الفرنسي في مهب الريح» (البصائر، س:٢، ع: ٢٤٥، اكتوبر ١٩٥٤) وغيرها كمقاله المركز عن «المؤتمر الإسلامي الجزائري العام» في مجلة (الشهاب، ج:٤، م:١٢، يوليو ١٩٣٦م).

وتعددت موضوعاته في الأخلاق والتاريخ والإصلاح الإجتماعي، منها «دفع شبهة في تعليل ظاهرة نمو النسل في الجزائر» في (البصائر، س:٢، ع:٢٥١، ١٧ ـ١٢ـ١٩٥٣) وقد فتح له ركنا في (البصائر) بعنوان (في مجتمعنا الجديد) عالج فيه قضايا اجتماعية مختلفة، مثل (المرأة والعمل خارج البيت) في العدد (٢٩٦، ١٠ ١٢ ـ ١٩٥٤) و«آفة البطالة» في (ع: ٢٩٧، ١٧ـ١٢ـ ١٩٥٤) و«الضمان الإجتماعي». والأمومة» في (ع:٣١١، ٢٥ ـ ٣ ـ ١٩٥٥م).

إلى آخر ما هنالك من قضايا، من عمق انشغالات الجزائر والجزائريين فكان ابن عمر نغما متميزا في التعبير عن هموم الجزائر واهتمامات أبنائها، ومنهم أبناء منطقته التي تعتز بنسبته إليها (الزواوي) وهي التي كان رجالها الأفذاذ في العمق الأصيل يعلنون ولاءهم لمجالهم الحضاري باستماتة تامة رفضا لما يريده الاستعمار بالمنطقة في سياسته الجهنمية المحبكة، كما عكست ذلك تلك العريضة التي نشرتها (البصائر) في العدد ٥٩ من سلسلتها الثانية، يوم ١٩٤٨/١٢/٦ وقد وجهها رجال زواوة عبر الجريدة مطالبين بإلغاء القوانين الخاصة بالأحوال الشخصية في (زواوة) فمهد لها (البشير الإبراهيمي) بقوله عنها: «تلك القوانين

التي تستند على العوائد والأعراف لا على أحكام الشريعة الإسلامية المطهرة، ويطلبون الرجوع إلى الأصل، وهو أحكام الشرع الإسلامي ٠٠ والحكم بالعوائد مطلب عزيز من مطالب الاستعمار الفرنسي، زرع بذوره في أرض زواوة وتعهدها بالسقي والعلاج، وقواها بتقوية مراكز التبشير وإطلاق يد المبشرين، وظن انها استغلظت واستوت على سوقها واطمأنت إليها النفوس فجاءت هذه العريضة مجتثة لما غرس من أصله، وأقامت الدليل للمغرورين بالظواهر على أن زواوة معقل من معاقل الإسلام والعروبة٠٠ إن الغاية التي يرمي اليها الاستعمار من تمكين العوائد وجعلها أساسا للأحكام هو إبعاد طوائف من المسلمين عن الإسلام بالتدريج حتى تضعف فيهم النعرة الدينية وعاطفة التآخي الإسلامي وتصير الأمة الواحدة أمتين أو أمما»٠

الحرص على التموقع في محيط حضاري مغزو يواجه فكرا حضاريا غازيا جعل (ابن عمر) في كتاباته الأدبية نفسها يصر على الصلة المتينة بين المشرق العربي ومغربه، كما نرى في مقال له بمجلة الشهاب (ج:٥، م:١١، اغسطس ١٩٣٥) بعنوان «اشتغالنا بالشرق أنسانا أنفسنا» قال في مقدمته «إن علاقتنا بالشرق والشرقيين علاقة متينة قوية، تزداد على مر الأيام متانة وقوة ، تغذيها عدة روابط روحية من دينية ولغوية وأدبية نشعر بها كلها، شعورا لولاه لضاق بنا العيش، ولذهبت النفوس حسرات٠٠ ولكن لا يسرنا بحال أن ينسينا هذا الشعور أنفسنا أننا من قوافل الحياة٠٠ فلا نكتب إذا كتبوا ولا نؤلف إذا ألفوا»٠

كما كتب في المجلة السابق ذكرها نفسها (ج:٢، م:١٢ مايو ١٩٣٦) مقالا بعنوان «العروبة» قال فيه: العروبة «كلمة تخفق بها اليوم قلوب الملايين من الناطقين بالضاد على نحو جديد من الشعور القومي الفياض، كشفت عنه الأيام المتداولة ونمته الأحداث الشداد التي احدقت بالأمة العربية الكريمة من جهات مختلفة فنالت من عزتها القومية وطمست على كثير من سجاياها الحسنة وأخلاقها السامية، فتمزق إهاب اتحادها وترامت عليه الذئاب تنهشه٠٠ فالعروبة حية فينا، ونحن أحياء ما دامت السماوات والأرض ٠٠ وحي العروبة العام ٠٠ يهز اليوم أوتار قلوب أبنائها ويحرك ما كان كامنا من القوى المعنوية في نفوس احفاد أنصارها الذين تجمعهم اليوم آمال واسعة قوية يتخطون إليها الوعور الكثيرة ويسعون في سبيل تحقيقها بإيمان ثابت وعزائم صادقة وهمم عالية، يحدوها صوت العروبة ويغذيها الإسلام بتوجيهه السامي وتعاليمه القويمة»٠

وكثيرا ما تألق فكر الرجل في مثل هذه الموضوعات، وسما خياله، وهو يصف روح التآزر والنضال. وأشواق الوحدة والحب مثلما يدق وصفه وهو يعالج قضايا أو يصور مواقف ومناظر، كما نرى في قطعة أدبية له بعنوان «عظمة جبال زواوة وجمالها الطبيعي» نشرها في (الشهاب، ج:١٢، م: ١١ مارس ١٩٣٦) فصوّر احساسه في الموقف معرضا بالانهزاميين وأمثالهم، معرضين عن صوت التاريخ والحضارة في العمق «كل شيء جميل وساحر وبهي ومعجز لهذه القوى الأرضية فوقك يا جبال الزواوة، ففيك رمز العلو لمن يريد أن يعتلي ورمز القوة لمن يتطلب القوة، ورمز الخلود لمن يبغي الخلود.

علّمينا - يا جبال - علّمينا كيف نثبت في السراء والضراء ثباتك ونغضب للحق والكرامة غضبك حتى نطاول معك سماءك العافية ونستضيء بنجومها الساطعة، فنمس إذ ذاك ببعض اللذة والابتهاج، ونعرف ما هو الجمال والجلال والسمو، وندرك الفرق بين الظلام والنور.

وما أبدع مناظرك الطبيعية المتلألئة في تعاريج هندسية هام بها شيوخنا الأقدمون فكانوا يبكرون إليك في الأسحار .. ذاك هو موقف من مضوا من رجال الصلاح والإصلاح حقا بجبال زواوة أما من يمتون إليهم اليوم بنسب فقد طغت المادة .. عليهم، فلم يسيروا في طريقهم ولم ينهجوا منهجهم في ثنايا هذه الجبال ووعورها فخلت قلوبهم.

عودوا أيها المدعون إلى ضمائركم وحققوا نسبتكم إليهم بالعمل والسير في طريقهم واعلموا انكم الآن ذكر خامل وشمل ممزق ونفوس لا تستفزها إلا الشهوات المتبعة وراء المغانم والمكاسب الخصوصية فاشهدي أيتها الجبال أن هؤلاء قد طمسوا طريق أجدادهم إليك، وسجلي عليهم أنهم ما أحيوا سنة ولا أماتوا بدعة، وأنهم ليسوا أهلا لاستنشاق هواءك، وإرواء غلتهم بمائك، ما داموا لم يعملوا في مستقبل الأيام على وقاية الجدود العواثر، وإحياء المآثر».

عاش الرجل مجاهدا بعلمه وفكره وأدبه، مهموما بقضايا وطنه وأمته الكبرى، ثم مات في صمت قانعا برضى الضمير، مثل مئات غيره، بعدها انطلق الناهبون من الداخل ينهشون الوطن ويبتزونه، ويعبثون بتاريخه، ويستغلون كل شيء فيه.

تبقى ملاحظة أرى من واجبي أن أعلنها قبل أن أضع نقطة النهاية هنا: وهي مسؤولية أقاربه - خصوصا - في جمع تراثه، ونشره مبوبا، إنصافا له، وإثراء لمادة الحركة الثقافية والأدبية في فترة صعبة من تاريخنا الجزائري العربي الحديث.

اغتراب

شعر:
الأمير كمال فرج
- جدة -

هوّن عليك ففي عينيك أتراحُ
كلّ الأحبة في ليل الأسى راحوا

واستوحش الدربُ لا صبحٌ ولا أملٌ
ولا ينيرُ ظلام الدرب مصباحُ

وأدمع النايُ اشجاتنا مقاطعةُ
وأبكم البوحَ جيشُ الصمت يجتاحُ

هل كان يعلمُ احبابي الأولى رحلوا
أنّا بليل.. ولن يأتيه إصباحُ

ارنو إلى الأفق لا صوت يكلمني
ولا رفاق بأعلى مزجهم صاحوا

ولا حبيب تضيء القلب طلتهُ
مهندُ اللحظ عالي الحسن لمّاحُ

أنادمُ البحر لا آت يطمئنني
ولا يبينُ بأفق اليمّ ملاحُ

وجعبة الحزن قد ذابت على كتفي
كأنني ببلاد الموت سوّاحُ

كل الموانيء في البلدان ترفضني
مشردٌ في الليالي.. أين ارتاحُ؟

جرحي عميق ونارُ البعد تحرقني
من لي بطب.. يداوي القلب جراحُ

من لي بأمي تصبُّ الشاي لي صبحاً
تقول: ياولدي.. الصبرُ مفتاحُ

رحلتموا فأشاع القفرُ سطوتهُ
وعربدت في دياجي الخوف أشباحُ

عودوا فإن اللظى يغتال سوسنتي
عودوا إليّ فإن البعد سفّاحُ

الأرضُ تسألُ والبيداء راجفةٌ
والريحُ تبكي الروابي.. ليتهم لاحوا

ثاو على النار أقتاتُ النوى ألماً
وفي يدي من شراب المرِّ اقداحُ

إن الغريب صديقُ الله ظللهُ
تحميه في طرق الأسفار أرواحُ

يا راحلا للمدى سلم على وطني
وبلّغ الأهل علّ الهمّ ينزاحُ

وقل لهم إنني باق على عهدي
فالعهد عندي ميثاق وألواحُ

لربما تقصدُ البشرى مرافئنا
وتعقبُ الحزنَ بعد اليأس أفراحُ



بقلم:
مجدى محمد عيسى
- الرياض -

إن سلاسل الشعب المرجانية المنتشرة في بحار ومحيطات العالم تعد نظاما بيئياً متميزاً يستثير فضول الباحثين للتعرف على حقائقه



وأسراره.

فمن الخارج ، تبدو هذه الشعب حدائق طبيعية مزدهرة تسر الناظرين، تجتذب السياح وفي داخلها وحولها، تنمو أجيال من الحيوانات المرجانية والطحالب والعوالق النباتية وأنواع مختلفة من الأسماك وكثيرها من الأحياء البحرية، تعرضت الشعب المرجانية لجور البشرية الذي يتمثل في تلويث مياه البحار والمحيطات بشكل بات يشكل خطراً على هذه الشعب وعلى دورها في إثراء الحياة البحرية، وهنا نستعرض ماهية الشعب المرجانية وأنواعها وفوائدها والمخاطر التي تواجهها.

الشُعبُ المرجانية هل تندثر بفعل تلوث المياه؟

ما هي الشعب المرجانية:

هي صخور كلسية تكونت من تراكمات إفرازات حيوان المرجان المعروف باسم «كثير الأرجل» الذي ينتمي إلى طائفة «الجو فمعويات» التى تشبه شقائق النعمان البحرية، حيث يقوم المرجان بإفراز هذه الهياكل ليحتمي بها، ويلتصق بالصخور الموجودة في قاع البحر مفسحاً المجال لنمو مجموعة صغيرة متفرعة عنه، وعندما يموت تبقى الحيوانات المرجانية ملتصقة بهيكل الحيوان الميت، وتقوم هذه الحيوانات بدورها بانتاج براعم جديدة، وهكذا ينمو جيل بعد جيل من الشعب المرجانية في تراكيب هيكلية غير منتظمة تنمو حولها وخلالها نباتات وطحالب دقيقة. بيد أن بناء الشعب المرجانية لا يقتصر على حيوان المرجان وحده، بل تشاركه في ذلك الكثير من فصائل الحيوانات العضوية التى تبنى هياكلها من كربونات الكالسيوم مثل الرخويات والقنافذ البحرية والفورمانيفيرا (المثقبات).

تعيش بعض المراجين كحيوانات منفردة، لكن غالبيتها تعيش مترابطة في شكل مستعمرات مرجانية عظمى، وكل مستعمرة منها تتكون من طبقات من الأنسجة الحية تتصل بها مئات أو ألوف من الزوائد اللحمية التي تسمى «بوليب» وينمو المرجان في مياه البحار والمحيطات رأسياً وأفقياً. ويلاحظ أن الفرق بين المرجان الحي والمرجان الميت، هو أن النوع الأول يكون غالباً متحجراً ومختلطاً به كميات كبيرة من الطحالب الجيرية والكلسية التي تعرف باسم **Nullipores**.

تتخذ المراجين أشكالا هندسية مختلفة ولها ألوان متعددة، فهي قد تبدو مستديرة ملساء أو تبدو في هيئة عناقيد متفرعة، أو تظهر بشكل مقطع من الدنتلة، وأهم الشعب المرجانية التي أشار إليها علماء البحار.

١ - شعب قرون الأيِّل.
٢ - الشعب الدماغية التي تشبه رأس الإنسان.
٣ - الشعب المستديرة.
٤ - الشعب الأرغونية.
٥ - الشعب المروحية. ومن أمثلتها مرجان الغورغونيا الذى يوجد بكثرة فى البحر الأحمر وتزدان أغصانه بكمية وفيرة من البوليب.

تزدهر الشعب المرجانية في المياه الإستوائية وبشكل خاص في المحيطين الهادي والهندي والبحر المتوسط وفي مياه شواطيء فلوريدا، كما توجد ناحية خليج المكسيك وجزر الهند الغربية واستراليا حيث يوجد سد مرجاني كبير يمتد نحو ١٠٠ ميل في محاذاة الشاطيء الشرقي للقارة الإسترالية ويتراوح عرضه بين عشرة أميال وتسعين ميلا.

التراكيب المرجانية الرئيسية

تتخذ الشعب المرجانية في العادة الأشكال الآتية:

١ - الجزر الحلقية المرجانية Atolls:

وهي جزر بيضاوية الشكل على هيئة حدوة الحصان، ذات ارتفاع محدود فوق سطح البحر وتحصر بينها بحيرة مستنقعية واسعة ضحلة، وقد تتصل هذه البحيرة بمياه البحر بواسطة فتحات ضيقة ضحلة تفصل بين هذه الجزر المرجانية. وتوجد هذه الجزر بكثرة في كل من المحيط الهادي والمحيط الهندي وبعض الجزر التى تقع قبالة الساحل الغربي للبحر الأحمر. بعض هذا الجزر ذات حجم كبير كجزيرة سوفاديفا المرجانية وهي إحدى جزر مالديف بالمحيط الهندى حيث يبلغ طول الحاجز المرجاني بها ١٩٠ كم وطول البحيرة الموجودة وسطها ٦٠كم. ومن أهم معوقات الحياة فوق هذه الجزر، عدم توافر المياه الصالحة للشرب بسبب نفاذية الصخور الشديدة وملوحتها، ومياه البحر المالحة التى تتسرب إليها. ولكن تنمو على أطراف الجزيرة أشجار المنغروف التى تصلح علفا للماشية والأغنام.

٢ - الحواجز السدودية Barrier Reefs:

وهي تشبه الجزر السابقة من حيث تكوينها وشكلها العام، إلا أنها تختلف عنها من حيث الموقع وذلك لأنها تقع غالباً علي بعد عدة أميال من خط الساحل، بل وقد تنفصل عن الساحل بواسطة

البحيرات المستنقعية الضحلة. ويرتفع منسوب سطح الحاجز المرجاني فوق مستوى الماء أثناء الجزر، وهو غالبا ما يغطى بتكوينات مرجانية ميتة ويتميز بكثرة الشقوق Fissures والتجويفات خاصة بالقرب من هوامشه، وكثيراً ما تمتليء تلك الشقوق والحفر بالرمال والمفتتات المرجانية الخشنة، مما يعزز قدرة الأمواج على نحت الحاجز. ومن أشهر الحواجز المرجانية السدودية، الحاجز المرجاني العظيم في شمال شرق أستراليا، وهو حاجز يكاد يكون متصلا فيما عدا بضع فتحات تقطعه هنا وهناك، وتمثل هذه الفتحات المصبات النهرية.

٣ - الشعب الهامشية Fringing Reefs:

تعد أبسط التكوينات المرتبطة بالشعب المرجانية وأكثرها انتشاراً، حيث توجد في كل مناطق المرجان في العالم . وهي تنمو إلى أعلى رأسيا وأفقياً تجاه البحر، وعادة ما تكون ملاصقة لخط الساحل، أو قد تكون هي خط الساحل ذاته، ويتراوح متوسط عرضها من خط الساحل إلى داخل البحر نحو ميل واحد، وتتميز هذه الحواجز بأن لها انحداراً بسيطاً متجهاً نحو البحر.

٤ - القمم المستطيلة:

هي تكوينات مرجانية ترتفع على شكل قمم حادة، اكتشفت في البحيرة التى تفصل بين حلقة بيكيني المرجانية والساحل أثناء تجربة للتفجير الذرى عام ١٩٤٦م. وقد سماها بعض علماء الأحياء المائية بالربوات المرجانية Coral Knolls وتنحدر جوانب بعض هذه الربوات انحداراً رأسياً، وبعضها الآخر ينحدر بزاوية مقدارها نحو ٤٥°.

العوامل التى تؤثر في نمو الشعب المرجانية:

تتوقف سرعة بناء الشعب المرجانية على مدى نمو الحيوان وتكاثره، ويحتاج هذا الحيوان إلى بيئة بحرية مناسبة لمعيشته وذات مواصفات محددة من حيث درجة الحرارة والضوء والملوحة وحركة المياه. وهنا تجدر الإشارة إلى أن الجزء الأعظم من الشعب المرجانية الموجودة في بحار ومحيطات العالم تتركز في المنطقة الواقعة بين مداري الجدى والسرطان، وذلك لتوافر الظروف البيئية الملائمة لمعيشتها.

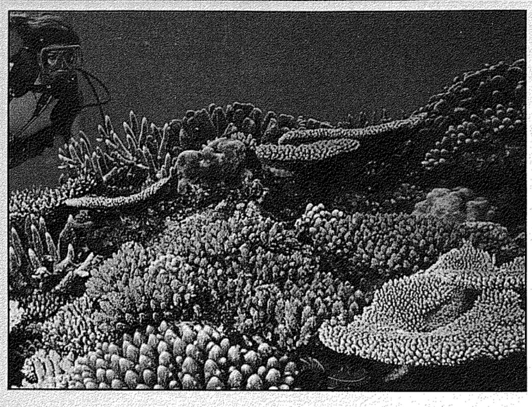
١ - درجة الحرارة:

تحتاج الحيوانات المرجانية لكى تعيش - إلى درجة حرارة لا تقل عن ٢٠° مئوية، ولا تزيد عن ٢٢° مئوية. ولذلك يتركز نمو الشعب المرجانية في المياه الدافئة الإستوائية والمدارية الواقعة بين خطي عرض ٣٠° شمالا و٢٥° جنوباً. وقد يتعدى النمو المرجاني هذه الحدود في حالات خاصة، كما هي الحال في جزيرة برمودا التى تتسم بارتفاع درجة حرارة سواحلها نتيجة لوقوعها في مسار تيار الخليج الدافيء الذي يتميز بحرارة أعلى بالنسبة لخط العرض.

٢ - الضوء :

فأشعة الشمس ضرورية لحياة المرجان، إذ أنها مهمة لعمليات التمثيل الضوئي للطحالب والنباتات البحرية الأخرى التى تتبادل النفع مع المرجان. فهناك نوع من التبادل الغذائى بين المرجان والنبات. فالأول يزود الثاني بحاجته من الغذاء وثاني أكسيد الكربون، والثاني يعطى الأول الأكسجين. وعليه فصفاء المياه ضروري لحياة المرجان، ولذلك لا ينمو المرجان عند مصبات الأنهار حيث تلقى الأنهار في مياه البحر كميات كبيرة من الطمي والطين مما يعكر المياه ويجعلها معتمة. كما يندر وجود المرجان في المناطق البحرية، التى تتميز بقيعان طينية التركيب، وقد يرجع ذلك إلى التأثيرات الضارة التى تلحقها الرواسب الغرينية العالقة في الماء بنمو وحياة المرجان.

وعموما فإن أقصى عمق يمكن للمرجان أن يعيش فيه هو ٩٠م، وإن كان معظم النمو يتوقف عند منتصف هذا العمق تقريباً.



٣ - الغذاء:

يتغذى المرجان على الكائنات الحية البحرية والدقيقة والهائمات التى يقوم باصطيادها بواسطة أذرعه المحيطة بفمه. كما أنه بحاجة لبعض الأملاح الموجودة في مياه البحر مثل الفوسفور والنتروجين والكالسيوم.

٤ - الملوحة:

تتراوح نسبة الملوحة التى يمكن أن يتحملها المرجان ما بين ٢٧ إلى ٤٠ في الألف، وأكثرها مثالية لنموه تتراوح ما بين ٣٤٪ و٣٦٪٠ وللعلم إن الملوحة الزائدة قد تؤدي إلى اختفاء الشعب من أجزاء معينة من السواحل. فمثلا، إن اختفاء المرجان من بركة هاميلين بخليج شارك بغرب أستراليا يرجع إلى ارتفاع نسبة الملوحة بها عن الحد المطلوب للنمو المرجاني حيث تصل في الصيف إلى أكثر من ٤٨ في الألف.

٥ - حركة الماء:

إن التحرك المستمر لماء البحر يعد ضروريا لإزدهار النمو المرجاني، وذلك لأهميته في جعل درجة الحرارة متجانسة في البيئة المرجانية وفي منعه لعمليات الإطماء، وتوفير البلانكتون الذي يتغذى عليه المرجان، وكذلك توفير غاز الأكسجين لتنفسه، خاصة أثناء الليل حيث يقل بسبب تنفس الطحالب. ولذلك يزدهر نمو المرجان على الشواطيء البحرية التى تتعرض لتلاطم الأمواج وتأثير المدّ والتيارات البحرية الدفيئة.

فوائد الشعاب المرجانية:

في المناطق الإستوائية تُؤمِّنُ الحيوانات المرجانية قدراً كبيراً من البروتين ذي السعرات الحرارية، إذ أنها تمثل بيئة ملائمة لنمو تكاثر الإسماك (كالسمك البواق والسمك الملائكى) والقشريات (كالروبيان) وشوكيات الجلد (كنجم البحر وقنفذ البحر) حيث تعتبر الشعب المرجانية ملاذاً آمناً تحتمى به هذه الأحياء المائية من أعدائها في البحر، كما تجد الغذاء في الطحالب والنباتات والحيوانات حول منطقة الشعب المرجانية. وعندما اكتشف الخبراء ذلك شرعوا سنة ١٩٣٠م في أمريكا وبعدها في اليابان في بناء شعب صناعية من الأحجار الضخمة وبقايا العربات وغيرها. كما يجرى في البلدان الاستوائية عمل مزارع أسماك وأعشاب بحرية في الشعب المرجانية.

كذلك تمثل الشعب المرجانية فرصة جيدة للاستثمار السياحي. إذ أنها تعد مناظر طبيعية تغري السائحين بمشاهدتها من خلال زجاج شفاف. ويكفي أن نذكر أن الإيرادات المتحصلة من سياحة الشعب المرجانية في المياه البحرية

لجزيرة فلوريدا الأمريكية تصل إلى حوالي نصف بليون دولار.

يضاف إلى ما سبق، أن الشعب المرجانية ربما تكون مخازن نفطية مستقبلا، ذلك أن وجود كميات وفيرة من الأسماك والقشريات وغيرها من الأحياء حول الشعاب المرجانية حيث تتوالد وتموت تاركة بقاياها، وبمرور السنين ومع التفاعل الجيولوجي والبيولوجي يؤدي ذلك إلى احتمال تكوُّن البترول في أعماق الشعاب المرجانية، والآن تجرى الدراسات والأبحاث للتحقق من هذا الأمر.

وأخيراً فإن للشعب المرجانية أهمية استراتيجية، إذ أنها تمثل حاجزاً طبيعيا يحمي الشاطئ من أمواج البحر المتلاطمة بل إن الأنواع الموجودة منها قرب الساحل تمثل خطاً دفاعياً طبيعياً يحمي الساحل في حالة هجوم حربي بحرى خصوصاً إذا استعان الإنسان ببعض الإستحكامات التى تقام على الساحل نفسه أو على الجزر المجاورة.

مخاطر الشعب المرجانية:

تمثل الشعب المرجانية خطراً شديداً على الملاحة البحرية، خصوصاً الشعب التى لا تظهر فوق سطح الماء. وللعلم، إن النمو المستمر للشعب المرجانية في اتجاه أفقى عند مداخل الموانيء البحرية يحول دون وصول السفن إلى الشاطىء. وهذا هو الحال بالنسبة لميناء سواكن السوداني التاريخي، إذ أن النمو الدائم للشعب المرجانية على ضفتى ومدخل الميناء قد أثر فى عرض المجرى العميق الصالح للملاحة الذي ظل يتناقص تدريجيا يوماً بعد يوم. وبالنسبة للشعب الأخرى التى تنمو بعيداً عن السواحل وتكون مغمورة بالمياه، فإن السفن تكون عرضة للاصطدام بها وخصوصاً في حالة المد العالى التى تختفى معها معظم الشعب المرجانية، وعادة ما يزود قباطنة السفن بخرائط مسجل عليها مواقع الشعب المرجانية، كما تقوم بعض الدول بوضع علامات مضيئة فى مناطق الشعب لكي تتحاشاها السفن.

وفيما يلي نسوق أمثلة لحوادث السفن التى نتجت عن الإصطدام بالشعب المرجانية:

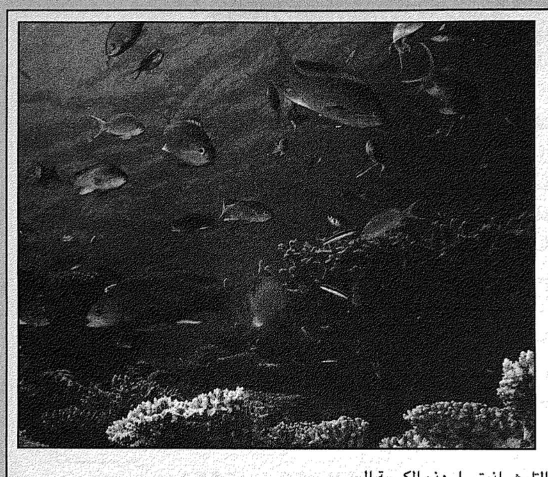
١ ـ غرق ناقلة البترول «إكسون فالديز» في ٢٤ مارس سنة ١٩٨٩م نتيجة اصطدامها بالصخور المرجانية أمام خليج «برنس ويليام» بألاسكا عندما كانت تتفادى الارتطام باحد جبال الجليد العائمة. وقد تسرب من هذه الناقلة نحو ٤٠ ألف طن من زيت البترول، وانتشر هذا الزيت مسافة نحو ألف ميل أمام شواطيء المنطقة والمناطق المجاورة لها، وبعد انقضاء حوالى أسبوعين على الحادث بلغت مساحة المنطقة المغطاة بالزيت ضعف مساحة لوكسمبورغ.

٢ ـ حادث السفينة البنمية «سفير» والتى جنحت في مياه خليج السويس بعد أن اصطدمت بالشعب المرجانية قرب شرم الشيخ.

٣ ـ حادث العبَّارة المصرية «سالم إكسبريس» التى دخلت ليلا فى منطقة شعب مرجانية قرب ميناء سفاجا فى أواخر سنة ١٩٩١، مما أدى إلى تحطم السفينة وغرق معظم ركابها.

تلوث المياه تهديد للشعب المرجانية:

تعاني الشعب المرجانية ـ كغيرها من الأحياء البحرية ـ من تلوث المياه الذي يحدث نتيجة المخلفات البشرية أو النباتية أو الحيوانية أو المعدنية أو الصناعية أو الكيميائية التى تلقى أو تصب في المسطحات المائية من محيطات وبحار. فمثلا، إن تفريغ مياه المجاري في البحر مباشرة دون معالجة يؤدي إلى تلوث المياه وموت الحيوانات المرجانية أو تقلص أعدادها، بينما تصبح أحياء بحرية أخرى أكثر قدرة على احتمال التلوث فتنمو بسرعة حيث تكون لها السيادة، ونضرب مثلا لذلك بحالة الطحالب الخضراء الموجودة بكثافة في خليج كينوهى أحد أكثر الصخور المرجانية انتشاراً في جزر هاواى فقد تنامت أجيال من هذه الطحالب وتضاعفت هناك عشرات المرات بفضل المادة المغذية الموجودة في مياه



المجاري. ونتيجة لانعدام الضوء والأكسجين والغذاء، فقد ماتت الحيوانات البحرية المرجانية القابعة أسفل الطحالب.

كما أن التلوث النفطي يلحق ضرراً بليغاً بالشعب المرجانية وتساهم ناقلات البترول بالقسط الأكبر من هذا التلوث، إذ تصل هذه الكمية إلى مليوني طن في السنة ناتجة عن غسل خزانات الناقلة بالمياه الساخنة. هذا بالإضافة إلى الحوادث التى تتعرض لها السفن والتى تؤدي إلى تدفق البترول في البحر، كما أن عمليات التنقيب عن البترول تحت قاع البحر من شأنها تلويث المياه.

ويؤثر النفط عن طريق تشكيله طبقة رقيقة عازلة تعوق التبادل الغازى بين الهواء والماء وتحجب الضوء عن الأعماق فتتوقف عملية التمثيل الضوئي التي تعتبر المصدر الأساسى للأكسجين والتنقية الذاتية للمياه، وتغدو حياة الأحياء البحرية في الطبقات السفلى شبه مستحيلة نتيجة لتراكم فضلات الهيدروكربون في قاع البحر وكذلك نتيجة لهدم السلسلة الغذائية.

هذا، ولقد تعرضت مياه الخليج العربي لتلوث نفطي مروع نتيجة لحربي الخليج الأولى والثانية وفي هذا الشأن حذّر الخبراء من المخاطر التى تتعرض لها الشعب المرجانية في الخليج العربي نتيجة ما قام به العراق أثناء حرب الخليج الثانية من ضخ كميات هائلة من النفط في مياه الخليج، إذ لو دمرت هذه الشعب، فإنه لن يتكون غيرها إلا بعد عشرات السنين كما أن هلاكها يتبعه هلاك أعداد كبيرة من الأحياء المائية التى تعيش فيها مثل سمكة نجم البحر والروبيان والقوافة والضفادع البحرية وثعبان البحر.

خاتمة:

تعد منظومات الشعب المرجانية المنتشرة في بحار ومحيطات وخلجان العالم ذات أهمية اقتصادية وسياحية واستراتيجية، وتضم أنواعاً من الأحياء البحرية التي ينبغي دراستها من النواحي البيولوجية والإقتصادية والبيئية. وإن الحفاظ على التنوع الحيوى على كوكب الأرض يقتضى توفير الحماية للشعب المرجانية التى باتت مهددة بالانقراض كغيرها من الأحياء البحرية نتيجة لتلوث المياه، وهو ما يستوجب اتخاذ إجراءات قطرية ودولية للحد من تلوث المياه.

من الكلمة إلى الفكرة (٧)

الفكر والتفكير والتفكر

بقلم:
محمد العربي الخطابي
- الرباط -

الفكر مرآة العقل وآيةُ حيويته، فإنه لا عقل من دون تفكير يصقل جوهره، ويتعهد آلته، ويبث في ثناياه النشاط والحركة والانطلاق.

وكما أن العقل لا يتم نضجه إلا باستخدام الفكر وترويضه وتحريك دواليبه بلا انقطاع، فإن الفكر لا يؤتي ثماره ما لم يواصل التحليق في سماء العقل باحثاً عن مصادر النور المحسوسة والغائبة عن الحس.

الفكر كالتربة الطيبة متى انفتحت على الشمس والهواء وأصابها وابل من مطر اهتزت وربت، وسكنها الخصب، وجادت بالغرس والعشب، وأينعت زهورها، وطابت ثمارها؛ وكذلك الفكر تدركه الخصوبة كلما انفتحت أمامه الآفاق البعيدة وانطلق تجاهها حراً خفيفاً لا تثقله قيود، ولا يعتريه نصب، ولا يحدُّ من انطلاقه عائق؛ فالحرية شرط الفكر، بل هي طبيعته الأولى، عليها فُطر، ومن أجلها كان.

الفكر يسبق الكلام ويعلو عليه، ولا معنى لكلام لا يصوغ مادته فكر؛ فالكلمة إنما تعرب عن الفكرة وتجعل لها كياناً متميزاً يتعانق فيه المفهوم والمنطوق ويتبين المعلوم من المجهول والواضح من الغامض.

مراتب الفكر ثلاث:

«النظر الفاحص، فالتأمل الباطن، ثم الحكَمُ للشيء أو عليه، والحكم في ذلك هو العقل إن صفا جوهره؛ فإذا انضاف إلى هذه العناصر صدق الحدْس وسلامة الحواس وخصوبة الخيال استقامت آلة التفكير، ونشط فعلها واتسع مجال دورانها».

والخيال ينتج الصور وينوع الألوان ويوسِّع آفاق النظر وأبعاد الفهم في الاتجاه الذى تتقوَّم به الأحكام الذهنية وتخرج إلى حيز الفعل قوية نافذة.

زعم بعضهم أن الخيال حقٌّ كلّه ، والتخيل منه حق ومنه باطل؛ وقد يفهم من هذا الكلام أن الخيال حركة إرادية يمكن التحكم فيها، فهي تنبعث من أعماق الباطن محملة بصور الحقائق الأولى التى ينبني عليها نظام الموجودات المعقولة والمحسوسة؛ وهذه الحركة تستمد طاقتها الدافعة من عالم الواقع وعالم ما وراء الواقع، وتستخلص منهما صوراً ذهنية حية توافق أحكام العقل وقوانين الطبيعة؛ وأما التخيل فهو مجرد افتعال لا يتقيد بضابط ، ولا يحكمه قانون،



فهو إذا استقام واعتدل كان حقاً، وإذا انحرف وأفرط كان باطلا، فهو من هذه الناحية أشبه ما يكون بحلم النائم إن صح كان رؤيا، وإن اختلط واضطرب كان أضغاث أحلام، وربما كان كابوساً.

من لوازم التفكير: الرَّويَّة، والفهم، والتصور، والشك، واليقين ، والقبول ، والرفضُ مع حسن الإدراك، والقدرة على ترتيب الصور في الذهن وأما ثمرة التفكير فمعرفة الأشياء على حقيقتها، إذ بالعلم يحصل الاطمئنان ، وتنكشف الحقائق، وتتقارب النفوس ، ويطيب العيش، ويزدهر العمران.

والتفكير ليس مجرّد وظيفة حيوانية تتحكم آلة الدماغ في عملها، بل هو قوة تخدم العقل وتنمي قدراته بمساعدة الحواس الظاهرة والباطنة فإنه لا سبيل إلى الإبداع من دون ذلك، كما أنه لا سبيل إلى العلم اليقيني ما لم تنشط آلة التفكير بجميع محركاتها بما في ذلك الخيال.

والفكر الخلاق هو أسمى تعبير عن قدرات الإنسان النفسية والذهنية، ومن علاماته تقليبُ النظر في الأشياء المجردة بقصد الوصول إلى معرفة الأسباب والعلل الكامنة في عناصر الوجود وظواهر الطبيعة كجريان الزمان، وتسلسل الحوادث، وتعاقب الكائنات في عوالم يضبطها نظام «بديع» ترعاه عناية عليا، ويدبر أمره حكيم عليم.

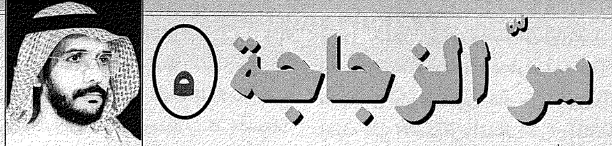
فمن الناس من يسلك هذا النهج من التفكير الحي ومُراده الغوص في بحور الحقائق العليا بخلاف من يستعمل فكره في أمور اضطرارية عارضة من أجل تدبير معاشه، وتنظيم أوقات عمله أو فراغه فهذا لا يعنيه من أمر التفكير أكثر من تكوين رأي يُعينه على الاختيار واتخاذ القرار المناسب فيما يعنيه من أمور نفسه لتثبيت موقعه داخل الجماعة التي ينتظم فيها وترتبط بها مصالحه العاجلة؛ فتفكيره إذن مرتبط بزمان معين وحيِّز محدود.

التفكير الخلاق أشبه ما يكون بالنهر المتدفق ينساب في مجراه من غير أن يعترضه عائق يقطع تدفقه، وما يزال ينشد مصبه حتى يلتقي بالبحر ويمتزج بأمواجه.

والتفكير منبعه العقل، ورائده الحواس، والتفكر مرتعه القلب، وكلاهما يسعى إلى اليقين ليبذر الأمل في حقول الحياة ويضفى عليها معنى معقولا.

والفكر، بشتى صوره ومختلف مظاهره هبة الخالق، أنعم به على صفوة خلقه، وجعل التفكر من مقومات الإيمان بوحدانيته وقدرته وواسع تدبيره وشامل عنايته ودائم إبداعه وسابق رحمته؛ وإلى ذلك يشير قوله تعالى: {أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق} (الروم/٨). وقوله ـ عز من قائل: {إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون} (الرعد/٣).

وآيات الله لا تُعدّ ولا تحصى، ولا ينقطع شعاعها، فهي ماثلة في السماوات والأرض، في النجوم والكواكب ، في الكائنات النامية والجامدة، وفي سائر الظواهر ما علم منها وما غاب عن علم المخلوقات.



بقلم: د. عبد الرزاق فراج الصاعدي
الجامعة الاسلامية - المدينة المنورة -

٢٢ - إيقاظ العربية:

ضربت اللغة العربية بسهم وافر في تاريخ الحضارة الإنسانية في شقيها الروحي والمادي، ومن آيات عظمتها أن اختارها الله عز وجل لغة لخاتم الأديان السماوية الإسلام؛ فكان ذلك مفخرتها الكبرى على الدوام.

وحقّ لها - أيضاً - أن تفخر بما أسهمت به في الحضارة الإنسانية، إذ استطاعت أن تكون أداة طيّعة للتفكير والتعبير والإبداع، فاستوعبت أبحاث الأطباء والكيمائيين والفيزيائيين وصناع الزيجات الفلكية ومكتشفي أسرار الأرض والرياضيين في علوم الجبر والهندسة والسلاسل الحسابية، وغير ذلك.

ومن آيات عظمة العربية أنها شديدة الأسر لمن يتعلمها من غير أبنائها؛ فيقع في حبها، ويدافع عنها كدفاع أبنائها، وربما أكثر.

ولنا في تاريخها العظيم خير شاهد؛ إذ أخلص لها أهلها الجدد، وخدموها على خير ما تكون الخدمة، وبرع كثير منهم في علومها، وغاصوا إلى دقائقها، فجاءوا بكل عجيبة. وما سيبويه والأخفش والأزهري وابن فارس وابن جني وغيرهم من أعلام العربية عن الأذهان ببعيد.

وفي عصرنا الحاضر المليء بالصراعات بين الأمم وثقافاتهم استمرّ إقبال الناس عليها؛ فخدمها كثير من غير أبنائها، فأخلص بعضهم - أو هكذا نقدّر - كـ «بروكلمان» و«فشر» و«برجشتريسر» و«تيودور نولدكه» و«دوزي» وغيرهم.

وممن حاول أن يخلص لهذه اللغة المستشرق الفرنسي «ماسينيون» (١٨٨٣ - ١٩٦٢م) بما قدمه من أبحاث ومقالات نشرت في دوريات مجامع اللغة العربية في القاهرة ودمشق وبغداد.

وقد استوقفتني كلمة كتبها «ماسينسون» في تقديمه لكتاب «ماكس فانتاجو» المسمى «المعجزة العربية» إذ قال في سياق لإحياء حماسة العرب للغتهم في أوقات من هذا العصر تزعزت ثقتهم حتى في أنفسهم: «ومن حقّ العرب علينا نحن ضيوفهم والوافدين عليهم، من مثلي أنا والسيد فانتاجو أن نرفع الصوت عاليا طالبين إليهم أن يقاوموا الدعاية المذلّة التي تقترح عليهم التنازل عن شرفهم وتقليدهم وإبائهم والاستسلام أمام القوة الاستعمارية.. التي تطلب إليهم الانسجام في طريقة تفكيرهم، وعملهم مع هذه الحضارة الكاذبة، حضارة الإنسان الآلي التي لم تعد تؤمن بنفسها، أو بالذات الإلهية، وتصبوا إلى إخضاع العالم لنظامية ثقافية بلهاء.

إن هذا الإنتاج الصناعي المغشوش سيسقط وشيكاً ليصمدوا فالعالم في حاجة إليهم. لندفعهم إلى احترام عربيتهم ، هذه الآلة اللغوية الصافية، والصالحة لنقل اكتشافات الفكر عبر الدول.

إن البعث الدولي للغة العربية عامل أساسي في إشاعة السلام بين الأمم في المستقبل. إنها كلمة تحمل الكثير من النَّصَفَة والحق في طيّاتها، وهي دليل جديد على عظمة هذه اللغة ومقدرتها على استمالة من يتعلمها وامتلاك وجدانه.

وإن أردتم دليلا آخر على جذب اللغة العربية وأسرها لمن يتعلمها ولو كان أجنبيا أو غير مسلم

فأذكركم بعلم شهير من أعلام اللغة والأدب في القرن الماضي الذي جاز لأحد النقاد أن يطلق عليه جبّار القرن التاسع عشر؛ لما كان له من شهرة واسعة من خلال مؤلفاته ومقالاته في الجوائب، هل عرفتموه؟

إنه ذلك اللبناني الذي كان يُدعى فارس منصور، وهو من رجال الدين واللاهوت من المسيحيين، والذي تعمق في العربية، فشغفه حبها وألف فيها أعظم مؤلفاته «الجاسوس على القاموس» و«سرّ الليال في القلب والإبدال» و«الساق على الساق» ثم أعلن إسلامه وتسمى بـ «أحمد فارس الشدياق» تيمنا باسم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وتفاؤلا باسم أحد المعجميين العرب الكبار «أحمد بن فارس اللغوي» (ت ٣٩٥هـ) صاحب المجمل والمقاييس.

ونحن - أبناء هذه اللغة الشريفة - مطالبون بإيقاظ لغتنا من بياتها الشتوي الذي طال أمده، وبثّ الروح في جسدها، والعناية بها، بحفظ تراثها، ودرسها وتبسيطها، ومحاولة نشرها بين عامة أبنائها وغير الناطقين بها.

وعلينا أن نتنبه إلى الأخطار التي تواجه العربية كزحف العامية واستشرائها، وضعف الشخصية عند أبناء هذه اللغة العريقة، واهتزاز الثقة في نفوسهم، مما أدى إلى طغيان بعض اللغات الأجنبية، التي بدأت تزاحم العربية على ألسنة أبنائها، فأصبحت تظهر بمناسبة وبغير مناسبة، وأصبح التشدق بمصطلحاتها من أسباب الوجاهة الاجتماعية، وكماليات الشخصية غير الواثقة بنفسها وتراثها الفكري المتمثل في لغتها العربية العريقة.

٢٣ - التاريخانية:

يصادف المرء بين الحين والحين في مقالات كبار الكتاب ألفاظا يصيبها شيء من اللحن أو الخطأ في اللغة أو النحو، ومن الألفاظ التي توقفت عندها مؤخراً كلمة وردت في مقال للدكتور يوسف نور عوض في جريدة المدينة (١٤١٧/٥/٢٩هـ) وهي كلمة «تاريخانية» وقد كررها مرات عديدة في سياقات مختلفة نحو «تاريخانية الخطاب الإسلامي» و«تاريخانية النص القرآني» و«مفهومي التاريخانية والتأويل».

والحق أنني لم أعرف مراد الكاتب بهذه الكلمة، هل هي مصطلح، أو كلمة ابتدعها على غير قياس، والظاهر أنه يريد بها المصدر الصناعي الذي يكون بياء النسب المشدّدة، وبعده تاء تأنيث، مثل الجاهلية والوطنية والفروسية، والقياس في هذه الكلمة أن تكون التاريخية.

و«التاريخية» في المعجم الفلسفي ص ٣٦ هي: القول بأن لوقائع التجربة الحية زمانا خاصاً وأنها تتسم! بشيء من المرونة والطلاقة. وقد قال بها الوجوديون معارضين بها نظرية «حتمية التاريخ» الماركسية.

أما زيادة النون قبل ياء النسب، فلم يعرف إلا في ألفاظ محفوظة، وهي ثلاث كلمات وهي: صنعاني وبهراني وروحاني أبدلوا الهمزة نوناً، خلافاً للقاعدة.

٢٤ - قرأت لك:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى
وصَوّتَ إنسانٌ فكدتُ أطيرُ!

هذا ما قاله الأحيمر السعدي الشاعر اللص الفاتك المارد من شعراء الصعاليك في زمانه، وهو القائل:

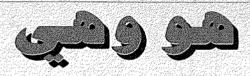
نهق الحمار فقلت أيمن طائر
إن الحمار من التجار قريبُ

وهو القائل:

وإني لاستحيي من الله أن أرى
أجرّر حبلا ليس فيه بعير
وأن أسأل الجبس اللئيم بعيره
وبعران ربي في البلاد كثير

ثم تاب الأحيمر فقال:

أشكو إلى الله صبري عن رواحلهم
وما ألاقي إذا مروا من الحَزَن



هو وهي

شعر: **الجيلي بشير الجيلي**
- الدمام -

قالت :

أسلمتك الأفراح والآمال والمستقبلا
وسقيتك الحلو الرضاب ترود منتهلا
وسخوت بالمكنون لست أضنّه
أنا مذ عرفتك ما عرفت لقول لا
أهديتك الأطفال زهراً يانعا
كم ذا رسمنا سيرهم والمنزلا
كم ذا بنينا للسعادة مسكنا
ولكم مهدنا للمكارم موئلا
والآن تغدر بي وتحمل معولي
تلمى به وجهاً تبسم مقبلا
وتصبّ ناراً في جوانح سماها
ضرٌ أهاج بها لواعج وابتلى
فلكيف «هاني» يستعيد مكانه
ولكيف «عزة» تستطيب المنزلا
ماذا أقول لشامت ومعنّف
أصلاني من نار العذاب وأجزلا
أهلي هجرتهم لأجلك والهوى
أغللت عنهم أبتني مستقبلا
أذللتني وجرحت فيّ أنوثتي
وأخذت ما عندي سدى متعجلا

قال :

أنا ما سلوتك يا ابنة الأخيار أقسمُ لن ولا
مثنى ثلاث وأربعاً
فالشرع أعطى للرجال وحللا
ليعفهم عن كلّ ما يرديهمُ
والشرط شرعاً أن نخاف ونعدلا
أنا ما هجرتك يا حياتى إنما
إني عرفت الحبّ عندك أولا
علّمته فلذات كبدي بسمة
وسقيته هانى حنانا جدولا
إنيّ سأحفظ للصغار حقوقهم
ولقد رفعتك في شعوري منزلا
ولتعلمى أني أتيتك بالتى
تخشى الإله مهابة وتجملا
لا تعرف الشنآن والعدوان كلا
وهي تدرى ما مغبات القلى
تهب المحبّة للصغار جميعهم
وأبوهمو يزهو بهم متهللا
إمّا جنحتُ فمن سواك يضمنى
ويشدّ أزري في الجماعة أولا
أنت الوفاء أصوله وعيونه
نبع تدفق بالسماحة سلسلا

وقفة مع رائد النقد التراثي ابن المعتز

أوراق زوجية ابو عواد / ام عمرو

رسالة الى السيدة الجميلة

مجلة شهرية ذات
أداء متخصص تخاطب
عقل المرأة ووجدانها



دراسات في الأدب:

وقفة مع رائد النقد التراثي:

ابن المعتز

بقلم: د. ماجدة محمد حمود
كلية التربية - جامعة الملك فيصل
- الاحساء -

نشأ ابن المعتز في قصر الخلافة العباسية، فهو «أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور .. كان مخالطا للعلماء والأدباء معدوداً من جملتهم، إلى أن جرت له الكائنة في خلافة المقتدر، واتفق معه جماعة من رؤساء الأجناد، ووجوه الكتاب فخلعوا المقتدر.. وبايعوا عبد الله»[١] فأصبح خليفة ليوم وليلة فقط، إذ انقلب أصحاب المقتدر، وأعادوا خليفتهم إلى كرسيه، وقتل إثر ذلك ابن المعتز بيد خادمه مؤنس سنة ٢٩٦هـ.

وقد أتاحت له نشأته في دار الخلافة التتلمذ على يد أفضل علماء القرن الثالث الهجري (أمثال: ثعلب، المبرد، الدمشقي) الذين تلمسوا نبوغه المبكر، فرعوا موهبته حتى نضجت.

ولعل مكانته الرفيعة أدت إلى أن يحفل مجلسه بأعظم أدباء عصره وعلمائه، كما أدت إلى أن يعيش حياة باذخة تتيح له التفرغ للعلم والتمتع بملذات الحياة أيضا، ولهذا ليس غريبا أن نجد له عدة مؤلفات في الأدب والنقد منها: كتاب الزهر والرياض، كتاب البديع، مكاتبات الأخوان بالشعر، كتاب الجوارح والصيد، كتاب أشعار الملوك، كتاب الآداب، وكتاب حلي الأخبار، وكتاب طبقات الشعراء، كتاب الجامع في الغناء، وكتاب فيه أرجوزة في ذمّ الصبوح، كتاب السرقات، كتاب فصول التماثيل، وله رسالة في محاسن أبي تمام ومساوئه.

يلاحظ المرء أن معظم هذه الكتب مفقودة، إذ لم نجد له سوى (طبقات الشعراء، البديع، الآداب، وبعض الرسائل التي جمعها محمد عبد المنعم خفاجي)[٢].

ورغم أننا وجدنا كتابين قد ألفا حول ابن المعتز (ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان تأليف عبد المنعم خفاجي وكتاب «عبد الله بن المعتز أدبه وعلمه» تأليف عبد العزيز سيد الأهل) غير أننا لم نجد لديهما اهتماما بالجانب النقدي عند ابن المعتز، إذ جاء الحديث عنه مبتسرا لا يفي بالغرض، رغم أن محمد عبد المنعم خفاجي رأى أن ابن المعتز «علم من أعلام النقد الممتازين في عصره .. بل هو أعظم نقاد عصره آثارا وأكثرهم

عناية بالبحث والتأليف فيه، ألف في طبقات الشعراء والسرقات، وتناول بعض الشعراء وشعرهم بالنقد، درس مشاكل النقد التي أثيرت في عصره وكتب فيها»[٣].

أما د. طه حسين فقد تناول كتابه «من حديث الشعر والنثر»[٤] شعر ابن المعتز، ولم يتناول الجانب النقدي لديه، في حين نجد الناقد إحسان عباس في كتابه «تاريخ النقد الأدبي عند العرب» قدم دراسة موجزة لنقده، توقفت عند العموميات فقط.

وعلى هذا الأساس تحاول هذه الدراسة أن تتناول أهم كتبه ورسائله (البديع ، طبقات الشعراء) لعلها تعطي صورة لإنجازه النقدي الذي لم يأت من فراغ، وإنما جاء تتمة لجهود الأدباء واللغويين (الخنساء ، الجاحظ ، المبرد) الذين سبقوه في مجال الاهتمام بالشعر العربي، وإن كنا لم نجد ناقدا قبله قد خصص كتابا ليتناول فيه أحد الجوانب الفنية في مجال التنظير والتطبيق، كما فعل في كتابه «البديع» فقد كان معظم نقدهم يتجه إلى ضبط الشعر وبنية الكلمة، فيتمحور هاجسهم النقدي عند الأخطاء النحوية أو العروضية التى قد يرتكبها الشاعر أو الألفاظ الحوشية التي يلجأ إليها الشاعر ولكنهم قلما توقفوا عند عنصر من عناصر الجمال الفني في الشعر، فكان أغلب نقدهم جملا قصيرة تشير إلى أشعر بيت أو أحسن بيت قالته العرب، وكان مما ساعد على تأليفه ممارسته الشعرية وإتقانه لفن البديع بالإضافة لكونه يعيش في عصر شاع فيه هذا الفن فكان ابن المعتز في شعره استمرارا له وقد حاول في نقده أن يؤسس له ، فعرّف به وذكر أمثلة عليه «فانتهى علم البديع والصنعة إليه وختم به» كما يقول ابن رشيق[٥].

إذاً، يمكننا القول بأنه أول من جمع البديع وألف فيه كتابا يبيّن أن بشارا ومسلما وأبا نواس، ومن سلك سبيلهم «لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه، ثم إن حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شغف به حتى غلب عليه وتفرغ فيه وأكثر منه، فأحسن في بعض ذلك، وأساء في بعض وتلك عقبى الإفراط وثمرة الإسراف»[٦].

ويصرح في المقدمة أن غرضه من هذا الكتاب تعريف الناس «أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع» فقد وجد هذا الفن في القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر الجاهلي والإسلامي والمولد.

وقد قسم الكتاب إلى خمسة أبواب جعل الباب الأول للاستعارة والثاني للتجنيس والثالث للمطابقة والرابع لرد الأعجاز على الصدر والخامس للمذهب الكلامي.

ومما يجدر ملاحظته أنه كان يعرف أحيانا بعض أنواع البديع (الجناس مثلا) وأحيانا لا يعرف (الاستعارة) لكنه دائب التذكير بالعيوب التي يقع فيها الشعراء حين يستخدمون البديع بأنواعه المختلفة. وهو لا يكتفي بذكر العيوب التي تلحق بالبديع وإنما نجده يذكر العيوب التي تلحق عناصر الشعر الأخرى كموسيقى الشعر مثلا، ولو تأملنا عيوب الشعر في رأيه، لوجدنا أنها تدور حول التكلف في أي عنصر كان، بل نجده يرفض أحد العناصر الأساسية في البديع وهو المذهب الكلامي[٧].

وقد رأى د. خالد يوسف أن ابن المعتز قد قام بوضع «مصطلحات لأنواع البديع المعروفة في زمانه، من استعارة وجناس ومطابقة وتضييق»[٨].

والحقيقة أن هذه المصطلحات قد وضعها نقاد قبله (الأصمعي، الجاحظ) لكن ابن المعتز رسخ استعمال هذه المصطلحات لدى الكتاب والقراء وجعلها مألوفة في كتابه هذا.

وبذلك يعد كتاب «البديع» من أوائل الكتب التي توقفت عند الأداة الجمالية في الشعر والتي هي

أداة أساسية في المجال النقدي ، فعرّف بها وتوقف عند تاريخ استعمالها، وبذلك نضج المصطلح النقدي لدى ابن المعتز فاستطاع أن يقيس الأدب بمقياس جمالي، يعتمد الذوق الذي يتمتع به بصفته شاعرا، دون أن يعني هذا القول أنه يغفل عن التعليل.

كما يعد هذا الكتاب من أوائل الكتب التي خصصت لعلم البلاغة، فكان بداية لنضج هذا الفن وأساسا لتطوره باعتقادنا.

ونلاحظ في كتابه «طبقات الشعراء» اهتمامه بالشعر المحدث الذي لم يلق عناية من النقاد اللغويين في عصره، إذ انصرفوا إلى الشعر القديم وجعله المثل الأعلى للشعر، وقد أزعج هذا التحيز ابن المعتز وظهر لنا انزعاجه في خبر رواه الصولي في كتابه «أخبار أبي تمام» فقد حدّث ابن المعتز أبو عمر بن أبي الحسن الطوسي قائلا «وجّه بي أبي إلى ابن الأعرابي لأقرأ عليه أشعارا، وكنت معجبا بشعر أبي تمام، فقرأت عليه من أشعار هذيل، ثم قرأت أرجوزة أبي تمام على أنها لبعض شعراء هذيل .. فقال اكتب لي هذه ، فكتبتها له، ثم قلت: أحسنة هي؟ قال ما سمعت أحسن منها قلت: لأبي تمام، فقال: خرّق خرّق»[٩].

فيعلق ابن المعتز على هذا الخبر قائلا «وهذا فعل من العلماء مفرط القبح لأنه يجب ألا يدفع إحسان محسن، عدوا أو صديقا، وأن تؤخذ الفائدة من الرفيع والوضيع، فإنه يروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب [كرّم الله وجهه] أنه قال: الحكمة ضالة المؤمن[١٠].

وقد رأينا تطبيقا عمليا لهذا القول في كتابه «طبقات الشعراء» فشاعت فيه الروح الموضوعية بكل ما تعنيه من اتساع الأفق والتفتح الفكري، وخير دليل على ذلك أننا نجده قد تحدث عن شعراء المعارضة كشعراء الشيعة (السيد الحميري، دعبل الخزاعي) والخوارج (درست المعلم) بل نجده يورد أبياتا لأبي الفضة البصري في ذمّ الدولة العباسية منها:

لا أحسب الجور ينقضي وعلى
الأمة وال من آل عباس

وهذا ذمّ صريح لحكام الدولة العباسية، الذين أشاعوا الظلم والقهر في أرجاء دولتهم، مع أنه أراد، كما يذكر في المقدمة، أن يجمع «ما وضعته الشعراء من أشعار في مدح الخلفاء والأمراء والوزراء من بني العباس»!!

وهو لا يكتفي بذكر شعراء المعارضة، بل نجده يذكر نثرهم في ذمّ العباسيين فيورد قولا لشاعر اسمه «درست المعلم» الذى يرى رأي الخوارج، ويرى الدار دار كفر، ويقول عن العباسيين «عطلوا الأحكام وغيروها، وقد قال الله تعالى: {ومن لم يحكم بما أنزل الله، فأولئك هم الكافرون}[١٢]، فهو يصمُ العباسيين بأبشع تهمة يمكن أن توجه إليهم: وهي الكفر .. وعدم الالتزام بأحكام الشريعة ومن يوثق هذه التهمة ويثبتها؟ إنه أحد أبناء الخلافة العباسية (ابن الخليفة المعتز وحفيد المتوكل) وبذلك قدّم لنا مثالا رائعا لسعة الصدر وانفتاح الأفق واحترام الرأي المخالف، حتى لو كان هذا الرأي يسيء إلى سمعة دولته التي ينتمي إليها، ويحلم أن يكون أحد حكامها.

تراه ينطلق، هنا، من حقد دفين على أولئك الذين استولوا على الخلافة، وحرموه منها، قد يصح هذا الرأي لو اكتفى الناقد بايراد شعر معاصريه فقط، لكننا نجده يذكر شعراء عاصروا أجداده أمثال دعبل الخزاعي، الذي توفي في السنة التي ولد فيها ابن المعتز، وقد هجا المأمون والمعتصم وكثيراً من أمراء بني العباس! وبذلك قدَّم لنا خير دليل على عدم تعصبه وانفتاحه على الرأي الآخر المعارض.

كما أننا نجده غير خاضع للأهواء الشخصية في تقويمه، وقد بدا ذلك واضحا في رأيه في شعر «أبي العبر» وهو هاشمي من بني العباس، يورد أشعارا تافهة له ثم يعلق قائلا «وله عجائب كثيرة من هذا الشأن لا حاجة إلى استقصائها إذا كان

لا نفع فيها»[١٣].

فهو يقدم دليلا آخر على طغيان الروح الموضوعية لديه، فهو لا يحابي أحدا، ولو كان قريبا له في النسب، ينتمي مثله إلى الأسرة الحاكمة، بل قد يكون مخلصا للدولة العباسية ولم يقل شعرا في غير مدحها.

ونجده يجعل الشعر دليلا على براءة الشاعر (صالح عبد القدوس) مما اتهم به من زندقة، كانت سببا في قتله على يد الخليفة (المهدي) فيأتي ابن المعتز بأبيات قالها تدل على تقاه منها:

إذا كمّل الرحمن للمرء عقله
فقد كملت أخلاقه ومناقبه

ثم يقول «فيا عجبا كيف يمكن أن يقول زنديق مثل هذا القول؟ وكيف يكون قائله زنديقا؟»[١٤].

فالشعر مرجعه الأساسي في تقويم إيمان الشاعر وبراءته، لا يهمه ما أشيع عنه، وبذلك يتخذ موقفا متناقضا مع الموقف الظالم الذي اتخذه المهدي من الشاعر، كما نجد لديه جرأة في ذكر الأشعار التي تتجاوز المواضعات الأخلاقية، فيأتي، مثلا، بشعر لأبي دلامة يذكر فيها شوقه للخمر والغناء!![١٥].

ما أقل أن نجد اليوم أمثال هذه الاستقلالية في الحكم! ما أقل أن تجتمع الموضوعية والنزاهة في الرأي لدى الناقد! فرغم كونه شاعرا محدثا وناقدا متحمسا للشعر المحدث، فقد بدا متزنا في حكمه عليه، فلا نجده معجبا بهذا النوع من الشعر حين يكون تافها أو ضعيفا، بل نجده في معظم الأحيان، يبين إعجابه بالشعر المحدث الذي لا ينسلخ عن الشعر القديم فيضيف إليه محاسن القديم. إنه يجمع، بلغة اليوم، بين الأصالة والمعاصرة، ولهذا كان من أسباب إعجابه بشعر ابن ميادة كونه أتى بمعان وألفاظ «يعجز عنها أكثر الشعراء فإنه قد جمع إلي اقتدار الأعراب وفصاحتهم محاسن المحدثين وملحهم»[١٦].

وهو يمتدح قصيدة لأبي الخطاب البهدلي جمع فيها «إلى قوة الكلام محاسن المولدين ومعاني المتقدمين»[١٧].

إن حماسته للشعر المحدث، ودفاعه عنه، ومحاولته إقناع المتعصبين ضده، كل ذلك لا يجعله رافضا لإنجازات الشعر القديم، بل نجده على النقيض يسعى إلى إقامة هذه الحداثة على أسس متينة، وذلك بأن يمدّ جذورها إلى الشعر القديم.

وهو لا يكتفي بذكر إعجابه بالشعر المحدث، وإنما نجده يؤيد رأيه بذكر آراء نقاد معاصرين له يبدون إعجابهم بهذا الشعر، ويردون على النقاد التقليديين الذين رفضوا هذا الشعر، مثال ذلك موقف الهلالي من شعر نصيب الأصغر، الذي عاش في العصر العباسي، ورده على الأصمعي الذي فضل شعر نصيب الأكبر بسبب تقدمه، فقد عاش في العصر الأموي.

صحيح أننا وجدناه أحيانا يتبع في نقده ذوقه (أي ذوق الناقد الجمالي باصطلاحنا اليوم) في فهم النص الأدبي، إذ يتتبع البديع لدى الشعراء، فيرى مثلا أن الشاعر المخنث (ابن شادة) «صاحب بديع رقيق» إلا أننا نجده يعجب أيضا بالمعنى الطريف الذي لم يأت به أحد من قبل كقول بشار:

يا قوم أذني لبعض الحيّ عاشقة
والأذن تعشق قبل العين أحيانا

* ولكننا نلاحظ أنه انصرف في معظم نقده إلى تناول الشكل والمضمون معا، فسبب إعجابه برائية بشار أنها «بديعة المعاني، رفيعة المباني، وقد نجد تفصيلا أوفى أثناء حديثه عن شعر الرياشي، فألفاظه في عذوبة الماء الزلال ومعانيه أرق من السحر الحلال، كما يبين لنا في إحدى رسائله أن «خير البيان ما كان مصرحا عن المعنى، ليسرع الفهم إلى تلقيه وموجزا ليخف على اللفظ تعاطيه».

وحين يلتقي شاعران في معنى واحد (بشار بن برد، وسلم الخاسر) نجده يعجب بمن اعتقد الجودة اللفظية والفصاحة والإيجاز وقد يحدد لنا الأسباب التي أدت إلى شيوع بيت من الشعر على

كل لسان لكونه «جيد المعنى عذب اللفظ خفيفا على اللسان»[١٨].

إذاً، تتحقق عذوبة اللفظ لديه حين يعنى بموسيقى الكلمة، فتأتي سهلة النطق رشيقة الوقع، وليس غريبا أن نجده معجبا بشعر أبي العتاهية لسهولة شعره وجودة طبعه، ورغم أنه يقول «شعرا موزونا ليس من الأعاريض المعروفة، وكان يلعب بالشعر لعبا ويأخذه كيف شاء»[١٩].

إذاً، امتدت حماسته للتجديد لتشمل موسيقى الشعر الذي يشكل العمود الفقري لبناء القصيدة العربية، إنه يرحب بالإبداع مهما كانت صورته، لأنه نقيض التكلف ومرادف للجمال ورقة الطبع، حتى يظن من يسمعه «أنه سيأتي بمثله، فإذا رامه وجده أبعد من الثريا».

ونجده يتبنى مقولة أحد العلماء في تعريف الشعر بأنه «السهل الممتنع» فكل تكلف ينبو عن الطبع مرفوض لدى ابن المعتز، وكل إبداع ينسجم مع الطبع ويبتعد عن التكلف والغلو في الشكل أو المضمون، يرحب به ويقدمه إلى القراء، وإن كان يعتذر عن تقديم القصائد الطوال لكونه يختار الفقر والعيون، ومن يريد التوسع فالدواوين موجودة، خاصة إذا كان الشاعر مشهورا عند أكثر الناس، فأما المغمورون الذين لا نجد شعرهم إلا عند الخاصة فأعطاهم حيزا أرحب، إذ تخيّر أجود أشعارهم لتكمل الفائدة ويعم النفع، إنه يأخذ بين هؤلاء المغمورين الذين هم أحوج إليه من غيرهم، فيقدمهم إلى القراء وبذلك يمهد لهم طريق الشهرة.

وإلى جانب الأحكام المعللة لاحظنا وجود أحكام عامة لا شأن لها بأي تفسير أو تعليل على عادة نقاد عصره، فيقف مثلا عند أشعار ربيعة الرقي محددا الغرض الذي أجاده الشاعر (الغزل) مكتفيا بذكر سبب عام لهذه الجودة، وبناء على هذه الأحكام العامة عدّه الدكتور إحسان عباس ناقدا انطباعيا تأثريا[٢٠].

لكننا لاحظنا ، كما رأينا سابقا، وجود أحكام معللة، يذكر فيها مواطن الجودة وأسبابها لذلك ظهرت لديه الموضوعية إلى جانب التأثرية في رأينا.

وخير دليل على اتزانه النقدي اتباعه منهج المقارنة بين الشعراء ، فمثلا قارن بين الحسين بن الضحاك الباهلي وأبي نواس ، يقول عن الضحاك «وله أشعار كثيرة، وهو أحد المفتنين في الشعر، جيد المدح جيد الغزل ، جيد الهجو، كثير المجون ، صاحب جد وهزل، وهو عندهم في بحار أبي نواس، بل هو أنقى شعرا، وأقل تخليطا منه». وهو حين يقارن بين أبي تمام والبحتري يذكر قول البحتري في هذا المجال «جيده خير من جيدي، وردي خير من رديه» فيرى أنه قد أنصف في هذا القول لأن «البحتري لا يكاد يغلظ لفظه، وإنما ألفاظه كالعسل حلاوة، فأما أن يشق غبار الطائي في الحذق بالمعاني والمحاسن فهيهات بل يغرق في بحره، على أن للبحتري المعاني الغزيرة، ولكن أكثرها مأخوذ عن أبي تمام ومسروق من شعره»[٢١].

يحاول هنا، أن يبدو موضوعيا في حكمه على أبي تمام، رغم حماسته له، فلا يذكر مزاياه صراحة، وإنما يبين مزاياه بلسان خصمه (البحتري) الذي يعترف بأن الشعر الجيد لدى أبي تمام أفضل من شعره الجيد، وأن شعره الرديء أفضل من رديء أبي تمام، وبما أن مقياس الجودة في الشعر هو الحكم الذي يرفع الشاعر أو يخفضه، فإن الناقد ابن المعتز والشاعر البحتري يقرّان بفضل أبي تمام.

وابن المعتز لم يكتف بهذا المدح بل نجده يبين أن البحتري قد سرق معانيه من أبي تمام، وبذلك يسلب البحتري كل مزية ليلحقها بأبي تمام، وهنا نلاحظ إفراطا في الحماسة لأبي تمام، الذي كان قد ذمه في رسالته التي تحدث فيها عن محاسن أبي تمام ومساوئه، فضاع القسم المتعلق بالمحاسن وبقي القسم المتعلق بالمساوىء، كما يبدو أن رسالته هذه قد ألفها قبل تأليفه كتاب «طبقات

الشعراء» إذ يبدو لنا أن موهبته النقدية حين ألفها، لم تكن قد نضجت بعد، لأننا نجده يستنكر كل ما أتى به أبو تمام من صور أو مجازات غير مألوفة، مثال ذلك قوله:

شاب رأسي وما رأيت مشيب الـ
رأس إلا من فضل مشيب الفؤاد

فيقول ابن المعتز «فيا سبحان الله! ما أقبح مشيب الفؤاد، وما كان أجرأه على الأسماع في هذا وأمثاله»!!

مع أن عبارة «مشيب الفؤاد» تحمل في طياتها إنجازا تصويريا مبدعا، خاصة بعد أن ربطت بعبارة «مشيب الرأس».

إن مثل هذا الحكم لا يمكن أن نلومه عليه، إذ من المعروف أن أحكام الناقد تتطور مع الأيام وتنضج تبعا لنضج ذائقته الأدبية وأفكاره النقدية.

ولو تأملنا طريقته في تقويم الشاعر لوجدناه يتوقف عند أبرز الشعراء في العصر العباسي، ذاكرا سند الخبر، على عادة أهل عصره في التأليف وقد يظهر الفترة الزمنية التي عاش فيها الشاعر بدقة، متحدثا عن بيئته وثقافته (مثال ذلك حديثه عن أبي نواس). وكذلك يتبع سنة عصره في الاستطراد فنجده يذكر بين أخبار الشاعر نوادر رويت عنه، وبذلك لا يمل القارئ فيضمن متابعته وهو موفور النشاط وإن ما يميز استطراده، أنه لا يبتعد كثيرا عن موضوع حديثه، إذ يلتزم بذكر النوادر التي تدور حول الشاعر نفسه.

ابن المعتز الناقد المبدع:

صحيح أننا وجدنا لابن المعتز بعض السقطات في رسالته عن أبي تمام، إلا أننا نلاحظ في رسائله الأخرى وفي كتابيه «طبقات الشعراء» و «البديع» رهافة حسه وسلامة ذوقه ودقة ملاحظته وصواب حكمه، ولا شك أن موهبته الشعرية وثقافته المتطورة، قد ساعدت على صقل ذوقه وإرهاف حسه، واتساع أفقه في تناول الإبداع الشعري وتقويم جماله وتسليط الضوء على القبح والخطأ الذي يرتكبه الشاعر، كما أن الممارسة النقدية لابد أن تنضج مع طول الممارسة ومجالسة أدباء عصره ونقاده، وقد وصف لنا أبو بكر الصولي (وهو صديقه) أحد مجالسه قائلا «اجتمعت مع جماعة من الشعراء عند أبي العباس عبد الله بن المعتز، وكان يتحقق بعلم البديع تحققا ينصر دعواه فيه لسان مذاكرته، فلم يبق مسلك من مسالك الشعراء إلا سلك بنا شعبا من شعابه، وأرانا أحسن ما قيل في بابه، إلى أن قال: ما أحسن استعارة اشتمل عليها بيت واحد من الشعر [فتذاكروا عدة أبيات حتى ذكر أحدهم قول ذي الرمة]:

أقامت به حتى نوى العود في الثرى
وساق الثريا في ملاءته الفجر

فقال أبو العباس: هذا نهاية الخبرة، وذو الرمة أبدع الناس استعارة، وأبرعهم عبارة، إلا أن الصواب حتى ذوى العود والثرى لأن العود لا يذوي ما دام في الثرى»[٢٢].

حين يمتلك الناقد خيال الفنان ومنطق العالم، فهذا يعني القدرة على إنتاج نقد مبدع، لأنه عندئذ يستطيع أن يرى مالا يراه الآخرون، فلا يكتفي بوضع يده على مواطن الضعف في الشعر، وإنما نجده يعطي البديل الأكثر جمالا والأكثر دقة لاعتماده المنطق والخيال الفني معا، لهذا تمنى لو جعل الشاعر ذبول العود مترافقا مع ذبول الثرى، ولن تكون، في اعتقادنا، صورة الذبول هذه في متناول ناقد عادي لم يمارس الإبداع الشعري.

ورغم ولعه بالبديع، فإنه يرفض المبالغة في استخدامه، مما يؤدي إلى طغيان الزخرفة والتكلف على الإبداع ورقة الطبع، يقول مثلا في قول أبي تمام «خشنت عليه أخت بني خشين» وهذا الكلام لا يشبه خطاب النساء في مغازلتهن، وإنما أوقعه في ذلك محبته للتجنيس، وهو بهجاء النساء أولى»[٢٣].

فهو يلومه على استعمال كلمة «خشنت» في الغزل، لأن استخدامها في الهجاء أولى، نظرا

لجرسها الموسيقي الثقيل على الأذن ومثل هذا النقد لا يصدر إلا عن إنسان مرهف الحس يمتلك ذوقا رفيعا، مارس الشعر أو عاشره فترة طويلة، فخبر نواحي الجمال في ألفاظه، كما خبر مدى مناسبة اللفظة الشعرية للغرض الذي سعى إليه الشاعر، فمثلا ما يناسب الغزل من ألفاظ لا يمكن أن يناسب الهجاء.

كما تجلى ذوقه الرفيع ورقة طبعه وروعة شاعريته في تلك الشواهد الشعرية التي صنفها في كتابيه «طبقات الشعراء» و«البديع» فقدم لنا أجود الشعر وأروعه بذوق الفنان وحسه المرهف خاصة في انتقاء أبيات تميزت بجمالها الإبداعي، فيرى عبد العزيز سيد الأهل[٢٤] أن هذا الاهتمام أثر من آثار معلمه المبرد، الذي نجده قد خصص للتشبيه بابا في كتابه «الكامل»[٢٥] ولكن يمكننا أن نضيف إلى ذلك التفسير أن ولعه بالتشبيه جزء من ولعه بالفنون البلاغية الأخرى، فقد وجد أنها تضفي جمالا أخّاذا على الشعر، دون أن تكون هذه الفنون مقياس الجودة الوحيد لديه، إذ نجده في إحدى رسائله يحدد مقاييس خالدة، تصلح لكل زمان ومكان، فالأشعار الجيدة، في نظره، هي تلك «التي ترتاح لها القلوب، وتجذل بها النفوس، وتصغي إليها الأسماع، وتشحذ بها الأذهان»[٢٦].

لو تأملنا هذه الجمل القصيرة لوجدنا أنها تحيط بجميع العناصر الجمالية للشعر، فهي تقف عند الجوانب الانفعالية (إذ على الشعر أن يضم عواطف تصل إلى القارىء فتريحه بانفعالاتها وتسعده بفنون بلاغتها) كما تقف عند الجوانب اللغوية (على الشاعر أن يختار لغة ذات جرس موسيقي يستطيع جذب القارىء إليه وإمتاعه) وكذلك تضم الجوانب الفكرية (على الشعر أن يحتوي أفكارا تصقل ذهن القارىء وتزيده عمقا وفهما للحياة).

فهو يريد أن يكون الشعر غنيا بعاطفته وأفكاره وبجمالياته عندئذ يكون جديرا بثقة القارىء والناقد معا، ألست هذه سمات الشعر الخالد الذي يؤثر فينا في أي زمان ومكان؟

وقد ظهر أثر الممارسة الإبداعية في اللغة النقدية لابن المعتز، إذ وجدنا لديه لغة مرهفة وحساسة، تميل نحو التصوير أحيانا، فيقول مثلا «كان شعره أنقى من الراحة ، أصفى من الزجاجة، وأسلس على اللسان من الماء العذب»[٢٧] بل نجده يلجأ في نقده، أحيانا، إلى التشبيه الذي لا يمكن أن يأتي به إلا شاعر امتلك خيالا واسعا، دون أن يتيه النقد أو تضيع أحكامه في فضاءات غريبة عن عالمه، مثال ذلك تشبيه شعر آل حفصة وتناقصه حالا بعد حال كأنه ماء أسخن لعليل في قدح، ثم استغني عنه، فكان من أيام مروان الأكبر على حرارته، ثم انتهى إلى عبد الله بن السمط، وقد برد قليلا، ثم إلى إدريس بن حفصة وقد زاد برده، وإلى أبي متوّج وقد ثخن برده، وقد جمد، فلم يبق بعد الجمود شيء[٢٨].

يتناول هنا الناقد ظاهرة الأسرة الشعرية (آل حفصة) وقد وجدناه يفلح حين اعتمد التشبيه في نقده لها، فزادت عبارته دقة ووضوحا، إذ شبّه الشعر بكأس من الماء الساخن يزداد برودة مع مرور الأيام، كما ازداد شعر آل حفصة ضعفا مع مرور الزمن، وبذلك ساعدت موهبته الشعرية ورهافة حسه على صقل موهبته النقدية وأدت إلى استخدام لغة نقدية جديدة قادرة على التعبير الدقيق، إذ لم نجده محلقا في سماء الخيال أو تائها في متاهات اللغة المجازية، وكذلك لم تؤد هذه الموهبة إلى جعله ناقدا تأثريا تطغى الانفعالية على أحكامه والحماسة في معظم الأحيان.

ولا شك أن مكانته الرفيعة في المجتمع، قد ساعدته على النقد الموضوعي دون أن يشعر بأي خوف أو رغبة لذلك نجده لا يجامل أحدا، يتسم نقده بالجرأة التي نكاد نفتقدها لدى نقادنا اليوم!

إذ لم نجده يراعي، حين نقد «أبا العبر»، النسب العريق (لآل هاشم) وقرابته للسلطة الحاكمة، ولم ير أية ميزة له رغم تخصصه في مدح العباسيين!

لذا لا نوافق على رأي د. إحسان عباس حين اتهم نقد ابن المعتز بالتأثرية، ورأى أن لمنزلته الاجتماعية أثرا في جعله يمثل دور الرعاية والعطف على الحركة الأدبية، فلم يتجاوز حدود المجاملة الاجتماعية اللائقة، كذلك فإن ابن المعتز كان ذا مذهب شعري ذي سمات ذاتية خاصة، قد تحول بينه وبين تذوق الأشعار التي تباين مذهبه، فلجوؤه إلى هذه التأثرية يسبغ عليه صفة سعة الصدر[٢٩].

لكننا لاحظنا سابقا، حين نقد ابا تمام مثلا، عدم تحيّزه لمذهب البديع لأنه يحكم ذوق الفنان المبدع الذي يبحث عن الجمال فلا يؤطر نفسه بقواعد صارمة حتى في المذهب الذي يدعو إليه.

نرجو الا يفهم من قولنا هذا أننا ننفي وجود التأثرية على نقده، فقد جمع في رأينا بين التأثرية والموضوعية، إذ لم نجده متحيّزا للمحدثين رغم أنه خصص كتابه «طبقات الشعراء» لهم، كما فعل محمد بن هبيرة الذي لم يعن إلا بشعر المحدثين، يحفظه ويحتج به ويبيّن فضله.

وكما لمسنا سابقا، لم نجده متحيّزا لفن البديع، رغم أنه ألف كتابا خاصا فيه، ورغم أنه أصبح فنا شائعا في عصره، فقد أراد أن يؤسس لهذا المذهب، ويبين أنه لم يكن من اختراع المحدثين، إذ وجد في القرآن الكريم والأحاديث النبوية والأشعار الجاهلية والإسلامية، وبذلك كان من مؤسسي المذهب الجمالي في نقدنا العربي، كما يعدّ من مؤسسي علم البلاغة، إذ أسهم في توطيد أركانها، فكان أول من أفرد كتابا خاصا لأحد فنونها «البديع» فمهد الطريق بذلك لإنجازات عظيمة قام بها نقاد وبلاغيون أتوا بعده.

وبفضل هذه الإنجازات نستطيع أن نعد ابن المعتز أحد الوجوه المشرقة في تراثنا، خاصة في مجال النقد الأدبي.

الهوامش:

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان تحقيق د. إحسان عباس، المجلد الثالث، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠، ص٧٦.

(٢) محمد عبد المنعم خفاجي: رسائل ابن المعتز في النقد والأدب والاجتماع، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده بمصر، ط ١، ١٩٤٦.

(٣) محمد عبد المنعم خفاجي: «رسائل ابن المعتز في النقد والأدب والبيان» مكتبة الخانجي بمصر، ط١ ، ١٩٤٩ ، ص ٢٦٩.

(٤) طه حسين: «من حديث الشعر والنثر» دار المعارف بمصر، ط٩ ، بدون تاريخ.

(٥) ابن رشيق القيرواني: «العمدة في محاسن الشعر وآدابه» تحقيق محمد قرقزان، دار المعرفة بيروت، ط١، ١٩٨٨، ص ٢٦٢.

(٦) عبد الله بن المعتز: «البديع» شرحه وعلق عليه محمد عبد المنعم خفاجي، شركة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده بمصر، ط١ ، ١٩٤٥ ، ص١٥.

(٧) المصدر السابق: ص ١٠٣.

(٨) د. خالد اليوسف: «في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب» المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١.

(٩) نظير الإسلام الهندي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣ ، ١٩٨٠، ص ١٧٥ ـ ١٧٦.

(١٠) المصدر السابق: ص ١٧٦.

(١١) عبد الله بن المعتز: «طبقات الشعراء» تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف بمصر، دون تاريخ ص ٣٩٧.

(١٢) المصدر السابق: ص ٣٣٥.

(١٣) المصدر السابق نفسه: ص ٣٤٣.

(١٤) نفسه: ص ٩٢.

(١٥) نفسه: ص ٦١.

(١٦) نفسه : ص ١٠٨.

(١٧) نفسه: ص ١٣٤.

(١٨) نفسه : ص ١٣١.

(١٩) نفسه : ص ٢٢٩.

(٢٠) د. إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الشروق والتوزيع، عمان، دون تاريخ.

(٢١) طبقات الشعراء ص ٢٨٦.

(٢٢) رسائل ابن المعتز ص ١٠ ـ ١١.

(٢٣) المصدر السابق: ص ٢١ ـ ٢٢.

(٢٤) عبد العزيز سيد الأهل: عبد الله بن المعتز (أدبه وعلمه) دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٥١، ص ٢٢٥.

(٢٥) المبرد: «الكامل» حققه محمد الدالي، المجلد الثاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، (خصص للتشبيه الباب ٤٨).

(٢٦) رسائل ابن المعتز في النقد والأدب والاجتماع: ص ١٤.

(٢٧) طبقات الشعراء: ص ٢٨.

(٢٨) المرزباني: «الموشح» تحقيق علي محمد البجاوي، دار النهضة، مصر ١٩٦٥، ٤٦٣ ـ ٤٦٤.

(٢٩) تاريخ النقد الأدبي: ص ١١١.

أوراق زوجية

أبو عواد / أم عمرو

٨٥٨- أبو عواد:

أتألم كثيراً لكل زواج ينتهي بالطلاق.. ومع اقراري بأن بعض النساء هو لهن بمثابة الخلاص من جحيم لا يطاق.. إلا أنني أنظر لباقي الحالات على أنها نتيجة حتمية لعناد امرأة لم تحسن حسبة عواقب الأمور.

٨٥٨- أم عمرو:

اغلب حالات الطلاق تنتج عن عدم تكافؤ الزوجين عقلياً أو نفسياً أو مادياً أو اجتماعياً وهذا بدوره يرجع لسوء اختيار الرجل لزوجته في المقام الأول.

٨٥٩- أبو عواد:

لا أعرف مدى صحة حجة الرجال الذين يفضلون رسم التكشيرة وامتطاء العبوس أمام زوجاتهم والمتمثلة بأن الزوجة في حالة الاستنفار هذه ستكون جد متيقظه ولكنها حجه أثبتت صحتها لدى أولئك الأزواج الذين رفعوا شعار (الديمقراطية) ببيوتهم حين وجد البعض أن زوجته أباحت لنفسها حتى التطاول عليه.. ولكن للابقاء على حالة اليقظة تلك هل من سبيل آخر غير رسم حالة متكررة من العبوس الدائم على جبين الزوج؟!.

٨٥٩- أم عمرو:

اخشى على الأزواج الذين يرسمون حالة من العبوس الدائم على وجوههم أن تتيبس عضلات وجوههم على هذا الوضع ولا يستطيعون تغييره بعد ذلك. اذا كان تبسمك في وجه اخيك صدقه فما بالك بتبسمك في وجه زوجتك أو أولادك.

٨٦٠- أبو عواد:

إنّ ألم الزوج حين يضطر إلى مد يده للصفع لا يوصف .. بل إنه أكثر ألماً من ألم المصفوعة، ولكن ماذا بوسع الزوج أن يعمل عندما يجد نفسه في موقف ينكر فيه أن التي أمامه يمكن أن تكون زوجته التي أحب من بين كل نساء الأرض!.

٨٦٠- أم عمرو:

اذا كنا ننصح الآباء والأمهات بعدم التطاول على أبنائهم بالأيدى وتربيتهم بالتفاهم والمودة فكيف يسوغ رجل لنفسه ضرب زوجته؟ اين المودة والرحمة التى هي رابطة العلاقة بين زوجين وأين الاحترام الذى هو أساس المحبة والثقة؟

٨٦١- أبو عواد:

التجديد مسألة ضرورية في الحياة الزوجية وعندما لا يجده الرجل من زوجته قد يضطره البحث عن التجديد للتفتيش عنه عند أخرى والمجال مفتوح له حتى الرابعة.

٨٦١- أم عمرو:

التهديد سلاح الخائب والتجديد مسئولية الزوجين.

٨٦٢- أبو عواد:

غيّر وبدّل البشر من أسلحتهم التقليدية على مرّ العصور والأزمان.. وظلت الدموع وما تزال هي أسلحة المرأة حتى صار لدى بعض الرجال مناعة لهذه الدموع التي يصفونها بدموع التماسيح تدليلا على تساوي الحال في وجودها من عدمه.

٨٦٢- أم عمرو:

المرأة مثلها مثل أي كائن بشري لا تفرز غددها الدمعية الدموع إلا في حالة الألم الحقيقي. قد يكون مبالغاً فيه ولكنه ألم على كل الأحوال.

٨٦٣- أبو عواد:

تحرص المرأة دائماً على جمال بشرتها وهي لأجل ذلك تسعى لاقتناء أفضل أنواع الكريمات والمساحيق التى توفر لها بشرة مثالية على الأقل في نظرها هي، وهي في هذا المسعى لا تستغنى عن عمل العديد من الأقنعة للوجه تتعدد وتتنوع موادها تنوع أطباق السلطات العربية والافرنجية، وليت اهتمامها بسعادتها الزوجية يعادل جزءاً يسيرا من ذاك الاهتمام بالظاهر وليتها تتعطر بين الحين والآخر من

بارفيوم الصبر ولو فعلت لجنبها ذلك الكثير من المشاكل التي هي في غنى عنها.

٨٦٣ـ أم عمرو:

لا يوجد بارفيوم اسمه الصبر. الصبر يكون على المكروه لذا فهو مر ومؤلم وفي كثير من الأحيان تغطي المرأة وجهها بالأقنعة لتخفي اخاديد صنعتها متاعب الزوج وصبرها على مشاكله واهوائه.

٨٦٤ـ أبو عواد:

الزوجة الذكية هي التي ترجيء مفاجأة الزوج ومباشرته حال دخوله بمشاكل المنزل والأولاد حتى تمهله لقط أنفاسه واطفاء جوعه أو عطشه والاسترخاء بعض الوقت حتى تجد منه الأذن الصاغية. لكن العكس هو ا لحاصل.. هذا إذا لم يكن يدلف معه إلى البيت مشكلة اكبر من مشاكلها التي تعرض عنها.. عندها ربما وبّخها على فعلتها.

٨٦٤ـ أم عمرو:

ان الزوجة التي تقابل زوجها بمشاكل البيت لم تتعلم اتخاذ القرار والتصرف بنفسها قبل أو بعد الزواج والرجال مسئولون عن ذلك فالآباء يصرون على ان ترجع إليهم بناتهم في كل قرار حتى إن بعضهم يصر على اختيار الزوج المناسب لبنته بصرف النظر عن رغبتها واختيارها والزوج بالتالى يتسلط في اتخاذ القرار وعدم المشاركة فيه من جانب زوجته ثم يشكو من كونها تنتظره عند الباب بمشاكلها. علموا بناتنا كيف يواجهن المشاكل ويوجدن حلا لها منذ الصغر وستجنون الزوجة القادرة على مواجهة متطلبات الحياة بنضج ودراية.

٨٦٥ـ أبو عواد:

مع الاعتذار المسبق للطرف الأخر: ان جمال المرأة يشبه إلى حد ما ألوان الطيف في الزهرة الجميلة التى تجذب الانتباه فيؤمها المعجبون الذين لا يلبثوا أن يتحولوا عنها عندما يتبين لهم أنها بلا رائحة ولا رحيق.. حتى الحشرات لا تستهويها مثل تلك الأزهار بل انها لا تنخدع بها.

٨٦٥ـ أم عمرو:

الجمال الحقيقى نوع من التكامل والتناسق الداخلي والخارجي يكون كلا متكاملا يشعر به الإنسان اكثر من أن يراه وهو في اغلب الأحيان شيء متفرد ونسبي يختلف من شخص لآخر *اما* جمال الأزهار والألوان والأطياف فأعتقد انه انتهى من أيام الحراملك والسلاملك.

٨٦٦ـ أبو عواد:

الرجل للمرأة : أعطنى السعادة وخذي كل ما عندي

والمرأة للرجل: اعطني السعادة وخذ كل ما عندي.

المتفرج: إما أنهما لا يملكان من السعادة ما يعطيها أحدهما للآخر وبالتالى فاقد الشيء لا يعطيه.. وإما انهما يتحاوران بلغة غير مفهومة للآخر!!

٨٦٦ـ أم عمرو:

حقيقة الأمر أن السعادة شيء لا يعطى ولا يؤخذ وانما يصنع بأربعة أيد وأربعة عيون وقلبين، وكل هذه تعمل في توافق وتناغم، حتى إنك لتشعر أن كل ذلك مملوك لشخص واحد.

٨٦٧ـ أبو عواد:

عندما تنعكس الآية وتصبح المرأة هي الآمرة الناهية في بيت زوجها.. فعلى الآخر أن يتسابق على وظيفة خبير في حفائظ الأطفال ليوضح للسائلات أيها يسبب حساسية للأطفال.

٨٦٧ـ أم عمرو:

الأمر والنهى لا يليق بالأزواج ولا بالزوجات ومن يأمرون وينهون لا يقدرون على لغة العقل والنقاش والحوار والإقناع.

اما اعلانات حفائض الأطفال هذه فهي اسخف وظيفة تقوم بها المرأة على شاشة التلفزيون وهي واحدة من مؤامرات الرجل الذي يريد ان يظهر المرأة وكأن غاية همومها اختيار زيت القلي الذي يجعل الطعام «يقرمش» او حفاضات الطفل التى تمنع الحساسية، انني ارى هذه الإعلانات في منتهى السخف والتفاهة وارجو من كل النساء عدم شراء هذه البضائع حتى يتراجع الرجال والنساء عن وضع المرأة في مثل هذا الوضع المهين.

رسالة إلى السيدة الجليلة

من أبي الرقعمق

* هو أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي (توفي في ٣٩٩هـ ـ ١٠٠٩م)
* مدح كبار الوجهاء بمصر.
* له شعر غزل عذب.
* مال إلى السخرية من نفسه في طرافة.

حبيبتي نزهة:

رحم الله والدتك حين أسمتك بهذا الاسم الحبيب إلى كل محب عاشق للجمال.. فهواك نزهة يا نزهتي .. وحبك نزهة يا نزهتي.

ماذا أقول؟ يا إلهي، أبلغني مناى وسدد خطاي فترضى نزهة عني .. نزهة التى من أجلها تركت أهلى وناسى في الشام لأحظى في قربك ولو بنفحات من عطر أنفاسك.

عندما وطئت قدماي أرض الكنانة ـ حرسها الله من كل سوء ـ سألت عن أبناء عمومتى حتى وصلت إليهم فأكرموا وفادتى وأعزوا مكانتي. وعندما سألتهم عن مقامكم وحالكم علمت أنكم تعيشون في خيام بصحراء العباسية. فقصدتكم، فلما بلغت مضربكم لم أجسر في أول الأمر على أن أقترب منه خشية أن يساء بي الظن.. وكانت لحظة من الدهشة المفراحة عندما شاهدتك تخرجين من خيمتك وقد صحبتك إحدى لداتك.. فهاجت بي الذكريات الحلوة للأيام التى كنتم فيها بأنطاكية.. فهتفت روحى للخيام وأهل الخيام فقلت:

حيِّ الخيام فإني
مغرم بأهل الخيام
بالراميات فؤادى
بصائبات السهام
أسقمنني وتألي
ـن لا شفين سقامى
أيام وَصْلى حرامٌ
والهجرُ غير حرام
لا عذَّب اللهُ قلبى
إلا بطول الغرام
سُقيا لدهر تولى
بشرتى وغرامي
كأنما ذلك العيـ
ـش كان في الأحلام

حبيبتي نزهة:

واستقر مُقامى بجواركم وعشت في خيمة مثلكم، واشتغلت ببيع العطور. ولما رأيت أننى أصبحت جاراً لكم، أحببت ـ كما عهدتك في أنطاكية أن تعبثى بي فتثيرى لوعتى وشجونى وتعذبينى بالوعود بعد الوعود. ولذلك فعندما فوجئت بى أدهشك أننى مازلت مقيما على حبك فتمايلت طرباً وزهوا مما سمعته مني. ولكننى لمحت فى عينيك وميضا من التخابث وكأنما جال بخاطرك أن تقومى بدورك القديم حين جعلتنى ضحكة بين أهلى وصحابي كما أشمت بي حسادى وأعدائي.. نعم ذلك ما لمحته من بريق عينيك وارتجاف أهدابك؛ فخاطبت نفسى قائلا:

أظن ودادها من غير نية
وهل هي فيه إلا مُدَّعية
فتاة لا تمل عذاب قلبي
ولا تخليه وقتا من أذيَّه
ولا ذنب له إلا التوافي
لمن فى الحب ليست بالوفيَّة
ويعجبنى التمنع والتشاجي
من الخود المنعمة الشجيَّه
فوا أسفا على حُر يعزى
أخا رزء على عظم الرزيَّه

حبيبتي نزهة:

والتقينا، ودامت أيام التلاقى، وهدأت الدموع في المآقى.. واستظل قلبانا بأفواف الحبور وضحكات السرور.. وبقينا على الوداد أمداً ليس بالقصير.

والحق أقول لك أننى سعدت دوما بلقائك. فكانت ليالينا بعيدة عن أعين الرقباء.. لا تحسب من أعمارنا لأنها استطاعت أن تنجو من الزمان الذى يفتأ يعكر صفو العاشقين ويعصف بما بين أفئدة المدلهين من وشائج الهوى فيسلط عليهم سهام الحاسدين المتلصصين فيحشرون آنافهم فيما لا يعنيهم ويتشوفون بنواظر مسمومة إلى الهناء فيتمنون زواله وإلى الوئام فيرجون اعتكاره، وإلى التعاطف فيسعون بالوقيعة لتشتيت الشمل وإحراق القلوب بنار الأسى.

وهذا ما حدث يا حبيبتي وآثرت ألا أطلعك على شيء منه حتى لا أثير وساوسك وظنونك بجيرانك وأشغل فؤادك بما لا ينبغى الانشغال به.. لكن أما وقد بلغ الوشاة منتهى غيهم فإننى لم أجد بداً من إطلاعك على ما وقع من إحدى جاراتك. فقد لمحتنى ذات يوم وأنا خارج من خيمتى لبعض شأنى ثم لأعرج بعدها على أبناء عمومتي

محمد عبد الواحد حجازى
مصر

فأزورهم وأطمئن على حالهم وكذلك لأتنسم بعض أخبار أهلي في الشام.. نعم، ما كدت أخرج وأسير بضع خطوات حتى استوقفتني تلك الجارة وكانت فتاة حسناء حسبت أنها تريد أن تشترى عطراً مني. فقلت لها: غداً سيأتيني من الشام عطر الياسمين فهو يليق بالجميلات الفاتنات من أمثالك. فقالت: ما لهذا استوقفتك ولكنني أريد أن أقول لك: مرآة الحب عمياء.. أما وجدت سوى «نزهة» فتحبها؟ لم لا تحب من هى أحسن منها قواما وأبهى جمالا، وأحلى عيونا، وأرشق حركة، لها حسن تدبير ويد صناع.. فهي من ثم أليق بك وبمكانتك.. فقلت لها: يا فتاتي كل شيء نصيب وسبحانه من يؤلف القلوب.. فانصرفت مغضبة أو كالمغضبة. فضحكت واستغربت في ضحكي ثم جريت وراءها حتى استوقفتها ثم قلت لها:

عاذل، كم فيه تعذلينى
وكم إلى كم تؤنبينى
لو بك ما بى من التصابى
لكنت لا شك تعذرينى
إن الذى أذاب جسمى
بالثغر والجيد والجفون
بدر تمام على قضيب
ركب من نغمة ولين
ما شئت من نرجس جنى
غض وورد وياسمين
عيناه تسطو على فؤادى
والموت في سطوة العيون

* وما أن أتممت كلامي حتى رشقتني بسهام الغيظ من عينيها وقد ظهر عليها الخجل المشوب باليأس والقنوط.

حبيبتي نزهة:

ثم علم أبناء عمومتي بأنني أحبك وأهيم بك، فكان منهم من لامنى وأزرى على عقلى وقال إن بنات أعمامك أولى بك.. وكان منهم من بارك حبى وهنأنى، وأكثر من هذا اقترحوا عليّ أن أتقدم لخطبتك.. وأكثر من هذا أيضا تطوع شيخ كبير يحترمه الجميع ويوقرونه ويعدونه عماً لهم جميعا - تطوع بأن يأتي معي إلى أبيك ليخطبك منه لي.. فشكرته ورجوته ثم دعوت له بطول العمر.

ولكنه، وهو المحنك الخبير والمجرب البصير أراد أن يستوثق من جمالك فقال لى: أهى جميلة إلى الحد الذى جعلك تهيم بها هذا التهيام. وتنشد فيها أجمل الكلام، محتملا من أجلها كل تسفيه أو ملام؟

فقلت له: يا عماه، هى أعظم مما أقول وأسمى.. آه يا عماه لو رأيتها .. آه يا عماه لو نظرت إليها لحظة واحدة إذن لتمنيت أن تعود شابا فتنافسنى عليها.

فضحك ثم قال: شوقتني.. كيف هي؟ فقلت:

وذى دلال إذا ما شئت أنشدنى
وإن أردت غناء منه غنانى
سقيته وسقانى فضل ريقته
وجاد لى طرفه عفوا ومنانى
مازلت أجنى بلحظى ورد وجنته
وأستغير على تفاح لبنان
الله يعلم ما بى من صبابته
وما عليّ جناه طرفه الجاني

وهنا قال لي عمي: لا لوم عليك يا بنى في حبك ولسوف أخطبها لك من أبيها.. قم بنا. وجئنا إلى أبيك فرحب بنا أيما ترحيب. فلما دخلنا في موضوعنا وعرض عليه عمى ما جئنا بشأنه تربّد وجهه وزاد سواداً على سواد وكأنما ركبه شيطان مريد.. ثم رفع صوته قائلا: إن ابن الرقعمن طائش أحمق، سل من يعرفونه ويصادقونه ولسوف تتأكد من صدق ما أقول. فكيف آمن على ابنتي من حمقه؟ عندئذ انبريت لأبيك كالفارس الجسور وقلت له: صدقت يا أبا نزهة، إننى كما تقول وأفتخر واعتز بطيشى وحمقي:

قد عشت دهراً أعول عقلى
والناس إذ ذاك يبعدونى
فمذ تحامقت قد كسانى
حمقى وقد عالنى جنوني

فقال لى عمي: يا بنى، ما هكذا يكون السلوك الجميل والأدب المحمود.. إنما العقل فضيلة والحمق رذيلة.. فقلت له:

أستغفر الله من عقل نطقت به
مالى والعقل ليس العقل من شانى

* فيئس منى عمى وتركني..

حبيبتي نزهة:

لا يحزنك ما قلت فلسوف أتعاقل لأبيك حتى أفوز بك ذلك لأننى أدركت بل أيقنت أنك تحبيننى حقا لا رياء ولا تعابثا. ودليل ذلك أنك شكوت أباك لأعمامك وأخوالك، وعماتك وخالاتك من سوء فعله وتحجر قلبه وقلة حنكته.

وها أنت اليوم تقاسين ضنى الحرمان من حبى ووصالي.. فنعم الحبيب أنت:

باح وجدا بهواه
حين لم يُعْط مناه
مغرم أغرى به السقْـ
ـم فما يُرْجى شفاه
كاد يخفيه نحول الـ
جسم حتى لا تراه
لو ضناً يخفيه عن العيـ
ـن لأخفاه ضناه



د. أبو حسام ـ المنصورة ـ

٢٠٢ ـ الملك لير:

أراد شكسبير أن يُصوّر العقوق والغفلة معاً في أبرز مظاهرهما، فاتخذ من قصة الملك لير نموذجاً مجسدا لما يريد، حيث كانت له بنتان تتملقانه، وتسرفان في مدحه بالكذب والادعاء وهو يعجب بهما، ويزداد تعلقاً بهما لكثرة ما يسمع من الثناء المفرط، على حين كانت ابنته الثالثة تقفه على الحقيقة المتجلية في سلوكه وأخلاقه، ولكن في رفق مهذب، ومع ذلك التهذيب الرقيق في الحديث عن صفات الأب الغافل وجدت منه بغضاً ونفورا لا حد لهما، فهو لا يطيق لقاءها، ولا يستمع إلى لفظ تهم أن تنطق به، وزاد بغضه لها فقسّم أمواله على أختيها وحدهما، في حياته، على أن تقوما برعايته وتوفير أسباب الراحة له، وأصر على حرمان الثالثة، ولكن لم يمض أمد قريب حتى وجدت الفتاتان أنهما بعد أن نالا ما يطمعان فيه من الثراء، ليستا في حاجة إلى أبيهما، وأن وجوده في الحياة أصبح يكلفهما بعض ما ينعمان به من خيره، فضاقا به ذرعا وعملا على طرده ـ وهو ملك سابق لا يملك النفوذ الباطش ـ وقد تفرق عنه المزلفون من أصدقائه حين فرغ من الجاه والسلطان، ورأى الملك نفسه جائعاً مسكينا لا يقدر على قضاء حاجاته الضرورية فرحل إلى ابنته الثالثة التي حرمها حقها الطبيعي في ماله، وكانت قد تزوجت من إنسان موسر كريم فاستقبلته أحسن استقبال، وقدمت له ما يريد من رغد ورفاهية، ولكنه حرضها على منازلة أختيها كي تأخذ منهما بعض ماله، فينفعه في ساعة العسرة، واضطرت إلى إجابة رغبته، فدبر لها الأختان مكيدة قضت على حياتها، وامتد بلاؤهما إلى الوالد المسكين فذاق حتفه بأيدي الغدر والعقوق.

إن النموذج الذي صوره شكسبير

يتجلى فى صور شتى من صور الحياة، صور حقيقية لا مبالغة فيها ولا إغراق، والعقوق كريه بغيض، وهو أشد بغضا حين يكون من الابن نحـــو والده الذى تعهده بالتربية حتى أصبح رجلا ذا شأن، أو نحو الأم التى عاشت فى سبيله ما عانت ثم لم تجد غير الجحود والنكران.

٢٠٤ ـ مثقف كبير:

يقـول الأسـتـاذ على الطنطاوى في بعض صوره التى كتبها بالرسالة تحت عنوان (مائة صورة من الحياة): أخبرني صديق لي من جلّة العلماء قال:

كنت أتولى المدرسة الخيضرية، وهى من المدارس القديمة في دمشق، فجاءني ذات يوم شيخ هرم عليه ثياب أخلاق، وعمة بالية، فأقبل على استحياء يسألنى عملا صغيرا جدا في المدرسة، وظيفته خمسة أرغفة في اليوم، فأعطيته الذي يريد رحمة به، ولم أسأله عن نفسه حتى مرّت أيام، فأخبرني أن له ابنا، ولكن ابنه يعرض عنه وينكره، فعجبت من ذلك، وقلت له: من هو ابنك؟ فقال: فلان. فلما سمعت الاسم صعقت وعدت أسأله:

فلان! الأسـتـاذ الكبـيـر صـاحب الشـهـادات الكبرى من أوربا، والمنصب اللامع!

قال: نعم ، هو والله ابنى، ولقد أنفقت عليه مالى وشبابي، فلما صار شيئا جزانى شرّ الجزاء، وجعل مكافأتي الإنكار والاحتقار، واضطرنى إلى سؤال الناس، وإراقة ماء وجهي في رغيف الخبز.

فقلت سأكلّم ابنك لأنه صديقي، فقال الأب، لا تفعل، سألتك بالله، فلو علم أنّي أخبرتك لضربني وآذاني، لقد حرّم عليّ أن أخبر أحداً أني أبوه.

قال صديقى الأستاذ، هذا والله ما كان، مازدت فيه حرفا ولا نقصت.

٢٠٥ ـ محسن شهير:

اعتاد بعض التجار أن يذبح ثورا كبيراً في يومى الوقفة قبل عيدي الفطر والأضحى، وأن يدعو الفقراء الذين عهدوا منه ذلك في هذين الموسمين وقد اتخذ مظهراً رائعاً، إذ يجمع أعوانه ليقف هؤلاء المحتاجون في صف طويل، تحت رعايته، حيث ينادون الأسماء ويقدمون القراطيس المملوءة باللحم والعظم، مرتلين دعوات الشكر، وعبارات الثناء، وكان صاحبنا غريبا قادما من القرية الى المدينة التى تنتشر فيها تجارته، فلا يعلم أحد شيئا عن أسرته وقريته التى نزح منها، وساعده الحظ فأصبح تاجرا ذا شأن وأصهر الى أسرة ثرية وفي يوم من أيام الوقفة خفّ إليه إنسان فحياه ولم يكن يتوقع مجيئه إذ هو من قريته التى نزح منها، وبها أمه وإخوته، فدهش الزائر الوافد لما شاهد من مظاهر الكرم الزائد، ولم يُطق أن يخفي سرا تلجلج فى نفسه، فانتحى غير

بعيد، ونادى التاجر المتكارم وأسر له هامسا فقال: سأرجع اليوم الى القرية واقترح أن تعطيني بعض هذه اللحوم لأحملها إلى والدتك وإخوتك. فتجهم وجه التاجر، وقال في غيظ: كيف تقول هذا، وأنا أرسل إليهم ما يجعلهم في أسعد حياة، فرد الزائر يقول: إن أمه اضطرت إلى الخدمة في منزل فلان لأنها لا تجد شيئا! وكثيرا ما تسألني! فسار به التاجر بعيدا، وقال له: لا تفضحني في الملأ، فأصهاري لا يعرفون لي أما، ولا أخوة، ولو كانوا يعلمون شيئا عن أسرتي الفقيرة ما تزوجت من عائلة (فلان) لقد قطعت علاقتي بالقرية جميعها كيلا ينكشف السر، وأرجوك أن تكتمه، أنا صاحب مركز وسمعة، فلا تذكرني بأيام الهوان ورجع الزائر حزينا، يتحدث بما سمع!

٢٠٦ ـ عاشق الفن:

أما عاشق الفن هذا فهو أوربيٌّ لا شرقيّ، تعود أن يشتري اللوحات الفنية المهورة بأسماء الكبار من أعلام الرسامين. وقد أقام في بيته متحفا رائعاً صار موضع مباهاته، واجتمع حوله من عاشقي الفن من يحسدونه على ثروته الفنية الرائعة، ويعدونه مثالا نادرا في عشق الصور التاريخية مهما كلفه هذا العشق من تضحيات.

وقد سمع بلوحة فنية لرسام إيطالي شهير، تصور ثلاث بنات صغار وأمهن الفقيرة تحمل صغراهن، وتسحب أختيها في مشهد حزين يرسم ملامح الفاقه والعوز، وكان الثمن المقدر للوحه ثلاثين ألف دولار، وأحجم نظراؤه عن شرائها لارتفاع الثمن، ولكنه دفع المبلغ في زهو، وأحضر اللوحة لتكون موضع الحديث والمباهاة.

وقد حضر بعض أصدقائه لزيارته فشاهد أمام الباب امرأة شابة تبكي ومعها ثلاث بنات صغار، هن بناتها، فتأثر لمرآهن، وسأل الأم عن خطبها، فقالت إن صاحب هذا المنزل عمٌّ بناتي، وقد ضاقت بي المعيشة بعد وفاة أخيه، فجئت راجية بعض عطفه، فلم يستمع إليّ وطردني!

فدخل الصديق الى متحف صاحبه، فوجده يعرض اللوحة الإيطالية مباهيا، ويعلن أن ثلاثين ألف دولار رخيصة هيِّنة بالنسبة لمحتواها الفني المتميز، وفاض في هذا النحى متحدثا عن روعة الملامح المصورة، ونبض الدم في الوجوه، وانكسار الشعاع في العيون، حتى كادت الأم والبنات أن يتحركن في الإطار!

فأطرق الصديق صامتا! فقال له صاحب الصورة؟ ما خطبك؟ لماذا لا تبدي رأيك موافقا أو مخالفا؟ أنا مستعد للدفاع عن وجهة نظري في تشخيص مناحي الإبداع الفني باللوحة، أليست تموج بالحياة، أليس أشخاصها ينطقون وكأنهم أحياء!!

فقال الصديق، اسمع يا صاحبي، لقد جاءتك لوحة إنسانية منذ قليل بها صورة الأم والبنات الثلاث، لوحة بعضها من دم أخيك، ولو أكرمت وفادتها وعاشت معك في منزلك ما كلفتك شيئا لا ألف دولار ولا ثلاثين ألفا! فأين إحساس الفنّان؟

فبُهتَ العمّ ولم ينطق!

٢٠٧ - برٌّ عائشة:

لما قُتل محمد بن أبي بكر الصديق بمصر، وترك ولده القاسم وبنيته في مصر، حزنت السيدة عائشة رضي الله عنها لما نزل بأخيها من خطب، وما حلَّ بأولاده من حزن، فدعت أخاها عبد الرحمن بن أبي بكر، وقالت له: لن تجلس ساعة في المدينة، وعليك أن تُسرع بالمسير إلى مصر لتحضر أولاد أخيك، ولو استطعت أن أسير لفعلتُ، فأطاع عبد الرحمن وسارع مبادرا، وأحضر الأولاد فضمتهم عائشة إلى بيتها، وتعهدتهم بالرعاية والعطف سنوات حتى استقلوا بأنفسهم.

ثم نادت عبد الرحمن وقالت له، يا أخي، لعلك وجدت في نفسك شيئا حين استأثرت بأولاد أخيك دونك، ولكنهم كانوا صغاراً، ولم أخش عليهم منك، ولكنّي خشيت أن تتأفف بهم نساؤك، وأن يضايقْنهم في غيبتك، فضممتُهم إليَّ حتى بلغوا مبلغ الفهم والعمل، وصاروا يعبّرون عن أنفسهم لك بكل ما يجدون فخذهم إليك، وكن لهم كما كان حجية بن المضرب لبني أخيه معدان، فقد تُوفي معدان فجأة وترك أولاده دون تراث، فكانوا في عناء من عيشهم، وجلس حجية بفناء بيته ذات يوم، فرأى جارية له، تخرج ومعها قعب لبن، فناداها، وسأل: أين تذهبين بالقعب واللبن، فقالت، لليتامى بني أخيك، فليس عندهم شيء! فوجم متحسرا، ثم قام إلى إبله، ونادى راعييه، وقال اذهبا بها جميعها نحو بني أخي، وكونا تحت امرتهم، وعلمت زوجته بما كان، فغاضبته ولجَّت في الشقاق فهددها بالطلاق وقال شعرا مؤثراً هذا بعضهُ:

٢٠٨ - مما قال حجيّة بن المضرب:

لجّنا ولجّتْ هذه في التجنب
ولط الحجاب بيننا والتنقب[١]
تلوم على مال شفاني مكانه
إليك فلومي ما بدا لك واغضبي
رأيت اليتامى لا تسد فقورهم
هدايا لهم، في كل قعب مشعب[٢]
فقلت لعبدينا أريحا عليهم
سأجعل بيتي مثل آخر معزب[٣]
فلا تحسبيني بلدماً إن نكحته
ولكنني حجيّة بن المضرّب[٤]

الهوامش:

(١) اللط: الستر، التنقب: المخاصمة والتجنب.

(٢) الفقور: الحاجات، القعب: القدح، المشعب، المجبور بعد كسر.

(٣) أريحا عليهم: ردّا الابل عليهم، معزب: بعدت إبله عنه

(٤) بلدم، الضعيف الثقيل النفس، نكحته: تزوجته.



حول مجامع اللغة العربية ورسالتها

نشأ في هذه الأيام نقاش حول مجامع اللغة العربية ورسالتها، وتمنى الكثيرون تأسيس مجمع لغوي في هذه البلاد، مصدر اللغة العربية ومهد الفصحى والبيان، وتنبض قلوب أبنائها بالحب والإعتزاز والوفاء للغة العربية لغة القرآن الكريم، والسنة النبوية، والتراث الإسلامي، وهي الأمانة الكريمة الغالية في أعناقنا، ونحرص على كيانها ورفع شأنها وخدمتها، ولقد حفظ القرآن الكريم اللغة العربية كما قال تعالى: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون». واللغة العربية قداسة تستمدها من وحي السماء.

ومن هنا تبين أهمية إنشاء مجمع لغوي في بلادنا التي هي موطن الفصحى، ومنارة الأدب، وقلعة البيان، ومهد البلاغة، ومنطلق الشعر، ومأرز الفكر والأدب، ومهوى أفئدة العرب والمسلمين، وملتقى الأدب والشعر على امتداد التاريخ، يتلقفها كابر عن كابر.

وإن تأسيس مجمع لغوي لهو بادرة طيبة، ويدل دلالة واضحة على الاهتمام بأهم ما يجب الاعتزاز به ألا وهو اللغة العربية ذات الجمال والثراء اللغوي الغزير، فالمجمع صرح من صروح اللغة والمعرفة، وسوف يسهم في إثراء لغتنا، ويحفظها من كل دخيل وغريب، ويقاوم الغزو الثقافي المتواصل، ووسائل الهدم للغة العربية.

فاللغة العربية ـ أعزها الله بالإسلام وحماها بالقرآن ـ قادرة على استيعاب جميع ألفاظ المدنية الحديثة. ومصطلحات وعلوم التقنية العصرية، إلى جانب ما تمتاز به من ميزات خاصة، فالمجمع سوف يحقق أموراً علمية ولغوية كثيرة، ويخدم اللغة العربية والباحثين والدارسين المهتمين باللغة وآدابها وعلومها، والعودة الى أصالة الكلمة والمحافظة على دلالاتها، والابتعاد بها عن تيار التغريب وموجة العامية، وربط ماضي لغتنا المجيد بحاضرها، وتحقيق الأهداف المثلى في مضمار العلم والأدب والفكر، وتنشيط البحث العلمي والتأليف في آداب اللغة وتاريخها والآثار العلمية لعلماء اللغة.

إن الهدف هو المحافظة على سلامة اللغة، وجعلها وافية بالمطلوب، وملائمة لحاجات العصر، وإحياء التراث، ووضع المصطلحات العلمية وتيسير اللغة وازدهارها.

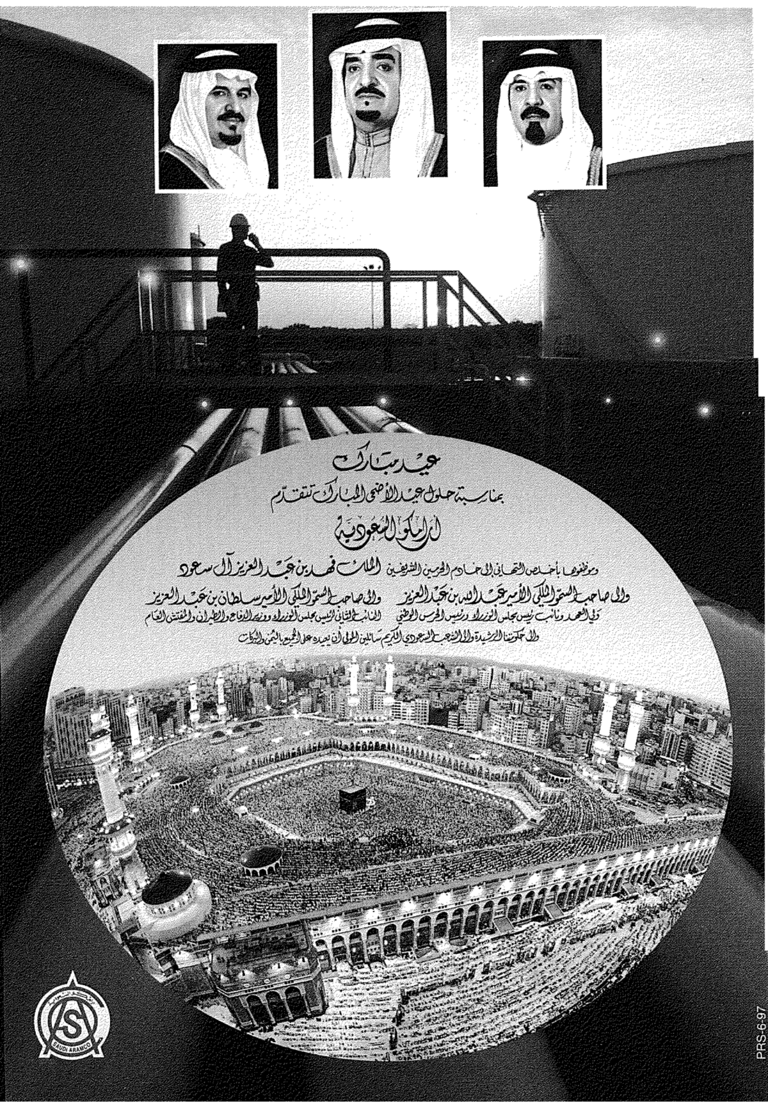
ومجمل القول: لكم يكون مناسباً قيام المجمع اللغوي للمحافظة على اللغة العربية وتطويرها، وتحقيق الأهداف المثلى في مضمار العلم، ومجال الأدب والفكر، وتنشيط البحث والتأليف في آداب اللغة وخصائصها وتاريخها، والآثار العلمية لعلماء اللغة، والمحافظة على سلامة اللغة وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون، وصوغ ألفاظ ومصطلحات لا غنى للغة عنها في عصر تقدم علمي كبير.

إن اللغة العربية تملك قدرة فذة على التعبير عن مختلف العلوم، ويشهد لها بذلك تاريخها القديم حين كانت لغة العلم السائدة عدة قرون في عصور ازدهار الدولة الإسلامية الكبرى، وإثبات قدرة اللغة العربية على مواكبة متطلبات العصر.

وبعد: فإن مجمع اللغة العربية سيكون له دور في معالجة قضايا اللغة: نحوها وصرفها وصوتياتها، وما يتبعها من مصطلحات علمية، وألفاظ حضارية، وغير ذلك مما يشغل الباحثين، ويعود بالعطاء والإثراء، ومعالجة المشكلات اللغوية، وإثبات قدرة اللغة العربية على مواكبة متطلبات العصر. ونرجو الله من وراء هذا المجمع الخير للغة العربية بكل قواعدها وآدابها، وكل فنون القول فيها، وعلى الله قصد السبيل.



بقلم:
عبد الله حمد الحقيل
ـ الرياض ـ


عيد مبارك
بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك تتقدم
أرامكو السعودية
وموظفوها بأخلص التهاني إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود
وإلى صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز
ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني
وإلى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام
وإلى حكومتنا الرشيدة وإلى الشعب السعودي الكريم سائلين المولى أن يعيده على الجميع باليمن والبركات
SAUDI ARAMCO
PRS-6-97